سلسلة مؤلفات سيد بن طاووس ١





رضيّ الدّين أبي القاسم
عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن طاووس
التحقيق: الشيخ محمّد الحسّون



كشف المحجّة لثمرة المهجة

موضوع:
اخلاق اسلامی: ۵ (اخلاق و علوم تربیتی: ۱۸)

گروه مخاطب:
- عمومی

شماره انتشار کتاب (چاپ اول): **۱۸۷**
مسلسل انتشار (چاپ اول و باز چاپ): **۴۱۲۴**

سلسله مؤلفات سید بن طاووس / ۱

ابن‌طاوس، علی بن موسی، ۵۸۹ ـ ٦٦٤ ق.
کشف المحجّة لثمرة المهجة / رضي‌الدين أبي‌القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن طاووس؛ التحقيق الشيخ محمّد الحسّون. ـ قم: مؤسسة بوستان کتاب (مرکز الطباعة و النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي)، ۱۳۷۱.
[۳۲٤] ص. ـ (مؤسسه بوستان کتاب؛ ۱۸۷. سلسله مؤلفات سید بن طاووس/۱) (اخلاق وعلوم تربیتی؛ ۱۸. اخلاق اسلامی: ۵)
ISBN 978- 964 - 09 - 0323 - 0 : ۷۰۰۰ تومان
فهرست نویسی براساس اطلاعات فیپا.
ص .ع . به انگلیسی: Razi al-Din Abi al-Qasim Ali Ibn Musa Ibn Jafar Ibn Muhammad Ibn Tawus.
Kashf al-Mahajja li-Thamarat al-Muhja
کتاب‌نامه: ص. [۳۰۲] - ۳۰۹؛ همچنین به صورت زیرنویس.
چاپ سوم: ۱٤۳۰ ق. = ۱۳۸۸.
۱. اخلاق اسلامی. ۲. اندرزنامه‌ها ـ متون قدیمی تا قرن ١٤. ۳. اخلاق عرفانی ـ متون قدیمی تا قرن ١٤. الف. الحسون، محمد، ۱۳۳۷ ـ محقق. ب. دفتر تبلیغات اسلامی حوزه علمیه قم. مؤسسه بوستان کتاب. ج. عنوان.
BP ۲٤۷ / ٤٥ / ۲ الف ۵ ک
۱۳۸۸
۲۹۷/٦۱

كشف المحجّة لثمرة المهجة

رضي الدّين أبي القاسم عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن طاووس

التحقيق: الشيخ محمّد الحسّون

بوستان كتاب
۱۳۸۸

بوستان كتاب

كشف المحجّة لثمرة المهجة

●المؤلف: رضي‌الدين أبي‌القاسم عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن طاووس
●التحقيق: الشيخ محمّد الحسّون
●الناشر: مؤسسة بوستان كتاب
(مركز الطباعة و النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي)
●المطبعة: مطبعة مؤسسة بوستان كتاب ●الطبعة: الثالثة / ١٤٣٠ق، ١٣٨٨ ش
●الكمية ٨٠٠ ●السعر: ٧٠٠٠ تومان

◆العنوان: قم، شارع شهداء (صفائيه)، ص ب ٩١٧، الهاتف: ٧-٧٧٤٢١٥٥ الفاكس: ٧٧٤٢١٥٤، الهاتف: ٧٧٤٣٤٢٦
◆المعرض المركزي (١): قم، شارع شهداء (بتعاون أكثر من ١٧٠ ناشر يعرض اثني عشر ألف عنواناً من الكتب)
◆المعرض الفرعي (٢): طهران، شارع فلسطين الجنوبي، الزقاق الثاني (پشن)، الهاتف: ٦٦٤٦٠٧٣٥
◆المعرض الفرعي (٣): مشهد المقدّسة، تقاطع خسروي، مجمّع ياس، الهاتف: ٢٢٣٣٦٧٢
◆المعرض الفرعي (٤): أصفهان، تقاطع كرماني، گلستان كتاب، الهاتف: ٢٢٢٠٣٧٠
◆المعرض الفرعي (٥): أصفهان، ساحة انقلاب، قرب سينما ساحل، الهاتف: ٢٢٢١٧١٢
◆المعرض الفرعي (٦) (للشباب): قم، بداية شارع شهداء (صفائيه)، الهاتف: ٧٧٣٩٢٠٠
◆التوزيع: بكتا (توزيع الكتب الإسلامية و الإنسانية)، طهران، شارع حافظ، قرب تقاطع كالج، بداية زقاق بامشاد، الهاتف: ٨٨٩٤٠٣٠٣
◆وكالات بيع كتب المؤسسة في البلد و خارجه (المنضمّ إلى ورقة الاستطلاع للآثار في نهاية الكتاب)

عبر البريد الالكتروني للمؤسسة: E-mail:info@bustaneketab.com
الآثار الحديثة في المؤسسة و التعرّف إليها في «وب سايت»: http://www.bustaneketab.com

مع جزيل الشكر و التقدير لجميع الزملاء الذين ساهموا في استخراج هذا العمل منهم:

●أعضاء لجنة دراسة الإصدارات ●أمين لجنة الكتاب: جواد آهنگر ●الملخص العربي: سهيلة خانقي ●الملخص الإنجليزي: مريم خانفسي ●فهرسة: مصطفى محفوظي ●تصميم الغلاف مسعود نجابتي ●مدير الإنتاج: عبدالهادي أشرفي ●الإعداد: حميدرضا تيموري ●طلبات الطبع: أميرحسين مقدّم‌منش و بقية الزملاء ●شؤون الطباعة: علي عليزاده، محمد مهدوي و عدة الزملاء في قسم الليتوغرافيا، الطباعة و التجليد.

رئيس المؤسسة
السيد محمد كاظم الشاكر

مقدمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين أبي القاسم محمد ـ صلّى الله عليه وآله ـ وعلى عترته الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم الأبدي على أعدائهم أعداء الله من الآن إلى قيام يوم الدين.

وبعد،

بين يديك عزيزي القارئ أثر أخلاقي قيّم، ومنهج من مناهج العرفان الواقعي، الذي يُعَدُّ من مفاخر التراث الإسلامي. كتبه أحد أعلام الطائفة الحقة السيد ابن طاووس رضوان الله تعالى عليه، ولاشك ولاريب أن مؤلفات هذا السيد الجليل تعتبر من أُمهات المصادر المعتمد عليها في أبواب: الأخلاق، والعرفان، والدعاء وذلك للميزات والخصائص التي يتمتع بها بنان هذا المؤلّف العبقري الذي يُعدُّ بحق من أبرز أعلام القرن السابع الهجري.

وبعد اطلاعي على هذا الكتاب الثمين وقراءتي له عدة مرّات وجدت أن الطبعة السابقة لا تليق بهكذا مؤلّف، فنصُّ الكتاب فيه كثير من الشوائب التي تحتاج إلى اصلاح، وطباعته السابقة لا تتماشى مع التطور الطباعي الحديث، إضافة إلى ندرة وجوده في المكتبات.

وكان عثوري على نسخة مضبوطة استكتبها المحدّث النوري لنفسه وقرأها عدة

مرات وضبط كلماتها، هو المشجع لي على تحقيق هذا الكتاب، فتوكلتُ على الله تعالى، وحققت الكتاب وأخرجته بهذه الحلة القشيبة، راجياً من الله العلي القدير القبول والمغفرة لي ولوالديَّ ولمن يلوذ بي، إنه سميع عليم.

الفصل الأوّل:

حول الكتاب، ويحتوي علىٰ:

اسمه

ماهيته

مكان تأليفه

عمره حين ألّفه

تلخيص الكتاب

اسمه

الاسم المعروف والشائع لهذا الكتاب هو (كشف المحجة لثمرة المهجة)، كما ذكره مؤلّفه في الفصل الثاني عشر من هذا الكتاب، وفي مؤلّفاته الأُخرىٰ، وذكره أيضاً بهذا الاسم كل من ترجم للسيد ابن طاووس وذكر مؤلفاته.[1]

إلّا أن السيد ابن طاووس رضوان الله تعالى عليه ذكر له اسمين آخرين، حيث قال: وإن شئت فسمّه كتاب (إسعاد ثمرة الفؤاد على سعادة الدنيا والمعاد)، وإن شئت فسمّه كتاب (كشف المحجة بأكف الحجة)[2].

ماهيّته

هو كتاب أخلاقي عبارة عن مجموعة من الوصايا كتبها السيد ابن طاووس رضوان الله تعالى عليه لولده محمد، ضمّنها من نوادر العظات وفوائد المقالات مالايستغنىٰ عنه، وكأنه يعبّد طريق المعرفة بأبسط بيان، ويفتح له أبواب السلوك بمقال العرفان.

---

١ ـ الذريعة ٤: ١٨٢ رقم ٩١٠، ١٨: ٥٨ رقم ٦٦٢، ٢٢: ٤٢٣ رقم ٧٧١١، تسهيل السبيل بالحجة في انتخاب كشف المحجة لثمرة المهجة: ٩.

٢ ـ كشف المحجة لثمرة المهجة: الفصل الثاني عشر.

قال المؤلّف رحمه الله عن هذه الوصية: وكنت قد رأيتُ ورويتُ في تأريخ الأنبياء والأوصياء وصايا لمن يعزّ عليهم صلوات الله وسلامه عليهم، ووجدت سيدنا محمّد الأعظم ورسوله الأكرم قد أوصىٰ مولانا وأبانا علياً المعظّم صلوات الله عليهما وآلهما، وأوصىٰ كل منهما جماعة ممن يعز عليهما، ووجدت وصايا مشهورة لمولانا علي صلوات الله عليه إلى ولده العزيز عليه السلام، وإلى شيعته وخاصته.

ووجدت جماعة ممن تأخر زمانهم عن لقائه قد أوصوا بوصايا إلى أولادهم دلّوهم بها على مرادهم، منهم محمّدبن أحمد الصفواني، ومنهم علي بن الحسين بن بابويه، ومنهم محمدبن محمدبن النعمان تغمدهم الله برحمته ورضوانه، ومنهم مصنف كتاب (الوسيلة إلى نيل الفضيلة)، وهو كتاب جيد فيما أشار إليه رحمة الله عليه. فرأيتُ ذلك سبيلاً مسلوكاً للأنبياء والأوصياء والأولياء والعلماء، فامتثلت أمر الله جلّ جلاله في متابعتي لهم والاقتداء بهم والاهتداء بنورهم.[١]

وعن ماهية الكتاب قال رضوان الله تعالى عليه: فإن له في هذه الرسالة على مايدل المصحف الشريف عليه من معرفة صاحب الجلالة والمؤيد بالرسالة ومايريد منه وله السعادة الباهرة وحفظ النعم الباطنة والظاهرة، وأخصه في هذا الكتاب بما يكون كالسيف الذي يدفع به أعداء مولاه، الذين يريدون أن يشغلوه عن رضاه، وبما يكون كالخاتم الذي يختم به على أفواه قدرة الناطقين بالشواغل عن معاده، ويختم به على جوارحه أن تسعىٰ في غير مراده، وبما يكون منها كالخلع التي خلعها الله جلّ جَلاله على مهجتي ليسلمني بها من الحر والبرد ويصون بها ضرورتي، فأوثره من الخلع الشريفة والملابس المنيفة، التي خلعها الله جلّ جله على الألباب، وجعلها جُنناً ودروعاً واقيةمن العذاب والعار وجعل منها ألوية للملوك الرّكاب إلى دوام نعيم دار الثواب، ومن خلع السرائر والخواطر والقلوب مايبقىٰ جمالها عليه مع فناء كل ملبس مسلوب.[٢]

وقال أيضاً: فيما أذكره من العذر في الاقتصار في الوصية على المواهب العقلية دون استيفاء الأحكام الشرعية، اعلم أن جماعة ممن عرفته من المصنفين اقتصروا على المعروف والمألوف من أداب وأسباب في وصايا أولادهم يتعلق بالدنيا والدين

---

١ ـ كشف المحجة: الفصل العاشر.

٢ ـ كشف المحجة: الفصل الحادي عشر.

ورأيـت أنا أن متـابعتهم في ذلـك تضـييع لـوقتي، إذ كان يكفي أن أدلّـهـم على تلك الكتـب ومافيها من الآداب، ومـا كنت أن أحتاج إلى أن أتكلـف تصنيف كتـاب، وإنما اذكـر ما اعـتـقد أنـه أو أكثر ممـا لا يوجـد في رسائل مـن ذكرت من أصحابنا العلماء في تصانيفهـم لأولادهم مما أخاف أنّ أولادي لا يظفـرون من غير كتـابي هذا بمرادهم لدنياهم ومعادهم، إلّا أن يتداركهم الله جلّ جلاله الذي هو بهم أرحم وعليهم أكرم من خزانته. [١]

فـالسيد ابن طاووس رضوان الله تـعـالى عليه يتعرّض في هـذا الكتاب لمطالب شتّى بعضها يتـعلق بأحواله الشخصـية كنسبـه الشريف [٢]، وكـونه ينتسب إلى شيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي [٣] وإلى الشيخ ورام [٤]، وذكر زواجه [٥] وأولاده وسنـي ولادة كل واحد منهم [٦].

وبعضها ـ وهو الأكثر بـل الصفة الغالـبة على الكتاب ـ وصـايا أخلاقية وعرفانية لولده محمد ولكل ذريته واخوانه المؤمنين.

وبعضها أحداث سـياسية عاشـها المؤلّف وذاق مرارتها، كهجوم التتر على بغداد وتدخله في الأمر وعـرضه على الخليفـة المستنصر التوسط لحل المشكلة وانقاذ المسلمين من الكارثة العظمى [٧].

و بـعضها رفضه لمطالب عـديدة من قبل الخليـفة العباسي المسـتـنصر: كتولي الفتوى [٨]، ونقابة الطالبيين [٩]، وأن يكون رسولاً إلى التتر [١٠]، والدخول في الوزارة [١١] وغيرها.

---

١ ـ كشف المحجّة: الفصل الرابع عشر.

٢ ـ كشف المحجّة: مقدمة المؤلّف.

٣ ـ كشف المحجّة: الفصل الرابع والخمسون.

٤ ـ كشف المحجّة: الفصل الخامس والعشرون والمائة.

٥ ـ كشف المحجّة: الفصل السادس والعشرون والمائة.

٦ ـ كشف المحجّة: الفصل التاسع، والثالث عشر.

٧ ـ كشف المحجّة: الفصل السادس والأربعون والمائة.

٨ ـ كشف المحجّة: الفصل السابع والعشرون والمائة.

٩ ـ كشف المحجّة: الفصل الثامن والعشرون والمائة.

١٠ ـ كشف المحجّة:

١١ ـ كشف المحجّة: الفصل الثلاثون والمائة.

مكان تأليف الكتاب

ألّفه في مدينة كربلاء المقدسة، حيث هاجر إليها من مدينة النجف الأشرف بعد هجرته من مدينة الحلة السيفية، كما صرح هو بذلك في هذا الكتاب قائلاً:

ولقد انتهى الحال ياولدي محمّد تولى الله جلّ جلاله تدبيرك في سائر الأُمور إلى نحو ما كنت قد استخرت فيه مالك يوم النشور من ترك المخالطة لأهل دار الغرور ولأنه جلّ جلاله اختار لي النقلة من الحلة بالعيال إلى مشهد أبيك أمير المؤمنين علي عليه السلام، فكنتُ فيه كالمعتزل من الناس إلاّ في شاذ الأوقات، ومفارقاً للجماعة نحو ثلاث سنين كما شرحناه في كتاب (الاصطفاء) بعنايات عظيمة في الدين والدنيا ماعرفت الله جلّ جلاله تفضل على أحد مثلها ممن شرفه بسكنى ذلك المقام المكين، ثم اختار لي الانتقال بالعيال إلى مشهد جدك الحسين عليه السلام وهو جدك من جانب بعض جداتك أُم كلثوم بنت زين العابدين عليه السلام، وهو موطن أبعد عن الناس والبلاد لأنّ مشهد مولانا علي عليه السلام قريب من الكوفة وهي ترداد العباد.

وكتبت إليك هذه الرسالة وأنا مقيم في جوار حرم الحسين عليه السلام في ظل تلك الجلالة، معتزل عن الشاغلين، منفرداً أبلغ من ذلك الإنفراد عن العالمين[1].

عمره حين ألّفه

وكان عمره المبارك الشريف حين تأليفه لهذا الكتاب هو احدى وستين سنة، حيث انه ولد سنة ٥٨٩هـ، وكتب هذا الكتاب سنة ٦٤٩هـ، كما صرّح هو بذلك في هذا الكتاب قائلاً:

فلما دخلتْ سنة تسع وأربعين وستمائة هجرية ويوم النصف من محرمها قبيل الظهر يكون ابتداء دخولي في سنة احدى وستين من عمري هلالية، لأني ولدت قبل الظهر يوم الخميس نصف محرم سنة تسع وثمانين وخمسمائة في بلدة الحلة

---

١ ـ كشف المحجة: الفصل الرابع والثلاثون والمائة.

السيفية..... فوجدت في خاطري في شهر محرم من السنة المقدم ذكرها البالغة بعمري احدىٰ وستين، باعثاً رجوت أن يكون من مراحم أرحم الراحمين، أنني أصنّف كتاباً علىٰ سبيل الرسالة مني إلى ولدي محمد، وولدي علي، ومن عساه ينتفع به من جماعتي وذوي مودّتي قبل أن يحول بيني وبين أمنيتي مالابد من لقائه من انتقالي إلى آخرتي[١].

تلخيص الكتاب

وقد قام المحدّث الكبير محمّد بن المرتضىٰ الفيض الكاشاني المتوفىٰ سنة ١٠٩١هـ باختصار هذا الكتاب، وانتخاب بعض فقراته، والتعليق على بعضها الآخر، وقد سمّىٰ هذا المختصر بـ(تسهيل السبيل بالحجة في انتخاب كشف المحجّة لثمرة المهجة)، ألّفه رحمه الله في سنة ١٠٤٠هـ.

وقد قال في معرض كلامه على هذا الكتاب: أوردت فرائده المبتكرة وأبقيت فوائده المشتهرة، وأيّدت بعضه بتأييدات، وأضفت إليها تنبيهات وجعلته في فئَين وفصول وسميّته (تسهيل السبيل بالحجة في انتخاب كشف المحجّة لثمرة المهجة)، والله يهدي السبيل وهو يلهم الحجة[٢].

وذكره الشيخ الطهراني رحمه الله في موضعين من ذريعته:

الأول: قال: (تسهيل السبيل بالحجة في انتخاب كشف المحجّة) في تسعمائة بيت، للمولىٰ المحقّق الفيض الكاشاني، المتوفىٰ ١٠٩١هـ، فرغ منه سنة ١٠٤٠هـ[٣].

الثاني: قال: منتخب كشف المحجّة للمحقق الفيض، اسمه تسهيل السبيل[٤].

وقال الشيخ يوسف البحراني في لؤلؤة البحرين -بعد ترجمته للفيض-: له تصانيف أفرد لها فهرساً على حدة، ونحن ننقل ذلك عنه ملخصاً ... تسهيل السبيل

١ـ كشف المحجّة: الفصل التاسع.

٢ـ تسهيل السبيل: ٩.

٣ـ الذريعة ٤:١٨٢ رقم ٩١٠.

٤ـ الذريعة ٢٢:٤٢٣ رقم ٧٧١١.

بالحجة في انتخاب كشف المحجة للسيد ابن طاووس العلوي، يقرب من مائة بيت[١].

وقد قام مؤخراً بتحقيق هذا الكتاب أخي وزميلي حامد الخفّاف، حيث كان هذا الكتاب أحد الكتابين اللّذين قدمتها مؤسسة آل البيت عليهم السلام لأحياء التراث في مدينة قم المقدسة، للمؤتمر العلمي الذي أقامته مؤسسة البحوث والتحقيقات الثقافية في طهران بمناسبة الذكرى المئوية الرابعة لولادة الفيض الكاشاني.

١ ـ لؤلؤة البحرين: ١٢٥.

الفصل الثاني:

حول المؤلِّف، ويحتوي علىٰ:

اسمه ونسبه

أسرته

ولادته ونشأته

أساتذته وشيوخه

تلامذته والراوون عنه

اطراء العلماء له

مؤلفاته

وفاته ومدفنه

بسم الله الرحمٰن الرحيم

لاأبالغ إن قلت إن حياة أكثر علمائنا رضوان الله تعالى عليهم مجهولة تماماً، شأنهم في ذلك شأن أئمتنا عليهم السلام، فالباحث عن حياة أئمة الهدىٰ لايجد إلّا شذرات بعثرت هنا وهناك ، أو لمحات عن بعض جوانب حياتهم المباركة.

ففي حياة الإمام الحسن عليه السلام تجد أن الأضواء مسلّطة على صلحه عليه السلام مع معاوية، أما بقية جوانب حياته: كعلمه، ورواياته، والراويين عنه، وأصحابه، وسيرته في المجتمع الإسلامي آنذاك ، لاتجد مَنْ يتعرض لها. كذلك بالنسبة لبقية الأئمة عليهم السلام، فالأضواء تسلّط على بعض الجوانب أو الأحداث من حياتهم: كواقعة الطف، وولاية عهد الإمام الرضا عليه السلام، وسجن الإمام الكاظم عليه السلام، وغيرها.

والسيد ابن طاووس من تلك القلة القليلة الذي نستطيع أن نتعرف وبشكل كامل على حياتهم المباركة، والفضل في ذلك راجع له رحمه الله حيث أنه دوّن في كتبه كل -أو أغلب- مايتعلق بأحواله الشخصية، فهويذكر: سنة ولادته، وزواجه، وأولاده، ونسبه، ومراحل دراسته، وأساتذته، وشيوخه، ومؤلّفاته، والكتب التي عنده، والأحداث التي عاشها وكيفية تأثيرتلك الأحداث عليه وعلىٰ المجتمع الإسلامي أنذاك .

فالذي يريد أن يـكتب دراسة كاملة وشاملة لحياة هذا السيد الجليل ما عليه إلّا أن يطالع مؤلفاته بدقة، ويدوّن كل مايتعلق بجوانب حياته.

ومانـقدّمه ماهو إلّا لمحة مختصـرة عن بعض جوانب حـياته، ونسأل الله تعالى أن يوفّقنا فيما بعد لكتابة دراسة شاملة تحيط بكل أبعاد هذه الشخصية الفذة.

اسمه ونسبه

هو السيد علي بن موسىٰ بن جعفر بن محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد الطاووس ابن اسحاق بن الحسن بن محمد بن سليمان بن داود بن الحسن المثنىٰ ابن الإمام الحسن عليه السلام ابن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سلام الله عليه.

وإنما لقّب محمد بالطاووس؛ لأنه كان مليح الصورة، وقدماه غير مناسبة لحسن صورته[1].

اسرته

والده:

هو السيد الشريف أبو ابراهيم موسىٰ بن جعفر بن محمد بن أحمد بن محمد بن الطاووس، من الرواة المحدثين، روىٰ عنه ولده السيد أبوالقاسم علي، وعلي بن محمد المدائني، والحسين بن رطبة. وتوفي رحمه الله في المائة السابعة، ودفن بالغري[2].

---

١ ـ انظر: بحار الأنوار ١٠٧: ٤٤.

٢ ـ الإجازات المطبوع في البحار ١٠٧: ٣٩.

والدته:

هي بنت الشيخ ورّام بن أبي فراس المالكي الأشتري، المتوفّى سنة ٦٠٥ هـ. وذكر الشيخ يوسف البحراني في اللؤلؤة، وتبعه السيد الخوانساري في الروضات أن أم السيد ابن طاووس -وكذلك أم ابن ادريس- هي بنت الشيخ الطوسي، وردّ هذا المدعى المحدّث النوري في خاتمة مستدركه بوجوه أربعة، ذكرناها وذكرنا مايتعلق بوالدة السيد ابن طاووس في كتاب (أعلام النساء المؤمنات)[١].

اخوته:

السيد عزالدين الحسن بن موسى بن طاووس، المتوفّى سنة ٦٥٤هـ[٢].

والسيد شرف الدين أبو الفضائل محمد بن موسى بن طاووس، استشهد عند احتلال التتر بغداد في سنة ٦٥٦هـ[٣].

والسيد جمال الدين أبوالفضائل أحمد بن موسى بن طاووس، من مشايخ العلاّمة الحلّي، وابن داود، وكان عالماً فاضلاً له عدّة تصانيف، توفي في سنة ٦٧٣هـ[٤].

زوجته:

هي زهراء خاتون بنت الوزير ناصر بن مهدي، وقد تزوجها بعد هجرته إلى مشهد الإمام الكاظم عليه السلام، وقد ذكر كيفية زواجه منها، وأنه أوجب فيما بعد طول استيطانه في بغداد، في هذا الكتاب (كشف المحجة)[٥].

---

١ ـ انظر: روضات الجنات ٤: ٣٢٥، لؤلؤة البحرين: ٢٣٧، مستدرك الوسائل ٣: ٤٧١.

٢ ـ عمدة الطالب: ١٩٠.

٣ ـ عمدة الطالب: ١٩٠.

٤ ـ عمدة الطالب: ١٩٠، رجال ابن داود: ٤٦.

٥ ـ كشف المحجة: الفصل السادس والعشرون والمائة.

أولاده:

(١) النقيب جلال الدين محمد بن علي بن طاووس، ولد في يوم الثلاثاء المصادف التاسع من محرم الحرام سنة ٦٤٣هـ في مدينة الحلة السيفية، ذكر ذلك المصنف رحمه الله في هذا الكتاب (كشف المحجة)، وذكر أن كتاب (كشف المحجة) هو عبارة عن وصيته لولده الكبير محمّد. وقد تولّى النقابة بعد وفاة والده سنة ٦٦٤هـ، وبقي نقيباً إلى أن توفي في سنة ٦٨٠هـ[١].

(٢) والنقيب رضي الدين علي بن علي بن موسى ولد في يوم الجمعة ٨ محرم الحرام سنة ٦٤٧هـ في النجف الأشرف، ولي النقابة بعد وفاة أخيه محمد في سنة ٦٨٠هـ، وتوفي بعد سنة ٧٠٤هـ[٢].

(٣) شرف الأشراف، ذكرها المصنف في هذا الكتاب (كشف المحجة)، وذكرها أيضاً في كتابه (الأمان من أخطار الأسفار والأزمان) قائلاً: الحافظة الكاتبة. وذكرها في كتابه (سعد السعود) قائلاً: ابنتي الحافظة لكتاب الله المجيد شرف الأشراف، حفظته وعمرها اثنتاعشرة سنة. وقد أجازها والدها واختها فاطمة برواية الحديث، ويظهر من كتاب (كشف المحجة) انها أكبر من ولده محمّد[٣].

(٤) فاطمة: ذكرها المصنّف رحمه الله في كتابه (سعد السعود) قائلاً: فيما نذكره من مصحف معظم تام أربعة أجزاء وقفته على ابنتي الحافظة للقرآن الكريم (فاطمة) -حفظته وعمرها دون تسع سنين[٤].

ولادته ونشأته

ولد رضوان الله تعالى عليه في يوم الخميس منتصف محرم سنة ٥٨٩هـ في مدينة

---

١ - انظر: كشف المحجّة: الفصل الثالث، لؤلؤة البحرين: ٢٣٨، عمدة الطالب: ١٩٠.

٢ - عمدة الطالب: ١٩٠.

٣ - انظر: كشف المحجّة: الفصل الثالث عشر، الأمان: ١١٦، سعد السعود: ٢٦.

٤ - سعد السعود: ٢٧.

الحلّة السيفية، كما أشار هو إلى ذلك في هذا الكتاب (كشف المحجة)[١].

وكانت الحلة آنذاك تعيش فترة ازدهار حركتها الثقافية العلمية، والتي شكلت فيما بعد مدرسة فقهية خاصة عرفت بمدرسة الحلة، حيث تخرّج منها عدد كبير من علماء الطائفة، الذين لهم اليد الطولا في تقدّم الحركة العلمية بصورة عامة والفقهية بصورة خاصة.

ولاشك أن هكذا جو يؤثر تأثيراً ايجابياً وملحوظاً على نشأة السيد ابن طاووس، خصوصاً أنه يعيش في بيت جلّ أفراده من العلماء والأدباء، ولاشك أن والده كان هو المعلّم الأوّل له والمرشد والناصح الأمين.

ومما يمتاز به السيد ابن طاووس ـ كما أشرنا سابقاً ـ أنه كثيراً ما يذكر في كتبه أحواله الشخصية، ومايتعلق بحياته الخاصة، من نشأته ودراسته وسفره، بل حتى زواجه وتأريخ ولادة أبنائه.

فيحدّثنا في كتابه هذا (كشف المحجة) عن نشأته ودراسته وما يتعلق بذلك قائلاً:

أوّل ما نشأت بين جدي ورّام ووالدي... وتعلّمت الخط والعربية، وقرأت علم الشريعة المحمدية... وقرأت كتباً في أُصول الدين... واشتغلت بعلم الفقه، وقد سبقني جماعة إلى التعليم بعدّة سنين، فحفظت في نحو سنة ما كان عندهم وفضلت عليهم.

ثم يقول: وابتدأت بحفظ الجمل والعقود... وكان الذي سبقوني مالأحدهم إلّا الكتاب الذي يشتغل فيه، وكان لي عدة كتب في الفقه من كتب جدي ورّام انتقلت إليّ من والدتي بأسباب شرعية في حياتها.

ثم يقول: فصرت أطالع بالليل كلّ شيء يقرأ فيه الجماعة الذين تقدموني بالسنين، وأنظر كلّ ما قاله مصنف عندي وأعرف ما بينهم من الخلاف على عادة المصنفين، واذا حضرت مع التلامذة بالنهار أعرف مالايعرفون واناظرهم.

ثم يقول: وفرغت من الجمل والعقود، وقرأت النهاية، فلما فرغت من الجزء

---

١ ـ كشف المحجة: الفصل التاسع.

الأوّل منها استظهرت على العلم بالفقه، حتّىٰ كتب شيخي محمدبن نما خطه لي على الجزء الاوّل وهو الآن عندي.

ثم يقول: فقرأت الجزء الثاني من النهاية أيضاً ومن كتاب المبسوط، وقد استغنيت عن القراءة بالكلية... وقرأت بعد ذلك كتباً لجماعة بغير شرح، بل للرواية المرضية... وسمعت مايطول ذكر تفصيله[1].

وهاجر السيد ابن طاووس رضوان الله تعالى عليه من الحلة إلى بغداد، وتزوج فيها من بنت الوزير ناصربن مهدي زهراء خاتون، واستوجب هذا الزواج أن يبقىٰ في بغداد مدة طويلة، كما ذكره في هذا الكتاب (كشف المحجة)[2].

وفي خلال تلك الفترة التي قضاها السيد في بغداد كان يتمتع بجاه كبير وعلو شأن عند المسؤولين آنذاك، حيث أنهم كثيراً ماعرضوا عليه أن يتولّىٰ المناصب الحكومية أو يكون رسولاً من قبل الخليفة المستنصر إلى بعض الملوك والرؤساء، إلّا أنه كان يرفض ذلك، لكي يتفرغ لعبادة الله تعالىٰ ويبتعد عن الدنيا وزخارفها.

وحينما طلب منه الخليفة المستنصر أن يقبل الوزارة، فإنّه رفضها معللاً رفضه بجواب المستنصر قائلاً:

اذا كان المراد بوزارتي علىٰ عادة الوزراء يمشّون أُمورهم بكل مذهب وكل سبب، سواء كان ذلك موافقاً لرضىٰ الله جلّ جلاله ورضى سيد الأنبياء والمرسلين أو مخالفاً لهما في الآراء، فإنك مَن أدخلته الوزارة بهذه القاعدة قام بماجرت عليه العوائد الفاسدة.

وإن أردتَ العمل في ذلك بكتاب الله جلّ جلاله وسنة رسوله صلّى الله عليه وآله، فهذا أمر لا يحتمله مَن في دارك ولامماليكك ولاخدمك ولاحشمك ولاملوك الأطراف، ويقال لك اذا سلكت سبيل العدل والانصاف والزهد: إنّ هذا علي بن طاووس علوي حسني ما أراد بهذه الأُمور إلّا أن يعرّف أهل الدهور أن الخلافة لوكانت إليهم كانوا علىٰ هذه القاعدة من السيرة، وان في ذلك رداً على الخلفاء من سلفك وطعناً عليهم، فيكون مراد همتك أن تقتلني في الحال ببعض أسباب الأعذار

---

١ ـ كشف المحجّة: الفصل الثالث والأربعون والمائة.

٢ ـ كشف المحجّة: الفصل السادس والعشرون والمائة.

والأحوال، فإذا كان الأمر يفضي إلى هلاكي بذنب في الظاهر، فهاأنا ذا بين يديك أصنع بي ما شئت قبل الذنب فأنت سلطان قادر[١].

ثم بعد هذه الحادثة رجع المصنف إلى الحلة، وبقي فيها مدة من الزمن، ثم انتقل الى النجف الاشرف وبقي فيها ثلاث سنين، ثم انتقل الى كربلاء ثم انتقل إلى بغداد سنة ٦٥٢ هـ وبقي فيها إلى حين احتلال المغول بغداد. فشارك أهلها في المصائب والمحن التي جرت من جراء ذلك الاحتلال الميشوم.

وكان في نيته أن ينتقل إلى سامراء ليجاور الإمامين العسكريين عليهما السلام، وليكون قد تشرّف بمجاورة الأئمة المعصومين عليهم السلام المدفونين في العراق، وعن ذلك يقول في هذا الكتاب (كشف المحجة):

وقد وقع في خاطري أنني ربما اذا تم لي مجاورة ـحرم الإمام الحسين عليه السلام ـ ثلاث سنين أستخير في أن أتشرف بمجاورة مولانا المهدي وأبيه وجده بسرّمَن رأى صلوات الله عليهم أجمعين، وهو أبلغ في العزلة بالكلية؛ لأنّه بعيد عن بلادنا ومعارفنا وكأنه صومعةً في برية، ورجوت اذا شرّفني الله بهذه الأمنية أن تكون هذه المجاورة في الثلاثة المشاهد النبوية ما سبقني أحد فيما أعلم إلى مثلها وإلى شرف فضلها، فماأعرف أحداً انتقل إلى كل مشهد منها بعياله كما انتقلت على ماأمكنني الله جلّ جلاله من افضاله ليكون ذلك وسيلة إلى أن يسكنونا في جوارهم في دار قرارهم ويشملونا بمبارهم، ويشركونا في مسارهم إن شاء الله تعالى[٢].

وفي سنة ٦٦١هـ ولي السيد ابن طاووس نقابة الطالبيين، وبقي فيها إلى أن وافاه الأجل المحتوم في سنة ٦٦٤هـ[٣].

اساتذته وشيوخه

(١) الشيخ أسعد بن عبد القاهر الأصفهاني.

(٢) بدر بن يعقوب المقرئ الأعجمي.

---

١ ـ كشف المحجة: الفصل الثلاثون والمائة.

٢ ـ كشف المحجة: الفصل الرابع والثلاثون والمائة.

٣ ـ انظر: بحار الأنوار ١٠٧: ٤٥، الكنى والألقاب ١: ٣٢٨.

(٣) تاج الدين الحسن بن علي الذربي.
(٤) الحسين بن أحمد السوراوي.
(٥) كمال الدين حيدربن محمدبن زيدبن محمدبن عبدالله الحسيني.
(٦) سديدالدين سالم بن محفوظ بن عزيزة السوراوي.
(٧) أبوالحسن علي بن يحيىٰ بن علي الحافظ.
(٨) شمس الدين فخار بن معد الموسوي.
(٩) نجيب الدين محمد السوراوي.
(١٠) أبو حامد محيي الدين محمدبن عبدالله بن زهرة الحسيني الحلبي.
(١١) أبو عبدالله محب الدين محمدبن محمود المعروف بابن النجار البغدادي.
(١٢) صفي الدين محمدبن معد الموسوي.
(١٣) الشيخ محمدبن نما.
(١٤) والده الشريف أبوابراهيم موسىٰ بن جعفربن محمدبن أحمدبن الطاووس.

تلامذته والراوون عنه

(١) ابراهيم بن محمدبن أحمدبن صالح القسيني.
(٢) أحمد بن محمد العلوي.
(٣) جعفربن محمّدبن أحمد بن صالح القسيني.
(٤) جعفربن نما الحلي.
(٥) الحسن بن داود الحلي.
(٦) العلاّمة الحلي الحسن بن يوسف بن المطهر.
(٧) السيّد عبد الكريم بن أحمد بن طاووس.
(٨) السيّد علي بن علي بن طاووس (ولد المصنّف).
(٩) عليّ بن عيسىٰ الاربلي.
(١٠) علي بن محمّدبن أحمدبن صالح القسيني.
(١١) محمّدبن أحمدبن صالح القسيني.
(١٢) محمّدبن بشير.

(١٣) الشّيخ محمّد بن صالح.

(١٤) السّيد محمّدبن علي بن طاووس (ولد المصنّف).

(١٥) يوسف بن حاتم الشامي.

(١٦) يوسف بن علي بن المطهّر (والد العلاّمة).

اطراء العلماء له

ذكر المصنّف رحمه الله وأطراه كل من تأخّر عنه، وكل مَن صنّف في حياة العلماء والعظماء والمؤلّفين نذكر منهم علىٰ سبيل المثال لا الحصر:

(١) ابن عنبة في عمدة الطالب قائلاً: رضي الدين أبوالقاسم علي، السّيد الزاهد صاحب الكرامات نقيب النقباء بالعراق [١].

(٢) العلاّمة الحلّي: قال في (منهاج الصلاح) في مبحث الاستخارة ـ ونقله عنه العلاّمة النوري في المستدرك ـ: السيّد السند رضي الدين علي بن موسىٰ بن طاووس وكان أعبد من رأيناه من أهل زمانه [٢].

(٣) الحر العاملي قائلاً: حاله في العلم والفضل والزهد والعبادة والثقة والفقه والجلالة والورع أشهر من أن يذكر، وكان أيضاً شاعراً أديباً منشئاً بليغاً [٣].

(٤) التفريشي في نقد الرجال قائلاً: من أجلاّء هذه الطائفة وثقاتها، جليل القدر، عظيم المنزلة، كثير الحفظ، نقي الكلام، حاله في العبادة والزهد أشهر من أن يذكر، له كتب حسنة [٤].

(٥) العلاّمة المجلسي قائلاً: السيد النقيب، الثقة الزاهد، جمال العارفين [٥].

(٦) أسد الله الدزفولي قائلاً: السيّد السند، المعظّم المعتمد، العالم، العابد

---

١ ـ عمدة الطالب: ١٩٠.

٢ ـ مستدرك الوسائل ٣:٤٦٩.

٣ ـ أمل الآمل ٢:٢٠٥.

٤ ـ نقد الرجال: ٢٤٤.

٥ ـ بحار الأنوار ١:١١٣.

الزاهد، الطيب الطاهر، مالك أزمة المناقب والمفاخر، صاحب الدعوات والمقامات، والمكاشفات والكرامات، مظهر الفيض السني، واللطف الجلي، أبي القاسم رضي الدين[١].

(٧) الشيخ النوري قائلاً: السيد الأصل الأكمل الأسعد الأورع الأزهد، صاحب الكرامات الباهرة رضي الدين أبوالقاسم وأبوالحسن علي بن سعدالدين موسىٰ بن جعفر آل طاووس، الذي ما اتفقت كلمة الأصحاب علىٰ اختلاف مشاربهم وطريقتهم علىٰ صدور الكرامات عن أحد ممن تقدمه أو تأخر عنه غيره[٢].

(٨) الشيخ عباس القمي في الكنىٰ والألقاب قائلاً: السيّد الأجل الأورع الأزهد، قدوة العارفين. كان رحمه الله مجمع الكمالات السامية، حتّىٰ الشعر والأدب والإنشاء، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء[٣].

(٩) عمر رضا كحالة في معجم المؤلّفين قائلاً: فقيه، محدّث، مورّخ، أديب، مشارك في بعض العلوم[٤].

مؤلفاته

من الصعب جداً الاحاطة بكل مؤلّفات السيّدابن طاووس ـ وإن كان رحمه الله كثيراً مايذكر أسماء مؤلّفاته في أغلب كتبه ـ لأنّه رحمه الله صرّح بنفسه أن هناك مختصرات ورسائل لاتخطر بباله عند ذكره لمصنفاته في كتاب الاجازات، حيث قال:

وجمعت، وصنّفت مختصرات كثيرة ماهي الآن علىٰ خاطري، وإنشاءات من المكاتبات والرسائل والخطب مالوجمعته أو جمعه غيري كان عدة مجلّدات، ومذاكرات في المجالس في جواب المسائل بجوابات واشارات وبمواعظ شافيات

---

١ ـ مقابس الأنوار: ١٢.

٢ ـ مستدرك الوسائل ٣: ٣٦٧.

٣ ـ الكنىٰ والألقاب ١: ٣٢٧.

٤ ـ معجم المؤلفين ٧: ٢٤٨.

مالوصنّفها سامعوها كانت مايعلمه الله جل جلاله من مجلّدات[١].

وماأذكره هنا لايمثل بالضرورة كل ماألّفه أو كتبه رحمه الله، بل ما عثرتُ عليه أثناء مطالعتي القاصرة:

(١) الإبانة في معرفة أسماء كتب الخزانة.

(٢) الإجازات لكشف طرق المفازات فيما يخصني من الإجازات.

(٣) الأسرار المودعة في ساعات الليل والنّهار.

(٤) أسرار الصلاة.

(٥) الاصطفاء في تأريخ الملوك والخلفاء.

(٦) إغاثة الداعي وإعانة الساعي.

(٧) الإقبال بالأعمال الحسنة فيما يعمل مرة في السنة.

(٨) الأمان من أخطار الأسفار والأزمان.

(٩) الأنوار الباهرة.

(١٠) البهجة لثمرة المهجّة.

(١١) التحصيل إلى التذييل.

(١٢) التحصين في أسرار مازاد على كتاب اليقين.

(١٣) التراجم فيما نذكره عن الحاكم.

(١٤) التعريف للمولد الشريف.

(١٥) التمام لمهام شهر الصيام.

(١٦) التوفيق للوفاء بعد التعريف في دار الفناء.

(١٧) جمال الاسبوع بكمال العمل المشروع.

(١٨) الدروع الواقية من الأخطار.

(١٩) ربيع الألباب.

(٢٠) روح الأسرار.

(٢١) ريّ الضمآن من مرويّ محمّدبن عبدالله بن سليمان.

١ ـ الإجازات المطبوع في بحار الأنوار ١٠٧: ٤٢.

(٢٢) زهرة الربيع في أدعية الأسابيع.
(٢٣) السعادات بالعبادات.
(٢٤) سعد السعود.
(٢٥) شفاء العقول من داء الفضول.
(٢٦) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف.
(٢٧) طرف من الأنباء والمناقب.
(٢٨) غياث سلطان الورىٰ لسكان الثرىٰ.
(٢٩) فتح الأبواب بين ذوي الألباب وبين ربّ الأرباب.
(٣٠) فتح الجواب الباهر.
(٣١) فرج المهموم في معرفة الحلال والحرام من علم النجوم.
(٣٢) فرحة الناظر وبهجة الخواطر.
(٣٣) فلاح السائل ونجاح المسائل.
(٣٤) القبس الواضح من كتاب الجليس الصالح.
(٣٥) الكرامات.
(٣٦) كشف المحجة لثمرة المهجة.
(٣٧) لباب المسرّة من كتاب مزار ابن أبي قرة.
(٣٨) المجتنىٰ.
(٣٩) محاسبة النفس.
(٤٠) المختار من أخبار أبي عمرو الزاهد.
(٤١) مسلك المحتاج إلى مناسك الحاج.
(٤٢) مصباح الزائر وجناح المسافر.
(٤٣) مضمار السيف في ميدان الصدق.
(٤٤) الملاحم والفتن.
(٤٥) الملهوف علىٰ قتلىٰ الطفوف.
(٤٦) المنتقىٰ.
(٤٧) مهج الدعوات ومنهج العنايات.

(٤٨) المواسعة والمضايقة.

(٤٩) اليقين باختصاص مولانا أمير المؤمنين علي عليه السّلام بإمرة المؤمنين.

وفاته ومدفنه

لم أجد اختلافاً في وفاته رضوان الله تعالىٰ عليه، فالمصادر الّتي رأيتها اتفقت على أنّه توفي في بغداد يوم الأثنين خامس ذي القعدة سنة ٦٦٤هـ.

إلّا ان الاختلاف وقع في مكان دفنه:

فالشيّخ يوسف البحراني في لؤلؤة البحرين يذهب إلى أن قبره غير معروف الآن[١].

والمحدّث النوري في المستدرك يقول: إن في الحلة في خارج المدينة قبة عالية في بستان نسب إليه ويزار قبره ويتبرك فيها، ولايخفىٰ بُعده لوكان الوفاة ببغداد، والله العالم[٢].

وعلّق السيّد محمّدصادق بحرالعلوم محقّق كتاب لؤلؤة البحرين قائلاً في هامش اللؤلؤة: في الحلّة اليوم مزار معروف بمقربة من بناية سجن الحلة المركزي الحالي، يعرف عند أهالي الحلة بقبر رضي الدّين علي بن موسىٰ بن جعفر بن طاووس، يزوره الناس ويتبركون به[٣].

وقال أيضاً: قال سيدنا العلاّمة الحجة السيد حسن الصدر الكاظمي رحمه الله في خاتمة كتابه تحيّة أهل القبور بما هو مأثور مانصه: وأعجب من ذلك خفاء قبر السيد جمال الدين علي بن طاووس صاحب الاقبال، مات ببغداد لما كان نقيب الأشراف بها ولم يعلم قبره، والّذي يعرف بالحلة بقبر السيد علي بن طاووس في البستان هو قبر ابنه السيد علي ابن السيد علي المذكور، فإنّه يشترك معه في الاسم واللقب[٤].

---

١ ـ لؤلؤة البحرين: ٢٤١.

٢ ـ مستدرك الوسائل ٣: ٤٧٢.

٣ ـ هامش لؤلؤة البحرين: ٢٤١.

٤ ـ هامش لؤلؤة البحرين: ٢٤٢.

وقال ابن الفوطي في الحوادث الجامعة: وفيها -أي في سنة ٦٦٤هـ- توفي السيّد النقيب الطاهر رضي الدين علي بن طاووس، وحمل إلى مشهد جده علي بن أبي طالب عليه السّلام، قيل: كان عمره نحو ثلاث وسبعين سنة[1].

ومما يؤيّد قول ابن الفوطي ويرجّحه -إضافة إلى دقته وضبطه حيث يعتبر أفضل من أرّخ حوادث القرن السابع- أن السيّد ابن طاووس عيّن في حياته موضع قبره حيث أوصى ان يدفن إلى جنب جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السّلام، فقال في كتاب فلاح السائل: وقد كنتُ مضيت بنفسي وأشرت إلى من حفر لي قبراً كما اخترته في جوار جدي ومولاي علي بن أبي طالب عليه السلام، متضيفاً ومستجيراً ووافداً وسائلاً وآملاً، متوسلاً بكل مايتوسل به أحد من الخلائق إليه، وجعلته تحت قدمي والديّ رضوان الله عليهما؛ لأني وجدت الله جلّ جلاه يأمرني بخفض الجناح لهما ويوصيني بالإحسان إليهما، فأردت أن يكون رأسي مهما بقيت في القبور تحت قدميهما[2].

---

١ - الحوادث الجامعة: ٣٥٦.

٢ - فلاح السائل: ٧٣.

مصادر الترجمة

ماأثبتناه في هذه المقدّمة من حياة المصنّف رحمه الله هو لمحة مختصرة جداً عن مسيرة حياته المباركة، ومَن شاء الاطلاع أكثر فعليه بالمصادر التاليه:

(١) الإجازات المطبوع في بحارالأنوار ١٠٧:٣٧:

للمولىٰ محمّدباقر المجلسي، ت ١١١٠هـ، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الثالثة.

(٢) الأعلام ٥:٢٦:

لخيرالدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السادسة سنة ١٩٨٤م.

(٣) أعيان الشيعة ٨:٣٥٨:

للسّيد محسن الأمين، ت ١٣٧١هـ، تحقيق السيد حسن الأمين، دارالتعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٣هـ.

(٤) أمل الآمل ٢:٢٠٥:

للشيخ محمّدبن الحسن الحر العاملي، ت ١١٠٤هـ، تحقيق السيد أحمد الحسيني، مطبعة الأداب، النجف الأشرف.

(٥) بحارلأنوار ١:١٣:

للمولىٰ محمّدباقر المجلسي، ت ١١١٠هـ، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الثالثة.

(٦) التعليقة: ٢٣٩:
للشيخ الوحيد البهبهاني، الطبعة الحجرية.
(٧) تنقيح المقال ٢: ٣١٠:
للشيخ عبدالله المامقاني، ت ١٣٥٩هـ، المطبعة المرتضويّة في النجف الأشرف ١٣٥٠.
(٨) جامع الرواة ١: ٦٠٣:
محمّد علي الأردبيلي الغروي الحائري، نشر مكتبة آية‌الله العظمىٰ المرعشي في قم، ١٤٠٣هـ.
(٩) روضات الجنّات ٤: ٣٢٥:
للميرزا محمّدباقر الموسوي الخوانساري الأصبهاني، المطبعة الحيدريّة، طهران ١٣٩٠هـ.
(١٠) سفينة البحار ٢: ٩٦:
للشيخ عباس القمي، ت ١٣٥٩هـ، النجف الأشرف، ١٣٥٥هـ، افسيت مروي، طهران.
(١١) عمدة الطالب: ١٩٠:
لجمال الدين أحمد بن علي بن الحسين بن علي بن مهنا بن عنبة الأصغر الداودي الحسيني، ت ٨٢٨هـ، مطبعة أمير، قم.
(١٢) الكنىٰ والألقاب ١: ٣٢٧:
للشيخ عباس القمي، ت ١٣٥٩هـ، مطبعة العرفان، صيدا ١٣٥٨هـ.
(١٣) لؤلؤة البحرين: ٢٣٥:
للشيخ يوسف بن أحمد البحراني ت ١١٨٦هـ، تحقيق السيّد محمّدصادق بحرالعلوم، نشر مؤسسة آل البيت(ع)، قم.
(١٤) مجمع البحرين ٤: ٨٣:
للشيخ فخرالدين الطريحي ت ١٠٨٥هـ، تحقيق السيد أحمد الحسيني، نشر المكتبة المرتضويّة لإحياء الآثار الجعفريّة، طهران.
(١٥) مستدرك الوسائل ٣: ٤٦٧:

للشيخ ميرزا حسين النوري ت ١٣٢٠هـ، الطبعة الحجرية.

(١٦) معجم المؤلّفين ٧: ٢٤٨:

لعمر رضا كحاله، دار احياء التراث العربي، بيروت.

(١٧) معجم رجال الحديث ١٢: ١٨٨:

للسيد أبي القاسم الخوئي ـ دام ظلّه ـ بيروت ١٤٠٣هـ.

(١٨) نقد الرجال: ٢٤٤:

للسيد مصطفى الحسيني التفريشي، انتشارات المصطفىٰ(ص)، طهران ١٣١٨هـ.

(١٩) هدية الأحباب: ٧٠:

للشيخ عباس القمي ت ١٣٥٩هـ، المطبعة الحيدريّة، النجف الأشرف، افسيت مكتبة الصدوق، طهران ١٣٦٢.

(٢٠) هدية العارفين ٥: ٧١٠:

لاسماعيل باشا البغدادي، افسيت دارالفكر، بيروت ١٤٠٢هـ.

النسخ الخطية المعتمدة في التحقيق

اعتمدنا في تحقيقنا لهذا السفر القيّم على نسختين خطيتين معتبرتين:

النسخة الأولىٰ: النسخة المحفوظة في مكتبة الإمام الرضا عليه السّلام في مدينة مشهد المقدّسة، تحت رقم ٨٢٥٧، وهي بخط النسخ، وتقع في اثنتين وتسعين ورقة، حجم كل ورقة ٢٠×١٥، وكل ورقة تحتوي على ١٧ سطر. وقد رمزنا لها بالحرف «ض».

استكتب هذه النسخة لنفسه المحدّث الشيخ النوري صاحب كتاب المستدرك ، ثم قابلها بنفسه مرّتين وأصلح ماوجده من أخطاء فيها، وذلك واضح وجلي مما كتبه الشيخ النوري بخطه الشريف في أول ورقة من هذه النسخة وآخرها:

في الورقة الأولىٰ كتب: كتاب كشف المحجة لثمرة المهجة تصنيف السيّد السعيد المؤيد المسدد الزاهد العابد، صاحب الكرامات الباهرة والمناقب الزاهرة،

فخر الفقهاء والمحدّثين، وأفضل المتأخرين والمتقدمين، رضي الدين أبي القاسم علي بن موسىٰ بن جعفر بن محمّد بن أحمد محمّد بن أحمد بن محمّد بن محمّد الطاووس بن اسحاق بن الحسن بن محمّد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السّلام جزاه الله عن الاسلام والمسلمين خير جزاء المحبتين المحسنين وحشره الله مع آبائه الطاهرين.

وهذا الكتاب أغنانا وجميع المترجمين عن ذكر فضائله ومناقبه. تولد في سنة ٥٨٩ وتوفي في سنة ٦٦٤، استكتبته لنفسي وفقني الله وجميع اخواني للنظر في معانيه والتدبر في مبانيه والعمل بمافيه. وأنا العبد المذنب المسيء حسين بن محمّد تقي النوري الطبرسي، نوّر الله قلبه بنور العلم والعمل قبل أن يختطفه حضور الأجل، وذلك في شهر التمحيص من سنة ١٢٨٠.

وفي هامش الورقة الأخيرة كتب المحدّث النوري رضوان الله تعالىٰ عليه ثلاث عبارات هي:

الأولىٰ: فرغ من مقابلته بعد استكتابه العبد المذنب المسيء حسين بن محمّد تقي الطبرسي في سحر ليلة الخامس والعشرين من شهر رمضان من سنة ثمانين ومائتين بعد الألف من الهجرة.

الثانية: لايخفىٰ أن النسخة التي قوبلت معها كانت فيها أغلاط، غيّرت ماتبيّن عندي منها وتركت الباقي اتكالاً علىٰ الناظر البصير خوفاً عن التبدل والتغيير وصلّىٰ الله على محمّد وآله أجمعين.

الثالثة: بلغ ثانياً فصح بحمد الله تعالىٰ في صفر من سنة ١٢٨٤. حرره المذنب المسيء حسين بن محمّد تقي النوري الطبرسي.

النسخة الثانية: النسخة المحفوظة في المكتبة العامة لآية الله العظمىٰ المرعشي النجفي «دام ظلّه الوارف» في مدينة قم المقدّسة، تحت رقم ٤٠٩٦، ومذكورة في فهرس الكتب الخطية للمكتبة ج١١ ص١١٣. وهذه النسخة كتبها بخط النسخ محمّد بن شمس الدين يحيىٰ ابن الجويني الحنفي وانتهىٰ من كتابتها في يوم الجمعة ١٢ شوال سنة ٨٩٣هـ في مدينة الحلة.

وتقع في ١٧٥ ورقة، كل ورقة تحتوي علىٰ ١٥ سطر، وحجم كل ورقة

١٧×١٢/٥ سم. وقد رمزنا لها بالحرف «ع».

وقد استفدنا من النسخة الحروفية المطبوعة في مدينة النجف الأشرف في المطبعة الحيدريّة في سنة ١٣٧٠هـ، والتي قدّم لها المتتبع الكبير الشيخ آغابزرگ الطهراني، حيث عرّف بالكتاب، وذكر ترجمة مختصرة لمؤلّفة.

منهجية التحقيق

اعتمدنا في تحقيق هذا الكتاب طريقة التلفيق بين النسختين الخطيتين اللّتين مرَّ وصفهما، فكان عملنا كما يلي:

(١) قابلت النسختين الخطيتين مع النسخة الحروفية المطبوعة سابقاً، وثبّت الصحيح أو الراجح في المتن، وأشرت إلى بعض الإختلافات بين النسختين في الهامش.

(٢) خرّجت الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث الشريفة، والأقوال التي ينقلها من كتب أُخرىٰ، والأشعار التي أوردها، إلّا تلك التي لم تتوفّر مصادرها عندنا.

(٣) ترجمت لبعض الأعلام المذكورين حسبما تقتضيه الحاجة.

(٤) عملت فهارس فنية كاملة، وفقاً للمنهجية الحديثة في التحقيق.

شكر وتقدير:

ختاماً أُقدّم جزيل شكري وتقديري لأخي العزيز الشيخ فارس الحسّون، حيث هيّأ لي النسخة الخطية المحفوظة في مكتبة الإمام الرّضا عليه السّلام في مدينة مشهد المقدّسة.

كما وأخصّ بالشّكر الجزيل والتقدير العميق زوجي السيدة أُم علي مشكور، حيث قابلت معي هذا الكتاب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

محمّد الحسّون

٢٠/ذي الحجّة المبارك/١٤١٠هـ

كشف المحجة لثمرة المهجة

تأليف

رضي الدين أبي القاسم
علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس
المتوفى سنة ٦٦٤هـ

تحقيق

الشيخ محمد الحسون

«بسم الله الرحمن الرحيم»

يقول عبد الله ومملوكه، السيد الجليل، الإمام النبيل، العالم العامل، الفقيه الكامل، العلاّمة الفاضل، الزاهد المتورّع المجاهد، أوحد دهره وفريد عصره رضي الدين ركن الإسلام والمسلمين، افتخار آل طه ويس، جمال العارفين، أفضل السادة، سيّد الشرفاء أبوالقاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن طاووس العلوي الفاطمي الداودي السليماني[1] بلّغه الله في الدارين مناه، وكبت أعداه بمحمّد وآله:

أحمدُ اللهَ جلّ جلاله ببيان المقال ولسان الحال، حمداً دائم الاتصال والكمال، وله جلّ جلاله المنّة في معرفة القلب واعترافه بافضاله، وعلى اطلاق اللسان بالثناء على جلاله، الذي ذكرني جلّ جلاله في الأزل الأول في مقدّر[2] اختياره لإيجادي، ثمّ زاد جلّ جلاله في اسعادي وانجادي، بأن أخرجني من العدم إلى الوجود، في ذخائر أرض صان لسان حالها عن هوان الجحود، حيث قال لها وللسماوات: ائتيا طوعاً أو كرهاً، قالتا: أتينا طائعين.

---

١ ـ في هامش نسخة (ض): قدّس الله نفسه وطهر رمسه (خ ل).

٢ ـ في هامش نسخة(ض): مقدس (خ ل).

ثم أكرم خلقي بأن جعله في حرم[1] حرمة أول من اصطفاه من النبيين، وأسجد له ملائكته أجمعين.

ثم نقلني في خزائن السلامة والعناية التامة من أصلاب الآباء إلى بطون الأُمهات، ملحوظاً بالعنايات، محفوظاً من الآفات التي جرت على الأُمم الهالكات، مصوناً عن طعن الأنساب ووهن الأسباب، بدليل أنّه جلّ جلاله جعلني من ذريّة سيد المرسلين وخاتم النبيين وأفضل العالمين، ومن فروع أكمل الوصيين وإمام المتّقين والكاشف بالإذن المقدس المكين أسرار ربّ العالمين، ومن ثمرة فؤاد سيدة نساء الأوّلين والآخرين، الذين تولىٰ الله جلّ جلاله تزكية أعراقهم الطاهرة، وتنمية أخلاقهم الباهرة، فكل شرف سبق لهم صلوات الله عليهم بالولادات وكمال الآباء والأُمهات، فقد دخلنا معهم عليهم السّلام في تحف تلك السعادات والعنايات، ومن جملة فوائد تلك الأُصول ماسيأتي في الفصول.

---

١ ـ في هامش نسخة(ض): حمىٰ (خ ل).

الفصل الأوّل

اعلم أنني ماأقول هذا غفولاً عن الشرف بالتقوى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1]، ولكن سلامة الأعقاب من الطعن والبلوىٰ من أفضل نعم الله جلّ جلاله، التي أمر جلّ جلاله بالاعتراف بقدرها، وحث في القرآن الشريف على الحديث بها ونشرها ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[2].

الفصل الثّاني

وقد تضمّنت كتب الأخبار ومقالات الأخيار، أن تعداد النعم بطهارة الأُصول وسلامتها من الوهن المرذول من مهمات المأمول، ودلالات الإقبال والقبول بشهادة المعقول والمنقول.

الفصل الثالث

وليس هذا من باب التزكية لنفس الإنسان التي منع منها ظاهر القرآن[3]،

---

١ ـ الحجرات: ١٣.

٢ ـ الضحىٰ: ١١.

٣ ـ اشارة لقوله تعالىٰ في سورة النجم: ٣٤ ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾.

لأننا اعترفنا بها لله جلّ جلاله صاحب الاحسان، ولأنّ لو منع عقل أو نقل عن أمثال هذا المقال، كان قد حرم على أهل الإسلام مدح أبيهم آدم على نبينا وعليه السّلام، وكان قد حرم على ذريّة محمّد صلوات الله عليه وآله مدحه وتعظيمه على فعاله ومقاله لأنّه جدهم، والمدح له مدح لأعراقهم الجليلة، وتزكية لأُصولهم الجميلة.

الفصل الرابع

فترى كلّ ذي حسب ونسب يودُّ لو أن حسبه ونسبه من أحسابنا وأنسابنا النبويّة، ولا نجد أبداً نسباً ولا حسباً خيراً من أحسابنا وأنسابنا الزكية، فنتمنى أو نرضى أن تكون جميع أعراقنا منه أو أننا تفرعنا عنه.

الفصل الخامس

ثم شرّفني الله جلّ جلاله من لدن سلفي الأطهار، محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين وزين العابدين، ومَن ولدني من الأبرار بآباء وأُمهات وأجداد وجدّات، وجدتُ أهل العلم و الأمانات[١]، ممن يعتمد عليهم وقد أطبقوا على الثناء عليهم، وقد ذكرتُ من ذلك الثناء طرفاً جليلاً في كتاب (الأصطفاء)[٢].

الفصل السادس

ثم أخرجني الله جلّ جلاله الى الوجود الحاضر بفضله الباهر على سبيل الاكرام في دولة الإسلام، التي هي أشرف دول الأيّام، بعد أن أشرقت بجدي محمّد صلوات الله وسلامه عليه وآله أنوار شموسها، وأطلقت بيد نبوته من قيود نحوسها، وعُتقت بهدايته من رق ضرها وبؤسها.

---

١ ـ في هامش نسخة(ض): والآثار. (خ ل).

٢ ـ (الإصطفاء في تأريخ الملوك والخلفاء)، ذكر فيه طرفاً جليلاً من مناقب السادات.

انظر: الذريعة ٢: ١٢١ رقم ٤٨٦.

الفصل السابع

ثم جعل الله جلّ جلاله اخراجي إلى هذا الوجود بين آباء ظافرين من العقائد بمراد المعبود وفي بلد منشأ أهله من الفرقة الناجية، ويقرب من أعلام تعظيم المشاهد المعظّمة السامية.

الفصل الثامن

وكان من النعم التي أمر الله جلّ جلاله بالحديث بها والتعظيم لها، أنّه جلّ جلاله ألهمني معرفته بطريق لايحتمل خطر التلبيس، ولايشتمل على كدر التدليس، ومن عرفني بالعيان ونور الايمان، وجد لسان الحال مصدقاً هذا المقال، واستغنى بالوجدان عن إقامة البرهان، وقد أشرت في بعض كتب اغترفتها من بحار كرم المالك اللطيف إلى طرف من كيفيّة ذلك التعريف، وله جلّ جلاله الحمد الكامل السرمد، حمداً كما هو جلّ جلاله له أهل لايحصى ولايعد.

الفصل التاسع

فلما دخلتْ سنة تسع وأربعين وستمائة هجرية، ويوم النصف من محرمها قبيل الظهر، يكون ابتداء دخولي في سنة إحدى وستين من عمري هلالية؛ لأنّني ولدتُ قبل ظهر يوم الخميس نصف محرم سنة تسع وثمانين وخمسمائة في بلدة الحلة السيفية، وكان ولدي محمّد قد دخل في السنة السابعة من عمره الموهوب بلّغه الله جلّ جلاله نهايات المطلوب، لأنّه أطال الله جلّ جلاله في حياته ولد بعد مضي ساعتين وخمس دقائق من يوم الثلاثاء تاسع محرم سنة ثلاث وأربعين وستمائة ببلدة الحلة كمّله الله جلّ جلاله بدوام عناياته.

وكان ولدي علي شرّفه الله جلّ جلاله بطول مدته وأتحفه بكرامته قد دخل في السنّة الثالثة من عمره وولادته، ولد بعد مضي ثانيتين وست عشرة دقيقة من يوم الجمعة ثامن محرم سنّة سبع وأربعين وستمائة؛ بمشهد مولانا علي صلوات الله عليه وهما وديعتي عند الله جلّ جلاله وتسليمي إليه.

فوجدتُ في خاطري في شهر محرّم من السنة المقدم ذكرها، البالغة بعمري إلى احدى وستين، باعثاً رجوت أن يكون من مراحم أرحم الراحمين، أنني أُصنّف كتاباً على سبيل الرسالة مني إلى ولدي محمّد وولدي علي ومن عساه ينتفع به من جماعتي وذوي مودتي، قبل ان يحول بيني وبين أُمنيتي مالابد من لقائه من انتقالي

إلى آخرتي، واعتبرتُ هذا الخاطر بالاستخارة الصادرة عن الاشارة الإلٰهية، فرأيته موافقاً لما رجوته من المراحم الربانيّة.

الفصل العاشر

وكنتُ قد رأيت ورويتُ في تواريخ الأنبياء والأوصياء وصايا لمن يعزّ عليهم صلوات الله عليهم، ووجدتُ سيدنا محمّد الأعظم ورسوله الأكرم قد أوصى مولانا وأبانا علياً المعظم صلوات الله عليهما وآلهما، وأوصى كل منهما جماعة ممن يعزّ عليهما، ووجدتُ وصايا مشهورة لمولانا علي صلوات الله عليه إلى ولده العزيز عليه السّلام وإلى شيعته وخاصته.

ووجدت جماعة ممن تأخّر زمانهم عن لقائه قد أوصوا برسائل إلى أولادهم، دلّوهم بها على مرادهم، منهم محمّدبن أحمد الصفواني[1]، ومنهم علي بن الحسين بن بابويه[2]، ومنهم محمّدبن محمّدبن النعمان[3] تغمدهم الله برحمته ورضوانه، ومنهم

---

١ ـ محمدبن أحمدبن عبدالله بن قضاعة بن صفوان بن مهران الجمّال، مولىٰ بني أسد، أبو عبدالله، شيخ الطائفة، ثقة، فقيه، فاضل، كانت له منزلة عند السلطان، وله مناظرة لطيفة مع قاضي الموصل في الإمامة. قاله النجاشي رقم ١٠٥٠، وذكر أن له عدة كتب منها: ثواب الأعمال، الرد على ابن رباح الممطور، الرد علىٰ الواقفة، الغيبة وكشف الحيرة، الرد علىٰ أهل الأهواء.

وذكره ابن النديم في الفهرست في الفن الخامس من المقالة الخامسة وقال: كان أُمّياً لقيته في سنة ٣٤٦، وكان رجلاً طوّالاً معرقاً حسن الملبس.

انظر: أعيان الشيعة ٩:١٠٣، رجال النجاشي رقم ١٠٥٠، الفهرست لابن النديم: ٢٤٧.

٢ ـ أبو الحسن، علي بن الحسين بن موسىٰ بن بابويه القمي شيخ الطائفة في عصره، ومتقدمهم وفقيهم وثقتهم، كان قدم العراق واجتمع مع أبي القاسم الحسين بن روح رحمه الله وسأله مسائل، ثم كاتبه بعد ذلك على يد علي بن جعفر بن الأسود، يسأله أن يوصل له رقعة الى الصاحب عليه السلام، ويسأله فيها الولد، فولد له أبوجعفر وأبو عبدالله من أمّ واحدة. له عدة كتب منها: التوحيد، الوضوء، والصلاة، الجنائز، الإمامة والتبصرة من الحيرة.

وذكره ولده الشيخ الصدوق رحمه الله في كمال الدين في ذكر التوقيعات الواردة عن القائم عليه السلام.

ومات رحمه الله في سنة ٣٢٩هـ.

انظر: رجال النجاشي رقم ٦٨٢، الفهرست لابن النديم: ٢٤٦، كمال الدين وتمام النعمة ٢:٥٠٢.

٣ ـ أبو عبدالله، محمدبن محمدبن النعمان، المعروف بـ(ابن المعلم) والملقّب بـ(المفيد)، اجتمعت فيه خلال

مصنّف كتاب الوسيلة الى نيل الفضيلة[1]، وهو كتاب جيد فيما أشار إليه رحمة الله عليه.

فرأيتُ ذلك سبيلاً مسلوكاً للأنبياء والأوصياء والأولياء والعلماء، فامتثلتُ أمر الله جلّ جلاله في المتابعة لهم والاقتداء بهم والاهتداء [بنورهم].[2]

الفصل الحادي عشر

ووجدتُ الله جلّ جلاله قد آثر ولدي الأكبر محمّداً على سائر ولدي بمهمات، مما جعله جلّ جلاله ملكاً في يدي، وخصّه بمصحفي وسيفي وخاتمي وثياب جسدي، فرأيت أن هذا الايثار والاختصاص تنبيه عند من يريد المعاملة لله جلّ جلاله بالاخلاص، على أني اوثر ولدي هذا محمّداً، وأخصّه من ذخائر واهب العقول والقلوب مما أرجو أن يكون مراداً لعلاّم الغيوب، وجامعاً بينه وبين

الفضل، وانتهت إليه رئاسة الكل، اتفق الجميع على فضله وفقهه وعدالته وثقته وجلالته، له مؤلفات كثيرة منها المقنعة في الفقه. وقال النجاشي في رجاله بعد ذكر نسبه إلى يعرب بن قحطان: شيخنا واستاذنا رضي الله عنه، فضله أشهر من أن يوصف في الفقه والكلام والرواية والعلم. مات سنة ٤١٣هـ.

انظر: أعيان الشيعة ٩: ٤٢٠، رجال الشيخ الطوسي: ٥١٤، رجال النجاشي: ٣١١، الفهرست: ١٥٧.

١ـ «الوسيلة إلى نيل الفضيلة»: كتاب فقهي فتوائي، على غرار الرسائل العملية المعروفة في أيامنا هذه ضمّنه مصنفه جميع أبواب الفقه في أثواب لها من تحقيقاته الجميلة، فهو من أحسن المتون الفقهية ترتيباً وتهذيباً. طبع على الحجر ضمن الجوامع الفقهية، ثم طبع حروفياً في كلية الفقه في النجف الأشرف، وقد قمنا بتحقيقه سابقاً معتمدين على ثلاث نسخ خطية جيدة، وطبعته المكتبة المرعشية في مدينة قم المقدسة سنة ١٤٠٨هـ.

ومؤلّف هذا الكتاب هو الشيخ الفقيه المتكلم الأمين أبوجعفر الرابع عمادالدين محمدبن علي الطوسي المشهدي، المشتهر بالعماد الطوسي المشهدي، والمكنى عند فقهائنا بـ(ابن حمزة). وهو من أعلام النصف الثاني من القرن السادس، له عدة مؤلفات منها: الواسطة، الرائع في الشرائع، الثاقب في المناقب. توفي في كربلاء ودفن خارجها في الطريق المؤدي الى مدينة الهندية.

انظر: أعيان الشيعة ٢: ٢٦٣، أمل الآمل: ٢٨٥ و٣٦١، بحار الأنوار ١: ٣٨ و١٠٨: ٧٦، تنقيح المقال ٣: ١٥٦، جامع الرواة ٢: ١٥٤، رجال أبوعلي: باب الكنى، رياض العلماء ٦: ١٦، الكنى والألقاب ١: ٢٥٧، فهرست أسماء علماء الشيعة ومصنفيهم: ١٦٤، معالم العلماء: ١٤٥.

٢ـ لم ترد في نسختي (ض) و(ع) أوردناها من الطبعة السابقة.

كل محبوب فيما يكون مناسباً لما خصه الله جلّ جلاله من تركتي على سائر ورثتي، فإن له في هذه الرسالة على مايدل المصحف الشريف عليه من معرفة صاحب الجلالة والمؤيّد بالرسالة ومايريد منه وله من السعادة الباهرة وحفظ النعم الباطنة والظاهرة.

وأخصه في هذا الكتاب بما يكون كالسيف الذي يدفع به أعداء مولاه الذين يريدون أن يشغلوه عن رضاه، وبما يكون كالخاتم الذي يختم به على أفواه قدرة الناطقين بالشواغل عن معاده، ويختم به على جوارحه أن تسعى في غير مراده، وبما يكون منها كالخلع التي خلعها الله جلّ جلاله على مهجَتي، ليسلمني بها من الحر والبرد، ويصون بها ضرورتي.

فأوثره من الخلع الشريفة والملابس المنيفة، التي خلعها الله جلّ جلاله على الالباب، وجعلها جُنناً ودروعاً واقية من العذاب والعار، وجعل منها ألوية للملوك الرّكاب إلى دوام نعيم دار الثواب. ومن خلع السرائر والخواطر والقلوب مايبقى جمالها عليه مع فناء كل ملبس مسلوب.

الفصل الثاني عشر

ووجدت اولادي الذكور قد وفّر الله جلّ جلاله نصيبهم من تركتي على البنات، فوفّرت نصيبهم من ذخائر السعادات والعنايات.

الفصل الثالث عشر

وقد سميّته كتاب (كشف المحجة لثمرة المهجة)، وإن شئت فسمّه كتاب (اسعاد ثمرة الفؤاد على سعادة الدنيا والمعاد)، وإن شئت فسمّه كتاب (كشف المحجة بأكف الحجة). وسوف أُرتّبه بالله جلّ جلاله في فصول، بحسب مايجريه على عقلي وقلبي ولساني وقلمي واهب العقول، فأقول مستمليأ من فائض بحور علومه جلّ جلاله لذاته الزاخرة الباهرة، ماأرجو به لي ولأولادي ولغيرهم من سعادة الدنيا والآخرة:

الفصل الرابع عشر

فيما أذكره من العذر في الاقتصار في الوصية على المواهب العقلية، دون استيفاء الأحكام الشرعية:

اعلم أن جماعة ممن عرفته من المصنفين اقتصروا على المعروف والمألوف من آداب وأسباب في وصايا أولادهم تتعلّق بالدنيا والدين، ورأيت أنا أن متابعتهم في تلك الأسباب تضيع لوقتي، إذ كان يكفي أن أدلّهم على تلك الكتب ومافيها من الآداب، وماكنتُ أن احتاج إلى أن أتكلّف تصنيف كتاب، وإنّما أذكر ماأعتقد أنّه أو أكثره مما لايوجد في رسائل مَن ذكرت من أصحابنا العلماء في تصانيفهم لأولادهم، مما أخاف أنّ أولادي لايظفرون من غير كتابي هذا بمرادهم لدنياهم ومعادهم، إلّا أن يتداركهم الله جلّ جلاله، الذي هو بهم أرحم وعليهم أكرم ـمن خزانته ـ و(عَلَّمَ الانْسانَ مٰالَمْ يَعْلَمْ)[1].

الفصل الخامس عشر

فيما أذكره من التنبيه[2] على معرفة الله جلّ جلاله والتشريف بذلك التعريف:

اعلم ياولدي محمّد وجميع ذريّتي وذوي مودتي، أنني وجدتُ كثيراً ممن رأيته وسمعتُ به من علماء الإسلام، قد ضيّقوا على الأنام ماكان سهّله الله جلّ جلاله ورسوله صلّى الله عليه وآله من معرفة مولاهم ومالك دنياهم و أُخراهم، فإنك تجد كتب الله جلّ جلاله السالفة والقرآن الشريف مملوء من التنبيهات على الدلالات على معرفة مولاهم ومالك دنياهم، محدث الحادثات ومغيّر المتغيّرات ومقلّب الأوقات.

---

١ ـ العلق: ٦.

٢ ـ في نسخة (ض): تنبيه.

وترى علوم سيّدنا خاتم الأنبياء، وعلوم مَن سلف من الأنبياء صلوات الله عليه وآله وعليهم على سبيل كتب الله جلّ جلاله المنزلة عليهم في التنبيه اللطيف والتشريف بالتكليف. ومضى على ذلك الصدر الأوّل من علماء المسلمين وإلى أواخر أيّام مَن كان ظاهراً مَن الأئمّة المعصومين عليهم السّلام أجمعين.

فإنّك[١] تجد من نفسك بغير اشكال أنك لم تخلق جسدك ولا روحك ولاحياتك ولاعقلك، ولاماخرج عن اختيارك من الآمال والأحوال والآجال، ولاخلق ذلك أبوك ولاأُمك، ولامن تقلّبت بينهم من الآباء والأمهات؛ لأنّك تعلم يقيناً أنّهم كانوا عاجزين عن هذه المقامات، ولوكان لهم قدرة على تلك المهمات ماكان قد حيل بينهم وبين المرادات، وصاروا من الأموات، فلم تبق مندوحة أبداً عن واحد منزّه عن امكان المتجددات خلق هذه الموجودات، وإنّما تحتاج إلى أن تعلم ماهو عليه جلّ جلاله من الصفات.

أقول: ولأجل شهادات العقول الصريحة، والأفهام الصحيحة بالتصديق بالصانع أطبقوا جميعاً على فاطر وخالق، وإنّما اختلفوا في ماهيته وحقيقة ذاته، وفي صفاته بحسب اختلاف الطرائق.

اقول: وانني وجدت قد جعل الله جلّ جلاله في جملتي حكماً[٢] أدركته عقول العقلاء، فجعلني من جواهر وأعراض، وعقل روحاني، ونفس وروح. فلوسألت بلسان الحال الجواهر التي في صورتي: هل كان لها نصيب من خلقي وفطرتي؟! لوجدتها تشهد لي بالعجز والافتقار، وأنها لوكانت قادرة على هذا المقدار مااختلف عليها الحادثات والتغيرات والتقلبات، ووجدتها معترفة أنها ماكان لها حديث يفترى في تلك التدبيرات، وأنها ماتعلم كيفية مافيها من التركيبات، ولاعدد ولاوزن ماجمع فيها من المفردات.

ولوسألت بلسان الحال الأعراض، لقالت: أنا أضعف من الجواهر؛ لأنني

---

١ ـ في نسخة(ع): فأنت.

٢ ـ في هامش نسخة (ع): علماً (خ ل).

فرع عليها، فأنا أفقر منها؛ لحاجتي إليها.

ولوسألت بلسان الحال عقلي وروحي ونفسي، لقالوا جميعاً: أنت تعلم أن الضعف يدخل على بعضنا بالنسيان، وبعضنا بالموت، وبعضنا بالذل والهوان، واننا تحت حكم غيرنا ممن ينقلنا كما يريد من نقص إلى تمام ومن تمام إلى نقصان، ويقلّبنا كما يشاء مع تقلبات الأزمان.

فإذا رأيت تحقيق هذا من لسان الحال، وعرفت تساوي الجواهر والأعراض، وتساوي معنى العقول والأرواح والنفوس وسائر الموجودات والأشكال، تحققت أن لنا جميعاً فاطراً وخالقاً، منزّهاً عن عجزنا وافتقارنا وتغيّراتنا وانتقالاتنا وتقلباتنا. ولودخل عليه نقصان في كمال أو زوال، كان محتاجاً ومفتقراً افتقار[1] مثلنا إلى غيره بغير اشكال.

وقد تضمّن كما ذكرت لك كتاب الله جلّ جلاله، وكتبه التي وصلت إلينا، وكلام جدك رسول الله ربّ العالمين، وكلام أمير المؤمنين، وكلام عترتهما الطاهرين، من التنبيه على دلائل معرفة الله جلّ جلاله بما في بعضها كفاية لذوي الألباب وهداية إلى أبواب الصواب.

الفصل السادس عشر

فانظر في كتاب (نهج البلاغة) ومافيه من الأسرار، وانظر (كتاب المفضّل بن عمر)[2]، الّذي أملاه عليه مولانا الصادق عليه السّلام فيما خلق الله جلّ جلاله من

---

١ ـ لم ترد في نسخة (ع).

٢ ـ وهو كتاب التوحيد، المعروف والمشهور بين العلماء، وقد سمّاه النجاشي في رجاله بكتاب الفكر، وسمّاه بعض الفضلاء بكنز الحقائق والمعارف، وهذا الكتاب والذي بعده (الاهليلجة) كلاهما من إملاء الإمام الصادق عليه السلام.

وقد اختلف الأصحاب في المفضل بن عمر الجعفي، فوثقه الشيخ المفيد في الإرشاد، وجعله ممن روى النص عن أبي عبدالله عليه السلام على ابنه أبي الحسن موسى الكاظم عليه السلام، وقال عنه: إنه من شيوخ أصحاب أبي عبدالله عليه السلام وخاصته وبطانته وثقاته، ومن الفقهاء الصالحين.

←

الآثار، وانظر كتاب الاهليلجة[1] ومافيه من الاعتبار، فإن[2] الاعتناء بقول سابق الأنبياء والأوصياء والأولياء عليهم أفضل السّلام موافق لفطرة العقول والأحلام.

الفصل السابع عشر

وإيّاك وماعقدتْ المعتزلة[3] ومن تابعهم على طريقتهم البعيدة من اليقين، فانني اعتبرتها فوجدتها كثيرة الاحتمال لشبهات المعترضين، إلّا قليل منها سلكه أهل الدين.

وبيان ذلك: انّك تجد ابن آدم إذا كان له نحو من سبع سنين وإلى قبل بلوغه إلى مقام المكلّفين، لو كان جالساً مع جماعة فالتفت إلى ورائه، فجعل واحد منهم بين يديه شيئاً مأكولاً أو غيره من الأشياء، فإنّه اذا رآه سبق إلى تصويره والهامه أن ذلك المأكول أو غيره ماحضر بذاته وانّما أحضره غيره، ويعلم ذلك على غاية

وذكره الشيخ الطوسي رحمه الله في كتاب الغيبة من قوّام الأئمة، وقال: كان محموداً عندهم ومضىٰ علىٰ منهجهم.

وضعّفه الغضائري حيث قال: متهافت مرتفع القول خطابي، وضعّفه النجاشي أيضاً في رجاله. وفصّل القول فيه وفي الأقوال الواردة فيه الشيخ المامقاني في تنقيح المقال.

انظر: الإرشاد: ٢٨٨، تنقيح المقال ٣: ٢٣٨، الذريعة ٤: ٤٨٢، رجال الشيخ الطوسي: ٣١٤ في أصحاب الإمام الصادق عليه السلام و٣٦٠ في رجال أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام، رجال النجاشي: رقم ١١١٣، الغيبة: ٢١٠.

١ - قال الشيخ الطهراني في الذريعة ٢: ٤٨٤: (كتاب الاهليلجة في التوحيد) رسالة من الإمام الصادق أبي عبدالله جعفربن محمد عليهما السلام، كتبها في جواب ماكتبه إليه المفضل بن عمر الجعفي سأله فيه أن يكتب رداً علىٰ الملحدين المنكرين للربوبية واحتجاجاً عليهم.

٢ - ورد في هامش نسخة (ع): فإن طريقة الأنبياء والأوصياء (خ ل).

٣ - المعتزلة: ويسمّون: أصحاب «العدل»، و«التوحيد» ويلقّبون بـ«القدرية» و«العدلية»، وقد جعلوا لفظ «القدرية» مشتركاً، وقالوا: لفظ «القدرية» يطلق على من يقول بالقدر، خيره وشرّه من الله تعالىٰ، احترازاً من وصمة اللقب، إذ كان الذمّ به متفقاً عليه؛ لقول النبي عليه السلام: «القدرية مجوس هذه الأُمّة».

الملل والنحل: ٤٩.

عظيمة من التحقيق والكشف والضياء والجلاء.

ثم إذا التفت مرة أُخرى إلى ورائه فأخذ بعض الحاضرين ذلك من بين يديه، فإنّه إذا عاد والتفت إليه ولم يره موجوداً فلايشك أنّه أخذه أحد سواه. ولوحلف له كل من حضر أنه حضر ذلك الطعام بذاته وذهب بذاته، كذّب الحالف وردّ عليه دعواه.

فهذا يدلك على أن فطرة ابن آدم ملهمة معلّمة من الله جلّ جلاله، بأن الأثر دلّك [١] دلالة بديهية على مؤثّره بغير ارتياب، والحادث دلك على محدثه بدون حكم أُولي الألباب.

فكيف جاز أن يعدل ذوو البصائر عن هذا التنبيه الباهر القاهر عند كمال العقول إلى أن يقولوا للانسان الكثير الغفول ـ وقد علموا أنّه قد نشأ في بلاد الاسلام، ورسخ في قلبه حب المنشأ لدين محمّد عليه السّلام، وأنس بسماء المعجزات والشرائع والأحكام، وصار ذلك له عادة ثابتة [٢] قوية معاضدة لفطرته الأزلية ـ: إنّك مالك طريق إلى معرفة المؤثر والصانع، الذي قدكان عرفه معرفة مجملة بأثره قبل ارشاده، لابنظره في الجوهر والجسم والعرض وتركيب ذلك على وجه يضعف عنها كثيرمن اجتهاده.

ثم ان أُستاذه، أو الذي يقول له هذا القول معتقد لدين المسلمين، ويدّعي أنه من العلماء والمعلمين، وهو يجد في القرآن الشريف: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدينِ حَنيفاً فِطْرَةَ اللهِ الَّتي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها﴾ [٣]، فهل ترىٰ ياولدي محمّد أنه يجوز لمسلم أن يطعن بعد هذه الدلالة المشار إليها، ويسترها عمن هو محتاج إلى التنبيه عليها، ويعلم مَن ولد على الفطرة ولايعرفه المنة عليه في تلك الهداية التي مَنّ الله عليها [٤].

---

١ ـ في نسخة(ع): دالّ.

٢ ـ في هامش نسخة(ع): فطره ثانية (خ ل).

٣ ـ الروم: ٣٠.

٤ ـ في هامش نسخة (ع): التي فطرها الله عليها (خ ل).

ثم هو يتلو ويسمع ويعلم أن الله جلّ جلاله يقول لسيد المرسلين صلّى الله عليه وآله: (يَمُنُّونَ عَلَيكَ أنْ أسْلَموا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ اسلامَكُمْ بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيكُمْ أنْ هَداكُمْ لِلايمانِ إن كنتُمْ صادِقين)[١].

وقال الله جلّ جلاله (وَلولا فَضلُ اللهِ عَلَيكُمْ وَرَحْمَتُهُ مازكى مِنكُمْ مِنْ أحَدٍ أبَداً)[٢].

فهل ترى ياولدي المعرفة بالله، إلّا من الله وبالله، وأنه جلّ جلاله هو الذي هدى[٣] للايمان بمقتضى القرآن[٤]، وانّه هو صاحب المنة في التعريف، وأنّه لولا فضله ورحمته مازكى من أحد في تكليف.

الفصل الثامن عشر

ومما يدلك ياولدي،جمّلك الله جلّ جلاله بإلهامك وإكرامك، وجعلك من أعيان دار دنياك ودار مقامك، أن المعرفة محكوم بحصولها للانسان دون ماذكره أصحاب اللسان، لأنّهم لوعرفوا من مكلّف ولد على الفطرة حرّ عاقل عقيب بلوغه ورشده بأحد أسباب الرشاد أنّه قد ارتد بردة، يحكم فيها ظاهر الشرع بأحكام الارتداد، وأشاروا بقتله وقالوا: قد ارتد عن فطرة الاسلام، وتقلدوا اباحة دمه وماله، وشهدوا أنّه كفر بعد اسلام، فلولا أنّ العقول قاضية بالاكتفاء والغناء بايمان الفطرة، ودون ماذكروه من طول الفكرة، كيف كان يحكم على هذا بالردة، وقد عرفوا أنّه مايعلم حقيقة من حقائقهم[٥] ولاسلك طريقاً من طرائقهم، ولا تردد إلى معلّم من علماء المسلمين، ولافهم شيئاً من ألفاظ المتكلمين.

ولو اعتذر إليهم عن معرفة الدليل، بالأعذار التي أوجبوها عليه من النظر

---

١ ـ الحجرات: ١٨.

٢ ـ النور: ٢١.

٣ـ في هامش نسخة (ض): يهدي (خ ل).

٤ ـ اشارة لقوله تعالى في سورة ابراهيم عليه السلام: (فَيُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشاءُ وَيَهدي مَنْ يَشاءُ وَهُوَ العَزيزُ الحَكيمُ).

٥ ـ في نسخة(ع): طريقاً من طرائقهم.

الطويل، ماقبلوها منه، ونقضوا ما كانوا أوجبوه وخرجوا عنه.

الفصل التاسع عشر

وكيف كان الله جلّ جلاله يبيح دمه وماله وماأحسن به إليه، ومامضى عليه من الزمان بعد بلوغ رشاده مايكفيه لتعلّمه من استاذه ومن ملازمته وتردده، والله جلّ جلاله أرحم من الخلق كلّهم بعباده، وماأباح دمه إلاّ وقد اكتفى منه بما فطره عليه، وبما يسعه بأقل زمان بعد ارشاده لاعتقاده.

الفصل العشرون

ومما يدلك ياولدي محمّد شرّفك الله بأجمل العناية بمثلك، ووصل حبله المقدّس بحبلك، على أن القوم يتوافقون[1] وإنّما يقولون قولاً ماأعلم عذرهم فيما يقولون، إننا رأينا وسمعنا وعرفنا عنهم إذا بقوا بعد البلوغ والتكليف مدّة من أعمارهم على الفطرة الأزلية، والمعرفة الصادرة عن التنبيهات العقلية والنقلية، ثم اشتغلوا بعد مدّة طويلة بعلم الكلام، وبما تجدد بعد الصدر الأول من قواعدهم في صدر الاسلام، وعلموا منه مالم يكونوا يعلمونه، فاننا نراهم ونعلم من حالهم أنّهم لايبطلون شيئاً من تكليفهم الأول بالشرعيات ولاينقضونه، فلو كانت معرفتهم بالله جلّ جلاله ماصحت إلاّ بنظرهم الآنف كان مقتضى جهلهم بالله -مع تفريطهم الأوّل في معرفته مع اظهارهم لشعار الاسلام- يلزم منه قضاء ماعملوا من التكليف السالف.

الفصل الحادي والعشرون

ومما يدلك ياولدي علىٰ أن معرفة الله جلّ جلاله من جوده، لتطلبها من باب

---

١ - في هامش نسختي (ع) و(ض): موافقون (خ ل).

الوفادة عليه مع وفوده، أنك تجد أكثر العارفين لايعرفون وقت معرفتهم به جلّ جلاله، ولايوم ذلك ولاليله[1]، ولاشهره ولاسنته.

ولوكان بمجرد كسبهم ونظرهم قد عرفوه، لكان وقت ذلك أو ماقاربه قد فهموه؛ لأنك تجد العقل شاهداً أنّ مَن عرف سلطاناً عظيماً بعد آن كان جاهلاً بمعرفته، وكان وجه التعريف به من جهة يدركها الإنسان باجتهاده وهمّته، فإنّه يعرف وقت المعرفة بذلك السلطان أو ماقارب ذلك الزمان، وإنما الله جلّ جلاله يسلك بالعبد الضعيف إلى التعريف تسليكاً يقصر فهمه عنه، فلذلك لايعرف وقت المعرفة ولاماقرب منه.

الفصل الثاني والعشرون

واعلم ياولدي يامحمّد أيّدك الله جلّ جلاله بجلال التأييد وكمال المزيد، أن قولي هذا ماهو مما أقصد به أن النظر في الجواهر والأجسام والأعراض لايجوز، أو أنّه ماهو طريق إلى المعرفة على بعض الوجوه والأعراض، بل هو من جملة الطرق البعيدة والمسالك الخطيرة الشديدة، التي لايؤمن معها مايخرج بالكليّة عنها.

الفصل الثالث والعشرون

وقد كان لنا صديق فاضل من المتعلمين[2] بعلم الكلام رحمه الله ورضي عنه، يحضر عندنا ونحدّثه ونعرّفه أن طرق المعرفة بالله جلّ جلاله بحسب معلوماته ومقدوراته على الأنام، ولاينحصر عددها بالأفهام، فتعجّب لأجل ماقد ألفه من أن معرفة الله جلّ جلاله لاطريق إليها إلّا بنظر العبد.

فقلت له يوماً: ماتقول في عيسى بن مريم عليه السلام لما قال في المهد (إنّي

---

١ ـ في نسخة (ع): ليلته.

٢ ـ في نسخة (ض): المتعلقين.

عَبْدُ اللهِ آتانيَ الكِتابَ وَجَعَلَني نَبياً﴾ [١]، كانت معرفته بالله جلّ جلاله في مهده بنظره؟ فتحيّر وعجز عن الجواب.

وقلت له يوماً: ماتقول في الناظر في معرفة الله جلّ جلاله أما [٢] يكون في أولّ نظره شاكاً في الله جلّ جلاله؟

قال: بلى.

قلت: أفتقول أنّ النبي محمداً ووصيه علياً عليهما السلام مضى عليهما زمان شك في الله جلّ جلاله؟

فقال: غلبتني، ماأقدر أقول هذا، وهو خلاف المعلوم من حالهما.

فقلت له: وأقول زيادة: هب أنك توقفت عن موافقتي لأجل اتباع عادتك، أماتعلم أن العقل الذي هو النور الكاشف عن المعارف ماهو من كسبك ولامن قدرتك، وأن الآثار التي تنظر إليها ماهي من نظرتك، وأن العين التي تنظر بها ماهي من خلقتك، وأن البقاء الذي تسعى فيه لنظرك وكلّ ماأعانك على نظرك ماهو من تدبيرك ولامن مقدورك، وأنه من الله جل جلاله؟

قال: بلى.

ثم قال: ولكن متى قلتُ إن المعرفة بالله جلّ جلاله لا تكون بنظر العبد، مايبقى له عليها ثواب.

فقلت: واذا كانت المعرفة بالله جلّ جلاله بنظر العبد، فيلزم أيضاً أنه لا ثواب عليها.

فاستعظم ذلك وقال: كيف؟

فقلت له مامعناه: لأنك قبل أن تعرفه وشرعت تنظر في المعرفة بنظرك في الجواهر والأجسام والأعراض، ماتدري نظرك هل يفضي إلى الاقبال على تصديق المعرفة أو الإدبار عنها والإعراض، فلا تكون قاصداً بنظرك التقرب إلى

---

١ - مريم: ٣٢.

٢ - في نسخة (ض): أما أن، وفي نسخة (ع) ورد شطب على (أن). وهو الصحيح.

الله جلّ جلاله؛ لأنك ماتعرفه، وإنما تعرفه على قولك في آخر جزء من أجزاء نظرك، وقدفات نظرك كله بغير معرفة وغير ثواب. فانقطع عن الجواب.

الفصل الرابع والعشرون

وقلت له: إن المعرفة بالله جلّ جلاله، سواء كانت من الله جلّ جلاله، أو من العبد، أو منهما، فإنما يكون الثواب على استمرار العبد عليها، ولزوم مايراد منه بها ولها.

وقد كان ينبغي ياولدي محمد إذا أراد العالم بالله جلّ جلاله، وبرسوله صلوات الله عليه وآله، وبالأئمة عليهم السلام من عترته وبشريعته، أن يعرّف المبتدئ ممن ولد على فطرة الإسلام مايقوّي عنده مافي فطرته، ويوثّقه من كرم الله جلّ جلاله ورحمته، ويعلّق أمله بفضله ويدخله تحت ظله يقول له:

قدعرفت محققاً قبل بلوغك وبعد بلوغك أنك عالم ببديهيات وعالم بكليات وجزئيات ماسعيت في تحصيلها، ولاعرفت كيف كان تدبير الله جلّ جلاله في وصولها إلى عقلك وقلبك وحلولها، ولاساعة ورودها على سرائرك، ولابأي الطريق سلك الله جلّ جلاله بها إلى ضمائرك، فكن واثقاً بذلك الواهب، وعلّق آمالك وسؤالك به في طلب المواهب، وقل له:

يامن أنعم عليّ بنور العقل قبل سؤاله، وابتدأني بنواله وإفضاله، هبْ لي مع السؤال وفادة بالآمال ماتزيد مني معرفتك ولزوم حرمتك، وشرفني بمراقبتك، وعرّفني أن ذلك صادر عن ابتدائك لي برحمتك ونعمتك، حتى أنهض بك إليك، وأقف بك بين يديك، وأقبل بك عليك، وأُقدم بك إليك.

الفصل الخامس والعشرون

واعلم ياولدي محمّد بصرّك الله جلّ جلاله بمراده منك، ونصرك بِكَفّ أيدي الحساد والأعداء عنك، أن لسان حال من ترحم بالانشاء و وهب العقول بما فيها من الضياء، ونصب من عصمه من الأدلاء، يقتضي أنه يغضب على من ابتدأ عبيده بقطع رجائهم منه، وشغلهم بما يشغلهم عنه، وصرف خاطرهم عن مقدس أبوابه إلى تعلّق اجتهادهم بما خلقهم منه من ترابه، وكم عسى أن يبلغها اجتهاد مَن خُلق من التراب، وماالذي يحمل على التشبث بذلك والعزل في تدبيره لربّ الأرباب، وفاطر الأسباب[1].

وماعذر المبتدئ بقبول ذلك من أُستاذه، ومن قد اختاره من عباد الله جلّ جلاله لإرشاده، وهويعلم من نفسه على اليقين أنه ماخلق في[2] نفسه حقيقة النظر، ولاحقيقة ترتيبه، وإنما وجد نفسه على الصفة التي هي عليها من[3] ادراك حقائق النظر وطرائق الفكر، مع علمه البديهي أن ذلك التصوّر والادراك الذي وجد نفسه عليه ماهو من كسبه ولااجتهاده، وإنما هو من غيره، ومايعلم حقيقة

---

١ ـ في نسخة (ع): تلك الأسباب.

٢ ـ في نسخة (ض): من.

٣ ـ في نسخة(ض): مع.

ذلك الغير الذي أوصله إليه، فيحتاج أن[1] يعرف من غيره على من يجري مجراه من الحيوانات، على الوجه الذي يريد منه من معرفة الحقيقة والصفات، وماالذي قصد بتسليم هذا النور إليه.

فصار النظر الأوّل دالاً قبل الترتيب على واهبه، دلالة مجملة حجة لله جلّ جلاله عليه، مع ماكنا قد نبهّنا عليه من كون الإنسان قد مضى له قبل البلوغ عدة سنين يعرف أن الأثر دال على المؤثر دلالة خلق عليها، وهداية هداه صاحبها إليها.

فيلزم مع اشتغاله إن كان لابد له من الاشتغال على العلماء ذلك الهادي الأوّل واهب العقل والضياء، ومطلق لسان أُستاذه بالكلام وقد كان أخرس، ومسلك الهواء في مجاريه وبه عاش وتنفس، وماسك ذات أُستاذه وواهب حياته، وماسك مايحتاج إليه في مطلوباته وارادته، والذي أقام أُستاذه وقدكان في صغره يزحف على بطنه، ومن فتح أقفال فهمه وذهنه حتى صار يعرف ماينفعه فيسعى إليه، ومايضره فينفر عنه ولايقبل عليه.

الفصل السادس والعشرون

واعلم ياولدي محمّد ومَن يقف على هذا الكتاب أنني ماقلت هذا جهلاً بعلم الكلام ومافيه من السؤال والجواب، بل قد عرفتُ ما كنتُ احتاج إلى معرفته منه، وقرأتُ منه كتباً ثم رأيتُ ماأغنى عنه. وقد ذكرتُ في خطبة كتاب (البهجة لثمرة المهجة) كيف اشتغلت فيه، وعلى مَن اشتغلت في معانيه، وماالذي صرفني عن ضياع عمري في موافقة طالبيه.

ولكن أعرف ياولدي محمّد بارك الله جلّ جلاله في بقائك، وتعريفهِ وتشريفه لك في دار فنائك وبقائك، أن المبتدئ إذا قال له الأُستاذ: لاطريق

---

١ ـ في نسخة (ع): إلى أن.

لك إلى معرفة الله جلّ جلاله إلّا بنظرك في الجوهر والجسم والعرض، كما كنا أشرنا إليه، وأن حدوث الجسم لايثبت إلّا بالحركة والسكون. فإن المبتدئ أيضاً مايفهم بفطرته زيادة هذه الأعراض علىٰ الأجسام، ولاله دربة[١] بهذا الكلام، ولايرى بعين رأسه واحساسه زيادة الحركة والسكون على الجسم المنتقل في الجهات، إلّا بأن يتعب في انفاق كثير من الأوقات في تصور حد الجسم، وتصور العرض، وتحقيق زيادتهما على الأجسام، وحفظ مايتعلق بذلك كله من معنى وكلام.

وربما وجدت الأُستاذ عاجزاً في حدود هذه المعاني المذكورة عن[٢] أن يغيّر ألفاظها المعهودة المذخورة، حتى يكاد أن يقلّد قائلها وناقلها ويحتج بأنها قول فلان وفلان، وقولهم كالحجة في معانيها.

ثمّ إذا فهم من أُستاذه زيادة الحركة على الأجسام، فإنّه مايكاد يفهم زيادة السكون على الجسم في ظاهر أوائل الافهام، ولايدرك على التعجيل من أن يلزم من حدوث الحركة والسكون حدوث الجسم العريض العميق الطويل، فلايزال غالب حاله يخبط خبط عشواء في أدلتهم ومعارضتها بشبهات احتمالات الأهواء، حتى يتمحض في اجتهاده عن رجحان ظن أو اعتقاد ضعيف.

ومتى عرض له طعن قوي أعاده ذلك الطعن إلى الاستدلال والتكشيف، فتراه متردداً في العقائد بين ساكن وعائد إلى أن يموت لعله يجوز حدوث القوادح، وقد كان قبل ذلك التعليم لسكونه إلى معرفته المؤثر جملة سكون اعتقادٍ قوي راجح، وكان آمناً كما صار لايأمن من تجدد المطاعن والمعارضات والقوادح.

الفصل السابع والعشرون

ومما ينبهك ياولدي على ماذكرت بالعقل من طريق النقل عن سلفك

---

١ - دَرِبَ بالشيء وتَدَرَّبَ به: اذا اعتاده وضَرِي به، ورجل مُدَرَّب ومُدَرِّب: مثل مُجَرَّب ومُجَرِّب. الصحاح ١: ١٢٤ «درب».

٢ - في نسخة (ض): من.

الطاهرين أئمة الفضل، مارويته من كتاب أبي محمّد عبدالله بن حماد الأنصاري[١]، من أصحاب مولانا الكاظم عليه السلام، ونقلتهُ من أصل قرئ على الشيخ الصدوق[٢] الذي ذكر جدك أبوجعفر الطوسي[٣] أنه لم يكن له نظير في زمانه، وهو هارون بن موسى التلعكبري[٤] تغمدّه الله جلّ جلاله برضوانه، تأريخه سنة ست وسبعين وثلثمائة، وهو أستاذ الشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان ضاعف الله جلّ جلاله لهما تحف الرضوان، أروي كلما رواه بعدة طرق منها من أصل كتاب عبدالله بن حماد المشار إليه ماهذا لفظه:

---

١ ـ قال الشيخ النجاشي في رجاله رقم ٥٦٦: عبدالله بن حمّاد الأنصاري، من شيوخ أصحابنا، له كتابان، أحدهما أصغر من الآخر.

وذكره الشيخ الطوسي رحمه الله في رجاله: ٢٦٥ من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام و٣٥٥ من أصحاب الإمام الكاظم عليها السلام.

٢ ـ أبوجعفر، محمدبن علي بن الحسين بن بابويه القمي، رئيس المحدثين، جليل القدر، حافظ للحديث، بصير بالرجال، ثبت. ولد بدعاء الحجة عجّل الله فرجه الشريف. ورد إلى بغداد سنة ٣٥٥هـ، وحدّث بها، وسمع منه جمع كثير من الفريقين، ورحل إلى الأمصار لطلب الحديث، حتىٰ بلغ عدد شيوخه أكثر من ٢٥٠ شيخاً، وله أكثر من ٣٠٠ مصنفاً منها: من لايحضره الفقيه، التوحيد، كمال الدين، الأمالي، عيون الأخبار، الخصال. توفي في الري سنة ٣٨١هـ.

انظر: أمل الآمل ٢:٢٨٣، تأريخ بغداد ٣:٨٩، تنقيح المقال ٣:١٥٤، رجال ابن داود: ١٧٩، رجال النجاشي: ٣٨٩، روضات الجنات ٦:١٣٢، الفهرست: ١٥٦، معالم العلماء: ١١.

٣ ـ محمدبن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي، نسبة إلى طوس خراسان، شيخ الإمامية، ووجههم، جليل القدر، عظيم المنزلة، ثقة، عين، صدوق، له اليد الطولىٰ في الأخبار والرجال والفقه، وله أكثر من أربعين مؤلفاً منها: التهذيب، الإستبصار، الخلاف، المبسوط، النهاية، الأبواب في الرجال، التبيان.

توفي رحمه الله في سنة ٤٦٠هـ، ودفن بداره في النجف الأشرف.

انظر: البداية والنهاية ١٢:٩٧، تنقيح المقال ٣:١٠٤، جامع الرواة ٢:٩٢، رجال النجاشي: ٤٠٣، الفهرست: ١٥٩، لسان الميزان ٥:١٣٥، معالم العلماء: ١١٤.

٤ ـ قال النجاشي في رجاله رقم ١١٨٥: هارون بن موسىٰ بن أحمد بن سعيد بن سعيد، أبومحمد التلعكبري، من بني شيبان، كان وجهاً في أصحابنا، ثقة معتمداً، لايطعن عليه، له كتب منها: كتاب الجوامع في علوم الدين. كنت أحضر في داره مع ابنه أبي جعفر والناس يقرءون عليه.

وذكره الشيخ الطوسي في رجاله في باب من لم يرو عنهم عليهم السلام: ٥١٦، وقال بعد مدحه: روىٰ جميع الأصول والمصنفات، مات سنة ٣٨٥.

عن عبدالله بن سنان[١]، قال: أردت الدخول على أبي عبدالله فقال لي مؤمن الطاق[٢]: أستأذن لي على أبي عبدالله عليه السلام، فقلت له: نعم، فدخلت عليه فأعلمته مكانه، فقال: «لا تأذن له عليّ»، فقلت له: جعلت فداك تعلم انقطاعه إليكم وولاءه لكم وجداله فيكم، ولايقدر أحد من خلق الله جلّ جلاله أن يخصمه.

فقال عليه السلام: «بل يخصمه صبي من صبيان الكتّاب».

فقلت له: جعلت فداك هو أجل من ذلك، وقد خاصم جميع أهل الأديان فخصمهم، فكيف يخصمه غلام من الغلمان وصبي من صبيان الكتّاب؟

فقال عليه السلام: «يقول له الصبي: أخبرني عن إمامك أمرك أن تخاصم الناس؟ فلا يقدر أن يكذب عليّ، فيقول: لا، فيقول له: فأنت تخاصم الناس من غير أن يأمرك إمامك، فأنت عاص له، فيخصمه، يابن سنان لا تأذن له عليّ فإنّ الكلام والخصومات تفسد النية وتمحق الدين»[٣].

ومن الكتاب المذكور عن عاصم الحنّاط[٤]، عن أبي عبيدة الحذّاء[٥]، قال: قال

---

١ ـ عبدالله بن سنان بن ظريف، قال النجاشي عنه في رجاله: ١٥٨: كان خازناً للمنصور والمهدي والهادي والرشيد، كوفي ثقة ثقة من أصحابنا، جليل لايطعن عليه في شيء.

٢ ـ هو محمد بن علي بن النعمان بن أبي طريفة البجلي الأحول، يكنّى بأبي جعفر، كوفي صيرفي، يلقب بصاحب الطاق أيضاً، كان دكانه في طاق المحامل بالكوفة. له مناظرات معروفة ومشهورة مع أبي حنيفة. قال النجاشي في رجاله: عدّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمامين الصادق والكاظم عليهما السلام، ووثقه في الثاني.

انظر: رجال الشيخ الطوسي: ٣٠٢ و٣٥٩، رجال النجاشي: ٢٤٩، الفهرست: ١٣١.

٣ ـ قريب منه ذكره الكشي في رجاله: ١٩٠.

٤ ـ عاصم بن حميد الحناط الحنفي، أبوالفضل، مولىٰ، كوفي، ثقة، عين، صدوق، روىٰ عن أبي عبدالله عليه السلام.

انظر: النجاشي: ٢٣٢.

٥ ـ هو زياد بن عيسىٰ الحذّاء، كوفي، مولىٰ، ثقة، روىٰ عن الإمامين أبي جعفر الباقر، وأبي عبدالله الصادق عليهما السلام، ومات في حياة أبي عبدالله عليه السلام. وقال سعد بن عبدالله الأشعري: ومن أصحاب أبي جعفر أبوعبيدة وهو زياد بن رجا، كوفي، ثقة، صحيح، واسم أبي الرجا منذر، وقيل: زياد بن أحرم،

لي أبوجعفر عليه السلام وأنا عنده: «إياك وأصحاب الكلام والخصومات ومجالستهم، فإنّهم تركوا ماأُمروا بعلمه وتكلفوا مالم يؤمروا بعلمه، حتى تكلّفوا علم السماء، ياأبا عبيدة خالط الناس بأخلاقهم وزاولهم في أعمالهم، ياأباعبيدة إنّا لانعدّ الرجل فقيهاً عالماً حتى يعرف لحن القول، وهو قول الله عزّ وجل: (ولنعرفنهم في لحن القول)[1].

الفصل الثامن والعشرون

ووجدت في كتاب عبدالله بن حمّاد الأنصاري في النسخة المقروءة على هارون بن موسى التلعكبري رحمهما الله ماهذا لفظه: عن جميل بن دراج[2] قال: سمعتُ أبا عبدالله عليه السلام يقول: «متكلمو هذه العصابة من شرارهم»[3].

الفصل التاسع والعشرون

اقول: ويحتمل أن يكون المراد بهذا الحديث ياولدي المتكلمين الذين يطلبون بكلامهم وعلمهم مالايرضاه الله جلّ جلاله، أو يكونون ممن يشغلهم الاشتغال بعلم الكلام عما هوواجب[4] عليهم من فرائض الله جلّ جلاله، ولقدرأيت في عمري ممن ينتسب إلى علم الكلام وقدأعقبهم ذلك العلم شكوكاً في مهمات من الإسلام.

ولم يصح.

انظر: رجال النجاشي: ١٢٩.

١ ـ محمد(ص): ٣. والحديث ورد في أصل عاصم الحنّاط: ٢٧ ضمن الأُصول الستة عشر، مع اختلاف يسير في الألفاظ.

٢ ـ جميل بن دراج، أبوعلي النخعي، قال ابن فضال: أبومحمد شيخنا ووجه الطائفة، ثقة، روىٰ عن أبي عبدالله وأبي الحسن عليهما السلام، وأخذ عن زرارة. عدّه الشيخ الطوسي في رجاله من أصحاب الإمام الصادق تارة، وأخرىٰ من أصحاب الكاظم عليهما السلام. وقد أجمعت العصابة على تصحيح مايصح عنه. انظر: رجال الشيخ الطوسي: ١٦٣ و٣٤٦، رجال النجاشي: ٩٨، الفهرست: ٤٤.

٣ ـ

٤ ـ في نسخة (ض): أوجب.

الفصل الثلاثون

تنبيه: ومما يؤكد تصديق الروايات بالتحذير من علم الكلام ومافيه من الشبهات، أنني وجدت الشيخ العالم في علوم كثيرة قطب الدين الراوندي، وأسمه سعيد بن هبةالله[1] رحمه الله قد صنّف كراساً وهي عندي الآن في الخلاف الذي تجدد بين الشيخ المفيد والمرتضى[2] رحمهما الله، وكانا من أعظم أهل زمانهما وخاصة شيخنا المفيد، فذكر في الكراس نحو خمس وتسعين مسألة قدوقع الاختلاف بينهما فيها من علم الأُصول، وقال في آخرها: لواستوفيت مااختلفا فيه لطال الكتاب.

وهذا يدلك على أنّه طريق بعيد في معرفة ربّ الأرباب.

الفصل الحادي والثلاثون

يقول السيد الإمام العالم العامل، الفقيه الكامل[3]، العلاّمة الفاضلَ العابد، رضي الدين ركن الاسلام جمال العارفين أفضل السادة أبوالقاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمّد[4] ابن الطاووس بلّغه الله أمانيه وكبت أعاديه:

---

١ ـ هو أبوالحسين قطب الدين سعيد بن عبدالله بن الحسين بن هبة الله بن الحسن الراوندي، فقيه، صالح، ثقة، شاعر، من مشايخه أبي جعفر محمد بن علي بن محسن الحلي. له عدة مؤلفات منها: قصص الأنبياء، والإنجاز في شرح الايجاز، وحل العقود من الجمل والعقود. توفي رحمه الله في سنة ٥٧٣هـ، وقبره معروف في صحن السيدة فاطمة المعصومة بقم المشرّفة.

انظر: أعيان الشيعة ٧: ٢٦٠.

٢ ـ علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسىٰ بن ابراهيم بن موسىٰ بن جعفر عليه السلام، أبوالقاسم. حاز من العلوم مالم يدانيه فيه أحد في زمانه، وسمع الحديث فأكثر منه. وكان متكلّماً، شاعراً، أديباً، عظيم المنزلة في العلم والدين والدنيا. مات رضي الله عنه لخمس بقين من شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين وأربعمائة. وله مصنفات عديدة منها: الناصريات، الانتصار، الشافي، ورسائل كثيرة.

انظر: رجال النجاشي: ٢٠٦، الفهرست: ٩٨.

٣ ـ لم ترد في نسخة (ع).

٤ ـ في نسخة (ض): جعفر بن محمد بن محمد. وماأثبتناه هنا فهو من نسخة (ع) وهو موافق لما ذكره من نسبه في الصفحة الأولىٰ من هذا الكتاب.

اني وجدتُ مثال شيوخ المعتزلة ومثال الأنبياء عليهم السلام مثل رجل أراد أن يعرّف غيره أن في الدنيا ناراً موجودة، وذلك الرجل الذي يريد أن يعرف وجودها قد رأى النار في داره وفي البلد، ظاهرة كثيرة بين العباد مايحتاج من رأها إلى المعرفة بها إلى نظر ولااجتهاد فقال له: هذا يحتاج في[1] معرفته إلى إحضار حجر النار وهو في طريق مكة؛ لأنّ كل حجر ليس يكون في باطنه نار، ويحتاج إلى مقدحة، ويحتاج الى محراق، وأن يكون الإنسان في موضع سليم من شدة الهواء لئلايذهب بالحرّاق ويطفئ مايخرج من الحجر من النار. فاحتاج هذا المسكين إلى تحصيل هذه الآلات من عدة جهات وبعدة توسّلات.

ولوكان قد قال له من مبدأ الأمر: هذه النار الظاهرة بين العباد هي النار الكامنة في الحجر والشجر، كان قد عرف وجود النيران على العيان والوجدان، واستغنى عن ترتيب الدلالات وتحصيل البرهان.

الفصل الثاني والثلاثون

أقول: وكل من عدل في التعريف عن الأمر المكشوف إلى الأمر الخفي اللطيف، فهو حقيق أنْ يقال: قد أضلّ، ولايقال: قد هدى، ولاقد أحسن فيما استدل.

وبيان هذه الجملة: أن المكان الذي يكون فيه الجسم قبل الجسم، وكل ماكان له أوّل فهو محدث، والأجسام بعد المكان، فهي محدثة بغير شك. ولأن كل عاقل يعلم فيما عاينه من زيادات الأجسام في الإنسان والشجر، وكلما يزداد عظماً وكبراً بين الأنام، مثل النطفة التي يصير منها إنسان، ومثل النواة التي تكون منها نخلة عظيمة الشأن، ومثل نوى الشجر يكون[2] منها شجرة كبيرة عظيمة الأغصان.

١ـ لم ترد في نسخة (ض).

٢ـ في هامش نسخة (ع): يصير (خ ل).

فكل عارف بها بالمشاهدة يعلم أن هذه الزيادات حادثات بالضرورة، فكيف يعدل عن تعريف حدوثها بمثل هذا التحقيق إلى الحركة والسكون، وهما عرضان غير مشاهدين، ولايعرف حقائقها ومايلزم[١] من حدوثهما إلّا بنظر دقيق وقطع عقبات قليلة التوفيق.

الفصل الثالث والثلاثون

أقول: وإنما كان يحتاج الانسان مع ما يعرفه من حدوث الأجسام الظاهرة بالعيان الزائدة، إلى ثبوت تماثل الأجسام، ليعلم أن الذي حضر منها وغاب كله حادثة بشهادة العقول والأفهام، وذلك يعرف بأدنى تعريف، ومايحتاج الى التطويل في التكشيف، لأن العقل يدرك[٢] أن كل جسم مؤلّف، وكل مؤلّف فإنّه لابد أن يكون عريضاً عميقاً بحسب تأليفه، ومتى خرجت حقيقة الاجسام عن حقيقة التأليف كانت غير أجسام، ولم يدخل في اسم الجسم بعرف ولاعقل ولاشرع ولا بوصف[٣].

ثم كل جسم محتاج إلى مكان يحل فيه، ويكون المكان متقدماً عليه كما قدّمناه، فالجسم بالضرورة متأخر عن المكان، فهل يبقى شك [في][٤] أنّ كل جسم حادث عند كل من له أدنى نظر يعتمد عليه؟!

الفصل الرابع والثلاثون

أقول: فكان ثبوت حدوث الأجسام على هذا الوصف الواضح كافياً في الدلالة على انّ لها مؤلّفاً جلّ جلاله، محدثاً لها ومُدبّراً لأمرها بحسب المصالح،

١ ـ في النسختين الخطيتين (ض) و(ع): ولايلزم. والذي أثبتناه فهو من هامش نسخة (ع).

٢ ـ في نسخة (ع): شهد.

٣ ـ في نسخة (ع): ولا توصيف.

٤ ـ لم ترد في النسختين الخطيتين، وأثبتناها من النسخة المطبوعة.

فأشار الأنبياء صلوات الله عليهم، والكتب المنزلة عليهم إلى نحو هذه التنبيهات على هذه الدلالات الظاهرات، فعدل شيوخ المعتزلة بالخلائق إلى غير تلك الطرائق، وضيّقوا عليهم سبل الحقائق، كما عدل من أراد تعريف حقيقة النار المعلومة بالاضطرار إلى استخراجها من الشجر أو الحرّاق أو الأحجار وهذا مثال يعرف أهل الانصاف أنه حق صحيح ومايحتاج الى زيادة استكشاف.

الفصل الخامس والثلاثون

وكان مثالهم مع المتعلم منهم ومثاله معهم أيضاً، كمثل انسان كان بين يديه شمعة مضيئة اضاءة باهرة، فأخذها أُستاذه من بين يديه وأبعدها عنه مسافة بعيدة، كثيرة الحوائل والموانع من نظره بتلك الشمعة التي كانت حاضرة عنده وقال له: تجهز للسفر بالزاد والرفقاء والعدة والأدلآء حتى تصل إلى معرفة تلك الشمعة، وتنظر حقيقة ماهي عليه من الضياء.

فقبل ذلك المغتر المتعرف من ذلك الأُستاذ المتكلّف، وسافر مدة من الأوقات، فتارة يرى جبالاً وعقبات فلا يظهر له من حقيقة الشمعة كثير ولا قليل، وتارة يرى ضوء فيقول: لعله ضوء تلك الشمعة، ويستنجد بمساعدة الرفيق والدليل، فإن عجز عن اتمام المسافة، وقطع الطريق بما يرى فيها من العقبات والتطويل والتضييق، هلك المسكين ورجع خاسراً للدنيا والدين. فقد عرفنا من جماعة أنهم أوقعهم ذلك في شكوك وتضليل، وكان ضلالهم من سوء توفيق الدليل.

ولئن مشي هذا المسترشد واحتمل مشقة الأسفار وركوب الأخطار، وسلم من أن يعجز في الطريق ويترك الشمعة بالكلية كثيراً ما يحصل له اذا وجدها من حقيقتها مثل الذي كان يعرفه في الفطرة الأولية، فضاع عمره وتعبه في زيادة معرفتها.

الفصل السادس والثلاثون

فأوصيك ياولدي محمد ومَن بلغه كتابي هذا ممن يعلّم المسترشدين إلى معرفة ربّ العالمين، أن يقوّي ماعندهم في الفطرة الأولية بالتنبيهات العقلية والقرآنية، والهدايات الإلٰهية والنبوية، ويقول للمسترشدين: إنما يحتاج إلى معرفة صفات هذا المؤثّر والصانع، ويثبت صفاته عنده بأسهل مايريد منه مولاه جلّ جلاله من تكليفه بتدبير صاحب الشرائع، وتسليمه من القواطع ومن خسارة عمر ضائع.

الفصل السابع والثلاثون

ثم يسلك به سبيل معرفة النبوة والإمامة على قاعدة تعريف النبي صلّى الله عليه وآله، والأئمة عليهم السلام، ومن سلك سبيلهم[1] من أهل الاستقامة، فهذا كان كافياً لمن يريد تحصيل السلامة وسعادة الدنيا ويوم القيامة.

وأما حفظ الألفاظ الحادثة بين المتكلمين، وماذكروا أنه صفات المتجادلين، فهو شغل من فرغ من فروض الله جلّ جلاله المتعيّنة المتضيقة عليه، ويريد أن يخدم الله جلّ جلاله خالصاً لوجهه بالرد على أهل الضلال من الأُمم الحائلة بين عباده جلّ جلاله وبين المعرفة به والوصول إليه، ويكون حامل هذا العلم العريض العميق لازماً سبيل التوفيق، ويناظر مخالفيه مناظرة الرفيق[2] الشفيق، حتى يسلم من خطر الطريق، وإلّا فهو هالك على التحقيق.

الفصل الثامن والثلاثون

واعلم ياولدي محمد أراك الله جلّ جلاله مايزيدك قرباً من جلاله، وتولّاك ولاية تصون عن أمر يبعدك عن اقباله وافضاله، أن كلما كررته وأكرره من

---

١ ـ في نسخة (ع): سبلهم.

٢ ـ في نسخة (ع): الرحيم.

تعريف الله جلّ جلاله لبعض عباده، أو تشريف بزيادة ارشاده وانجاده، فما أردت ولاأُريد به إسقاط وجوب نظر العبد فيما يجب عليه النظر فيه من التكاليف، وقد قدّمت الاشارة إلى هذا المعنى فيما مضى من التعريف، وإنما أُكرره لتفهيم[1] كل قوي يفهمه أو ضعيف، أنني ماامنعت من النظر، بل النظر واجب على المكلف في كل مايجب عليه فيه نظره مما لايدركه إلّا بالنظر والتكشيف.

فأقول: لوفرضنا أن عبداً من عباد الله جلّ جلاله ماجعل له في فطرته الأولية أن الأثر دال على المؤثر بالكلية، ولانبّهه جلّ جلاله بعد بلوغه وكمال عقله على معرفته، ولاعلى مايجب عليه من المعارف بشيء من ابتداء فضله ورحمته، فإنه يجب على هذا العبد النظر فيما يجب عليه من التكليف، والتوصل في التعريف بكل طريق من طرق التحقيق، وعلى كل وجه وسبيل من سبل التوفيق.

ومتى وصل إلى غاية تدل[2] على صانع لوجوده، فإياه أن يصرف هذا الناظر خاطره، أو يخلّي سرائره من الاعتماد على مراحم ومكارم صانعه وجوده، فإن القادر بذاته يفتح إذا شاء على قدر قدرته القاهرة الباهرة، والعبد الناظر القادر بغيره لايفتح بنفسه إلّا بقدر قدرته القاصرة، وذلك الفتوح الإلهي أقوى اتصالاً، وأبقى كمالاً، وأتم نوراً، وأعم سروراً، وأوضح في الاطلاع على الأسرار، وأرجح في عمارة الأفكار.

---

١ ـ في هامش نسخة (ع): ليفهم (خ ل).

٢ ـ في نسخة (ض): هداه.

الفصل التاسع والثلاثون

واعلم ياولدي محمد أقبل الله جلّ جلاله عليك، وكمّل احسانه إليك، أن العقول المستقيمة والقلوب السليمة شهدت شهادة صحيحة صريحة أنه لابد من استناد الممكنات والموجودات إلى فاعل لها، لاأول لوجوده. ويقتضي ظهور هذه الآثار المحكمة الباهرة، والدولة المنتظمة القاهرة، أن فاعلها حيّ عالم قادر مختار حكيم، وأن وجوده وصفاته بذاته؛ لأنه لوكان جلّ جلاله أو شيء من صفاته بغيره اقتضى ذلك عكس شهادة الألباب بقدمه وأزليته وتمام قدرته.

الفصل الأربعون

واعلم حفظك الله ياولدي محمّد، وحفظ ماأنعم وينعم به عليك، واوزعك شكر ماأحسن به إليك، أن وجوده جلّ جلاله وصفاته ليست مناسبة لوجودنا وصفاتنا في شيء من الأشياء؛ لأننا موجودون به جلّ جلاله، ويتصرّف فينا تارة بالإنشاء، وتارة بالإفناء، وتارة بالحياة، وتارة بالموت، وتارة بالعافية، وتارة بالسقم، وتارة بالشباب، وتارة بالهرم، وتارة بالغنى، وتارة بالفقر، وتارة بالاقبال، وتارة بالادبار، وتارة بعجزنا عن نيل الآمال، وتارة بظفرنا بما ليس في حسابنا من الأفضال.

فنحن نرى تصرّفه فينا ضرورة مانحتاج معها إلى استدلال.

وكم قد كرر جلّ جلاله فناءنا، واعادتنا بعد الفناء بنطف أخذها من ظهور الآباء، ثم أُمهاتهم، وأعاد منهم صورة الأبناء.

وكم قد أنطق العقول بشهاداته، وأنه لوكان وجود ذاته، أو شيء من صفاته بغير ذاته، كان ذلك طعناً في دلالتها على كماله ومقتضياً لزواله. فلما دلنا بذلك وأمثاله على أن وجوده بذاته، اقتضى ذلك أنه لاأوّل له ولاآخر له، واقتضى علمه بذاته أن لايبقى معلوم إلاّ أحاط بكلياته وجزئياته، واقتضى كونه قادراً لذاته أن لايبقى مقدور إلاّ قدر عليه.

واقتضى غناه بذاته أنه يستحيل الفقر عليه؛ لأن تقدير فقره في شيء يحتاج إليه يضاد فطرة العقول فيما حكمت به وهجمت عليه في كماله، لأن الفقير مضطر إلى ناظر في فقره وجابر لكسره، وإلى مؤثّر آخر قام بأمره. وكذلك كونه حكيماً؛ لأن ترتيب الدنيا ومافيها من العجائب الظاهرة، وتعلق بعضها ببعض في فوائدها الباطنة والظاهرة دالة دلالة قاهرة[1] على أن فاطرها ذو حكمة باهرة.

وكذلك ما نطلق به القرآن الشريف من أنه مريد وكاره وسميع وبصير، وأنه يغضب ويرضى ويسخط[2]. وكل صفة ورد بها كتاب الله من كتبه الشريفة، أو صحّ نقلها عن الأنبياء والأوصياء والأولياء العارفين بصفاته المقدّسة المنيفة، فإنّها لا تشبه صفاتنا ولاصفات المحدثات.

ولو كانت مدركة أو منجّزة أو مشبهة للمنجّزات في حقيقة أو صفة أو جهة من الجهات، افتقرت إلى قادر منزه عن تلك النقيصات، بل ذاته جلّ جلاله وصفاته غير مدركة بالعقول والتوهّمات.

وكيف يُدرك مَن حقيقته جلّ جلاله ليس لها كيفية فتدرك، ولاطريق للعقول إليها فتسلك، وقد عجز كثير من العقلاء عن فهم حقيقة العقل والروح

---

١ - في نسخة (ض): باهرة قاهرة.

٢ - في نسخة (ع): ويحب ويسخط.

والنفس، وهي أثر من آثاره، فمن عجز عن الأثر المصاحب له المختص به في ليله ونهاره، كيف يطمع في ادراك مالم يحصل له المؤثر جلّ جلاله طريقاً إليه من أسراره، وقد عجزت العقول عن صفة اقتداره.

الفصل الحادي والأربعون

واذا سمعت يا ولدي من يقول: إنه يمكن أن تكون الموجودات صدرت عن علة موجبة، فأعلم أنه هذيان اقتضاه جهل الإنسان، وأنا أُقرّب عليك تعريف أنه مختار بما لايشتبه عليك ولاعلى غيرك من ذوي الاعتبار، وهوأنك تعلم أنك مختار وأنت أثر من آثاره، فلوكان علة موجبة ما كان يصدر عنها إلّا علة مثلها غير مختارة، وهذه حجة واضحة ما تحتاج إلى تطويل عبارة.

الفصل الثاني والأربعون

وأنت ياولدي تعلم اختلاف ألوان الناس وألسنتهم وأصواتهم وهيآتهم وصفاتهم، وهم من نطفة متناسبة من ذاتهم مذ آدم عليه السلام إلى الآن، فلايشبه في غالب الأزمان الابن أُمه ولاأباه، ولاالأخ أخاه، وكل ذلك حجج لله جلّ جلاله على عباده أن فاطرهم مختار قادر على مراده.

الفصل الثالث والأربعون

ثم ترى ياولدي الأشجار والثمار تسقى بماء واحد، في أرض واحدة، وأزمان واحدة، وهي مختلفة الألوان والطعوم والروائح والمنافع والمضار، ولكل ذلك دلالة واضحة على أن فاعلها مختار.

الفصل الرابع والأربعون

ومتى اشتبه عليك شيء من نتائج العقول فالزم الصوم والخلوة والتذلل للقادر

جلّ جلاله على كل مأمول، فإنّك تجده جلّ جلاله كاشفاً لك ماأشتبه عليك، وباعثاً إلى عقلك وقلبك من أنوار هدايته مايفتح أبواب الصواب لديك.

وإياك أن تستبطئ اجابته وأن تتهم رحمته، فإن العبد مايخلو من تقصير في مراقبة مولاه، ويكفيه أنه يعظّم ماصغر ويصغّر ماعظم من دنياه وأُخراه. ويكفيه أنه يغضب لنفسه ولمن يعز عليه أكثر مما يغضب لله جلّ جلاله المحسن إليه، ويكفيه أنه ماهو راضٍ بتدبير مالكه جلّ جلاله بالكلية، وأنه يعارضه بخاطره وقلبه وعقله، معارضة المماثل أو الشريك أو العبد السيء العبودية.

واذا تأخرت عنك اجابة الدعاء وبلوغ الرجاء فابكِ على نفسك بكاء من يعرف أن الذنب له، وأنه يستحق لأكثر من ذلك الجفاء. فكم رأينا والله ياولدي عند هذه المقامات من فتوح السعادات والعنايات ماأغنانا عن سؤال العباد، وعن كثير من الاجتهاد.

الفصل الخامس والأربعون

واعلم ياولدي محمّد حفظك الله جلّ جلاله عن الخذلان، وصانك بخلع الإحسان والأمان، أنّ أهل الكهف كانوا مماليك لايفقهون، وسحرة فرعون كانوا سكارىٰ بالكفر مايعتقد ناظرهم أنهم يفيقون، فتداركهم الله جلّ جلاله برحمة من رحماته الجميلة[1]، فأمسوا عارفين به مخلصين، من أهل المقامات الجليلة.

وقد عرف كل خبير أن امرأة فرعون ومريم بنت عمران وأم موسى عليه السلام، نساء ذوات ضعف عن الكشف، تولاهنّ الله جلّ جلاله بيد اللطف والعطف، حتى فارقت زوجة فرعون ملك زوجها ودولته وحقّرته وهوّنت عقوبته.

وبلغت مريم إلى كرامات وسعادات، حتى أن النبي المعظّم في وقتها زكريا عليه السلام يدخل عليها في المحراب فيجد عندها طعاماً يأتيها من سلطان يوم

---

١ - في هامش نسخة (ض): الجليلة (خ ل).

الحساب بغير حساب، ويُفهم من صورة الحال أن زكريا ما كان يأتيه مثل ذلك الطعام؛ لأنه عليه السلام قال: (أنّى لَكِ هذا) [1] على سبيل التعجب والاستفهام، وهو أقرب منها إلى صفات الكمال.

وهذه أُم موسى يوحي الله تعالى إليها بغير واسطة من الرجال، حتى يهوّن عليها رمي ولدها وواحدها ومهجة فؤادها في البحر والأهوال.

فلا تقصر همتك ياولدي محمد عن غاية بلغ إليها حال النساء الضعيفات، واطلب ذلك ممن قال جلّ جلاله: (أهمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الحَياةِ الدُنيا وَرَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ) [2].

١ ـ آل عمران: ٣٣.

٢ ـ الزخرف: ٣٢.

الفصل السادس والأربعون

واعلم ياولدي محمّد ضاعف الله جلّ جلاله لك شرف عنايته وتحف كرامته، أن تشريف الله جلّ جلاله لك بتكليف معرفته ومعرفة رسوله صلوات الله عليه، والائمة من ذريته عليهم السّلام، ومعرفة شريعته، والقيام بطاعته، كان من أعظم مننه جلّ جلاله عليك واحسانه إليك، التي لايقوم لها شكر الشاكرين، ولايقضي حقوقها اجتهاد المجتهدين.

فإن الأرض التي خلقت وخلقنا منها لوقيل لها وهي تراب تمنّي أقصى آمالك، لعلّ كان يكون أقصى أُمنيتها أن يحييها الله جلّ جلاله بالماء والنبات والأشجار والأزهار، فهذه حياة الأرض والتراب.

فبلغ فضل الله جلّ جلاله على ابن آدم المخلوق منها إلى أن رفع الله جلّ جلاله عن دناعة تلك الأسباب، وجعله أهلاً أن يدله على مقدّس معرفته وحقوق نعمته، ويتشرّف بخدمته، ويكرمه بمشافهته ومجالسته، ويهيء له السماوات والأرض ومافيها من المنافع بيد قدرته، ويستخدم في مصالحه وسعادته مقدّس علمه وارادته، حتى يبلغ إلى أنه يتولى بيد تدبيره ورحمته في جسده بثوب[1] طهارته.

---

١ ـ وردت هذه الكلمة مشوشة وغير واضحة، في الطبعة السابقة: يثوب، وفي نسخة(ع): بيوت، وفي نسخة (ض): بثوب (بيوت) (خ ل).

الفصل السابع والأربعون

ثم جعلك الله جلّ جلاله ياولدي محمّد وسائر المكلفين أهلاً أن يكتب اليكم كتاباً من مقدّس جلالته وعظيم ربوبيته مع غنائه لذاته عن خليقته، وأن يبعث رسلاً من نوّابه وأنبيائه وخاصته، ولم يكن بنو آدم في مقام أن يبلغ حالهم إلى هذا المقام من كرامة.

ثم بلغ الأمر بين الله جلّ جلاله القادر القاهر مالك الأوائل والأواخر، وبين بني آدم الضعفاء والأذلآء الأصاغر، الذين انتظم حال وجودهم من تراب وروح كالهواء، إلى أن ينيلهم الدنيا قبل معرفتهم به وخدمتهم له، وفيها ماهم إليه محتاجون، وماأتعبهم في بنائها وانشائها ولا كانوا ممن يقدرون، فلا يعترفون ولا يشكرون، حتى كأنهم البانون لها والفاطرون.

ثم يحسن ويسيئون، ويقبل فيعرضون، ويعدهم فلايتقون، ويتقرّب إليهم فيتباعدون، ويتحبّب إليهم فيكرهون، ويؤدي الأمانات إليهم فيخونون، ويصفو معهم فيتكدرون، ويستر عليهم فيتجاهرون، ويطلع عليهم فلا يستحيون، ويتهددهم فلايخافون، ويطلبهم عدوهم فيسارعون، ويسألهم أن يسكنوه في قلوبهم التي هي من جملة ماوهبهم فلايفعلون، ويبذل أجر[1] السكنى أوّلاً وحاضراً ومستقبلاً فلايقبلون، ويطلب منهم بعض ماأعطاهم ليدخرها لهم فلايجيبون، ويعرض عليهم ماينفعهم فيعرضون، ويريهم آياته في أنفسهم وفي الآفاق فلايبصرون، ويوثقهم من دار قد عمّرها لهم كاملة الصفاء دائمة البقاء ويريد انتقالهم اليها فلايوافقون.

ولو أعطاهم غيره من بني آدم بعض مافي يده شكروه أكثر من شكرهم لمولاهم، ولوأعرض عنهم سلطان بلدهم تلافوه وتداركوا غضبه بغاية قواهم،

---

١ - في النسختين الخطيتين (ض) و(ع): أجرى.

ولوصاحبهم صديق نافسوا في حسن صحبته أكثر من صحبة الله جلّ جلاله وموافقته، ولوستر عليهم أحد عورة وجدوا عندهم من الاعتراف أكثر مايجدون لستر الله جلّ جلاله، ولو اطلع عليهم بعض مماليك سيدهم استحيوا منه أكثر من اطلاع مالكهم عليهم.

ولوطلب سلطان قُرْبَهم ماسامحوا ببعده، ولوأسخطهم آدمي يحتاجون إليه ماهونّوا بسخطه، ولو وعدهم كريم من بني آدم وثقوا به أكثر من وثوقهم بوعد الله، ولوتهددهم آدمي بعقاب خافوا من تهديده أكثر من تهديد الله جلّ جلاله، ولوطالب مجاورتهم من يرجون منفعة الفانية اجتهدوا في مجاورته وهم لايريدون مجاورة الله جلّ جلاله وشريف صحبته، ولوغلب على ظنهم في الأقطار أو البحار من ينفع عوض القيراط أكثر من دينار سافروا إليه واحتملوا عظيم الأخطار في الأسفار ولايسهل عليهم السفر إلى رضاء الله جلّ جلاله لطلب[1] أعظم من تلك المنافع والمسار.

فهل تعرف أن ملكاً أو مالكاً أو راعياً أو سلطاناً أو أحداً جرى له مع مماليكه المحتاجين إليه ماجرى لله جلّ جلاله مع بني آدم المتجرئين عليه، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون مما جرت حالهم عليه.

الفصل الثامن والأربعون

وينبغي ياولدي محمّد أسعدك الله جلّ جلاله باقباله ومكاشفة جلاله، أن تعتقد أن يوم تشريفك بالتكليف كان من أعظم أيام الأعياد، وأن وقت تعريفه لك بعظمته واستخدامك في طاعته كان من أشرف اوقات الاسعاد والأرفاد كما قدمناه. فإيّاك أن يخطر ببالك ثواب أو جزاء على طاعتك أو خدمتك.

فإنّك ترى العقول قاضية بأن السلطان الكامل الذي يرجى احسانه بالتقرب

---

١ ـ لم ترد في نسخة (ع).

إليه، يرشى وتبذل النفوس والرؤوس في التقرب منه والانفاق عليه، فتعلم أن كل من أحسن احساناً كثيراً إلى عبد من العباد فإنّه يجد من نفسه لزوم خدمته والوفاء له ومتابعة ارادته بغاية الاجتهاد، فلأي حال كان الحال مع الله جلّ جلاله في العقول دون هذه الحال، تعالى الله جلّ جلاله عن المقابلة بهذه الضلالة.

الفصل التاسع والأربعون

وقد كشفت ذلك في كتاب (المهمّات والتتمات)[1] فتقف عليه ياولدي من ذخائر تلك العنايات واخدم الله جلّ جلاله كما كان يخدمه آباؤك العارفون والسلف المكاشفون؛ لأنّه جلّ جلاله أهل أن يعبد، ومن أحق منه ببذل النفوس والرؤوس والقوة والاقتدار وجميع ذخائر الاختيار! وهو واهبها وجالبها، وبه جلّ جلاله استقام نظامها وحصل تمامها.

واعلم ياولدي أنك لو عبدته بقوة الأولين والآخرين، واخلاص الملائكة والأنبياء والمرسلين والصالحين في مقابلة اختياره في الأزل لإيجادك واسعادك وتأهيلك لمعرفته وخدمته، ماقمت بما في ذلك من حقوق رحمته ونعمته.

---

١ ـ قال الشيخ الطهراني في الذريعة ٢٤:٢٩٨ رقم ٩٠٥٦: المهمات والتتمات: هو مهمات في صلاح المتعبد وتتمات لمصباح المتهجد للسيد رضي الدين ابن طاووس صاحب (مهج الدعوات ومنهج العنايات)، وهو في عشر مجلدات يختص كل مجلد باسم خاص. وقال السيد في أول (مفتاح السائل) بعد ذكر (مصباح المتهجد) للشيخ الطوسي: فعزمت أن أضيف مااختاره الله جلّ جلاله مما رويته من زيادة على (المصباح) أو وقفت عليه ومايأذن جلّ جلاله في اظهاره من أسراره ـ إلى قوله ـ: واجعل ذلك كتاباً مؤلفاً اسمه كتاب (مهمات في اصلاح المتعبد وتتمات لمصباح التهجد) وهاأنا مرتب ذلك بعون الله جلّ جلاله في عدة مجلدات بحسب ماأرجوه من المهمات والتتمات المجلد الأول اسمه: (فلاح السائل ونجاح المسائل) في عمل اليوم والليلة وهو مجلدان، والمجلد الثالث اسميه (زهرة الربيع في ادعية الأسابيع)، والمجلد الرابع (جمال الأسبوع بكمال العمل المشروع)، والمجلد الخامس اسميه: (الدروع الواقية عن الأخطار فيما يعمل مثله كل شهر على التكرار)، والمجلد السادس اسميه (المضمار للسابق واللحاق بصوم شهر اطلاق الأرزاق)، والمجلد السابع اسميه (مسالك المحتاج إلى معرفة مناسك الحاج)، والمجلد الثامن والتاسع اسميها كتاب (الاقبال بالأعمال الحسنة)، والمجلد العاشر اسميه (السعادات بالعبادات التي ليس لها وقت معلوم في الروايات).

الفصل الخمسون

واعلم ياولدي محمّد نوّر الله جلّ جلاله سرائرك وطهّر بصائرك ، أن معرفة جدك محمّد سيد المرسلين، وتصديقه بما جاء به من ربّ العالمين، ماتحتاج الآن فيها من الدلالة إلى ما كان يحتاج الناس إليه أولاً عند اوّل الرسالة؛ لأن أنوار رسالته وآثار نبوته وهدايته في هذه الستمائة سنة قد امتلأت بها أقطار كثيرة من البلاد، وتواتر بجملة معجزاته وآياته مالاتحصيه قوّة العباد، وصار تصديقه صلوات الله عليه وآله واضحاً كإشراق شمس النهار، وأعظم منها عند ذوي البصائر والأبصار، لأن الشمس مستورة بالليل وبالسحاب وبغيرها من الأسباب، ونور آيات الله جلّ جلاله في جدك محمّد صلّى الله عليه وآله الداعية إليه، ضياؤها مشرق مع اشراق الألباب، وباقٍ مع بقاء مالك يوم الحساب.

الفصل الحادى والخمسون

وأنت تعلم ياولدي محمّد من نفسك ومن غيرك أن العقول ماتقوم بذاتها بكشف مراد الله جلّ جلاله منها على التفصيل، وبأنّها لابد لها من واسطة بين الله جلّ جلاله وبينها، يدلها إلى مراده جلّ جلاله في كل مايحتاج إلى معرفته به من كثير وقليل.

أفلا ترى أن العقول كانت مع أصحابها قبل ارسال الله جلّ جلاله جدك محمّداً صلوات ألله عليه إليهم، كانوا عاكفين على عبادة الأصنام والأحجار والأخشاب، يضحك الشيطان بها عليهم. وبلغوا إلى أخس وأدبر من الدواب؛ لأن الدابة لوتركت بغير سائق ولاقائد مامشت إلّا إلى ماتعتقد فيه نفعاً بسبب من الأسباب، والذين عبدوا الأصنام ماكانت نافعة لهم ولادافعة عنهم، وهي مساوية لسائر الأحجار والأخشاب، حتّى تفضّل الله جلّ جلاله عليهم بجدك محمّد صلوات الله وسلامه عليه وآله، فأيقظ العقول من رقدتها، وكشف عنها غطاء جهالتها، فأبصرت ماكان مستوراً عنها، ووجدت ماكانت عمياء عنه، فهو أقرب قريب منها.

فعلّمهم آداب الدنيا والآخرة، وفتح لهم كنوز العلوم الباهرة، فصنّفوا الكتب في عجائب الألباب الّتي كانت دارسة، وأوضحوا عن طرق الآداب التي كانت طامسة، وكفى بذلك دلالات ضروريّات على وجوب رسالته وصحتها، وثبوت ما اشتملت عليه من الآيات.

الفصل الثاني والخمسون

وكيف يحتاج ياولدي محمّد الآن مَن يخالط أهل الأفهام ومَن نشأ في بلاد الاسلام إلى طلب دلالةٍ على نبوة جدك محمّد العظيم الشأن، أو إطالة النظر في التحدي بالقرآن، وقد وجد المسلمون صِدقه صلوات الله عليه وآله فيما أخبر به من الغائبات، ومن الآيات الباهرات، ومن فتوح البلاد، ومن شرحه لمن يملك بعده من الملوك ، وتقلبات أحوال العباد.

ووجد العارفون على مائدة ضيافة رسالته تصديقه بإجابة الدعوات وتفريج الكربات، وماظهر بعده على يد مولانا وهادينا علي بن أبي طالب، وعترته الطاهرين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين من المعجزات، وما اشتهر على

أيدي الخلق العظيم من أُمته من الكرامات الخارقات[١] للعادات. فهل يحتاج بعد هذه الهدايات الواضحات إلى طلب اشارات أو دلالات إلّا معدود من ذوي الغفلات والجهالات.

الفصل الثالث والخمسون

وإن طلبت نفسك عمّرها جلّ جلاله بالطهارة، وقدّسها بما هو أهله من الاشارة والبشارة، معرفة تفصيل معجزات جدك محمّد صلوات الله عليه وآله، ومانقل من آياته وصفاته وفعاله ومقاله، فعليك بأخبار مَن تعتقد عصمته، وأنّه على أبلغ صفات الكمال وتعترف بحقوقه، وترى المنّة لله جلّ جلاله وله فيما فتح على الاسلام من أبواب السعادات والاقبال، فإنّك تجد في كتبهم وعند مخالطة أهل الأخلاص منهم شفاء للصدور وتماماً للسرور، وقد جمعت لك من كتب النبوة والإمامة كتباً كثيرة تتضمن معجزات وآيات منيرة.

الفصل الرابع والخمسون

بل قف ياولدي على الكتب المتضمّنة آيات الله جلّ جلاله على يد مولانا علي بن محمّد الهادي[٢]، ومولانا الحسن بن علي العسكري عليهم السّلام[٣]، وما كتبتُ في كتاب (الاصطفاء والبشارات)، واكتب لك

---

١ ـ في نسخة(ع): الخارقة.

٢ ـ قال الشيخ الطهراني في الذريعة ٤:٢٨٣ رقم ١٢٩٤: تفسير العسكري: من إملائه عليه السلام، في مائة وعشرين مجلدة كما ذكره ابن شهراشوب في ترجمة الحسن بن خالد من غير تقييد. والظاهر أن المراد من العسكري هذا هو الإمام الهادي عليه السلام الملقب بصاحب العسكر، وبالعسكري أيضاً......

٣ ـ قال الشيخ الطهراني في الذريعة ٤:٢٨٥ رقم ١٢٩٥: تفسير العسكري: الذي أملاه الإمام أبومحمد الحسن بن علي العسكري المولود سنة ٢٣٢ والقائم بأمر الإمامة في ٢٥٤ والمتوفى في ٢٦٠، وهو برواية الشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي نزيل الريّ المولود بدعاء الحجة عليه السلام بعد سفارة أبي القاسم الحسين بن روح النوبختي في ٣٠٥. طبع أولاً في طهران في ١٢٦٨، وكرر طبعه ثانياً في ١٣١٣، وثالثاً في هامش تفسير القمي في ١٣١٥. وقد فصّل القول باعتباره شيخنا في خاتمة المستدرك صفحة ٦٦١.

من التوقيعات على يد مولانا المهدي صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين.

وقف على آثار الواردات[١] من الثقات على يد وكلائه صلوات الله عليه المتقدمين، فإن زمانها أقرب من زمان جدك محمّد صلوات الله عليه وآله، فإنّك ترى من الآيات الباهرات ما لم ينقل مثلها عن جدك محمد عليه أفضل الصلوات. وتلك جميعها من معجزاته وآيات نبوته ودلالات ثبوت شريعته؛ لأن عترته الطاهرة دعاة وهداة إلى رسالته.

فانظر في كتاب الحجة ومافي معناه من كتاب (الكافي) لمحمدبن يعقوب الكليني[٢].

وكتاب (المعرفة) لإبراهيم بن اسحاق الثقفي[٣].

وكتاب (الدلائل) لمحمدبن جريربن رستم الطبري الإمامي[٤].

---

١ ـ في نسختي (ض) و(ع): الواردة. وماأثبتناه فهو من النسخة المطبوعة سابقاً.

٢ ـ أبوجعفر الرازي، محمدبن يعقوب الكليني، المشهور بثقة الإسلام، شيخ الطائفة ووجههم في الري، القلم عاجز عن بيان فضله وجلالة قدره وعلو منزلته، فهو أشهر من أن نعرّف به في هذه الأسطر القليلة. له عدة كتب منها: الكافي، وهو أحد الأصول الحديثية المعتمدة عندنا، ألّفه في عشرين سنة، ويعدُّ الكليني رحمه الله من مجددي المذهب على رأس المائة الثالثة، توفي رضوان الله عليه في سنة ٣٢٨، وهي سنة تناثر النجوم؛ حيث توفي في تلك السنة أيضاً الصيمري آخر السفراء الأربعة، ودفن في بقعة على يسار العابر من الرصافة.

انظر: تاج العروس ٩: «كلين»، تنقيح المقال ٣: ٢٠١، جامع الأُصول ١١: ٣٢٣، رجال الشيخ: ٤٩٥، رجال النجاشي: ٣٧٧، روضات الجنات ٦: ١٠٨، الفهرست: ١٣٥، لسان الميزان ٥: ٤٣٣.

٣ ـ ابراهيم بن محمدبن سعيدبن هلال بن عاصم بن سعدبن مسعود الثقفي، كوفي، انتقل إلى اصفهان لأنه لما عمل كتاب (المعرفة) وفيه المناقب المشهورة والمثالب فاستعظمه الكوفيون وأشاروا عليه أن يتركه ولايخرجه، فقال: أي البلاد أبعد من الشيعة؟ فقالوا: اصفهان، فحلف لاأروي هذا الكتاب إلّا بها، فانتقل إليها ورواه بها.

انظر: الذريعة ٢١: ٢٤٣ رقم ٤٨٣٦، رجال النجاشي رقم ١٨، لسان الميزان ١: ١٠٢.

٤ ـ في النسختين الخطيتين والنسخة المطبوعة سابقاً: محمدبن رستم بن جرير الطبري الإمامي، وهو خطأ واضح.

فهو محمدبن جريربن رستم الطبري الآملي، من أكابر علماء الإمامية في المائة الرابعة، ومن أجلاء ←

وكتاب (الدلائل) لعبدالله بن جعفر الحميري[١].

وكتاب (الاحتجاج) لأبي منصور أحمدبن علي بن أبي طالب الطبرسي[٢].

وكتاب (المعجزات) [لسعيدبن] هبةالله الراوندي[٣].

وكتب أهل اليقين مثل الشيخ السعيد أبي جعفر محمّدبن بابويه، وكتب الشيخ المسعود المفيد محمدبن محمدبن النعمان، وكتب الشيوخ الثقات المتضمنة ماذكروه من الآيات والمعجزات، فقد ذخرتها بالله جلّ جلاله وسوف أقفها عليك وعلى أخيك ومن يهبني الله جلّ جلاله من الذكور، فإنّهم أحوج إليها من البنات.

فقد رويت باسنادي إلى جدي أبي جعفر الطوسي، باسناده إلى محمدبن الحسن بن الوليد[٤] رحمه الله من كتاب (الجامع)، باسناده إلى المفضل بن عمر

الأصحاب، ثقة، جليل القدر. له عدة مؤلّفات منها: الإيضاح والمسترشد في الإمامة، ومناقب فاطمة الزهراء عليها السلام، ونور المعجزات في مناقب الأئمة الإ ثني عشر، والرواة عن أهل البيت عليهم السلام. وهويروي عن أبي جعفر محمدبن هارون بن موسىٰ التلعكبري.

انظر: أعيان الشيعة ١٩٩:٩.

١ ـ عبدالله بن جعفربن الحسن بن مالك بن جامع الحميري، أبوالعباس القمي، شيخ القميين ووجههم، قدم الكوفة سنة نيف وتسعين ومائتين، وسمع أهلها منه، فأكثروا. قاله النجاشي في رجاله رقم ٥٧١. وذكره الشيخ الطوسي رحمه الله في رجاله من أصحاب الإمامين الهادي والعسكري بأرقام ٢٣ و٢. له كتب كثيرة منها: الإمامة، العظمة والتوحيد، الغيبة والحيرة، فضل العرب.

٢ ـ أبومنصور أحمدبن علي بن أبي طالب الطبرسي، نسبته إلى طبرستان، كان رحمه الله فقيهاً، محدّثاً، متكلماً، نسابة، فاضلاً، له عدة مؤلفات منها: الكافي في الفقه، ومفاخر الطالبية، وتأريخ الأئمة، وفضائل الزهراء عليها السلام، وتاج المواليد في الأنساب. ومن تلامذته المشهورين ابن شهراشوب المازندراني صاحب المعالم.

انظر: أعيان الشيعة ٢٩:٣.

٣ ـ في النسختين الخطيتين (ض) و(ع) والنسخة المطبوعة سابقاً: لهبةالله الراوندي. ويأتي له ذكر أيضاً في الفصل المائة والخمسين باسم: هبةالله بن سعيد الراوندي. وكلاهما خطأ واضح. وقد تقدم له ذكر أيضاً في الفصل الثلاثين بإسم: سعيدبن هبةالله الراوندي، وهونسبة إلى أحد أجداده، حيث أن اسمه الصحيح: سعيدبن عبدالله بن الحسين بن هبةالله بن الحسن الراوندي.

٤ ـ محمدبن الحسن بن أحمدبن الوليد، أبوجعفر، شيخ القميين، وفقيههم ومتقدمهم ووجههم، ويقال انه نزيل قم، وماكان أصله منها، ثقة ثقة، عين مسكون إليه، له كتب منها: كتاب تفسير القرآن، وكتاب الجامع. قاله النجاشي في رجاله رقم ١٠٤٣.

قال: قال أبو عبدالله عليه السّلام «إكتب وبث علمك في أخوانك، فإن مت فورّث كتبك بنيك، فإنّه يأتي على الناس زمان هرج مايأنسون فيه إلّا بكتبهم»[١].

وقد أذنت وأجزت مارويته لك ولأخوتك ولأخوانك أن يرووا عني جميع مارويته، أو صنّفته من سائر الكتب والروايات، وإن جاز الاذن لمن عساه يولد لي من الذكور والبنات بعد هذه الأوقات، فقد أذنت لهم أيضاً في الرواية عني لكل ماأذنت لكم في روايته، نشراً لتعظيم الله ورسالته وشكراً لنعمته.

---

١ ـ الكافي ١:٥٢ حديث ١١ باب رواية الكتب والحديث وفضل الكتابة.

الفصل الخامس والخمسون

وأما معرفة جملة الأئمّة من عترة جدك سيد المرسلين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين، فاعلم يا ولدي محمّد أن الطريق إلى معرفتهم أسهل مما يتوهمه كثير من الخلائق، وقد كشفت لك الأمور في كتاب (الطرائف)[1]، وأوضحت عن طرق الحقائق، وأذكر[2] هاهنا جملاً يسيرة تغني عن التفصيل والتطويل:

الفصل السادس والخمسون

منها أن العقول قاضية أن كمال رحمة الله جلّ جلاله بعباده، تقتضي أن يكون لهم في كل زمان وأوان من يدلّهم على مراده دلالة تغني عن التأويل وعن الاختلاف، وتصون عن التضليل.

---

١ ـ قال الشيخ الطهراني في الذريعة ١٥:١٥٤ رقم ١٠١٢: (الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف)، أودع فيه طرائف أمور من مذهب المخالفين أصولاً وفروعاً لم يسبق إليه أحد. ترجم إلى الفارسية وطبع مع ترجمة كشف المحجة.

٢ ـ في نسخة (ع): وأقول.

الفصل السابع والخمسون

ومنها أن كمال نبوة جدك محمد صلى الله عليه وآله أرحم العباد، وشفقته على أمته إلى آخر أيام النفاد، يقتضي أن يكون نظره الشريف صلوات الله عليه في الهداية والدلالة لمن قرب منه وبعد عن أيام الرسالة على حد واحد، وهذا مايصح إلاّ بمن يقوم بمقامه كل زمان على نحو وصفه الكامل بالعصمة في السر والاعلان[1].

الفصل الثامن والخمسون

ومنها أن جدك محمداً صلوات الله وسلامه عليه وآله ما كان يخرج في غزوة إلّا ويجعل في المدينة نائباً، ومدة الغزاة قصيرة في حياته، فكيف يقبل العقل أنه ترك الأُمّة مهملة من نائب ينص عليه والمدة طويلة خطرة كثيرة بعد وفاته؟!

الفصل التاسع والخمسون

ومنها أن جدك محمداً عليه أفضل السلام والتحية ما كان ينفذ عسكراً أو سرية إلّا ويجعل فيهم رئيساً عليهم، يضم شملهم ويصلح فاسدهم ويحسن إليهم، فكيف تقبل العقول أنه يترك الأُمة كلها بعد وفاته إلى الله جلّ جلاله في مسافة مدتها إلى الآن ستمائة سنة وتسع وثلاثون سنة، وبعدها إلى يوم القيامة، ولايجعل لهم رئيساً يصلح حالهم ويصونهم عن الذي جرى عليهم من الاختلاف والندامة.

ومنها نصوص الله جلّ جلاله وتقدّس كماله على جدك مولانا علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه بالآيات الباهرات في ذاته وفي صفاته وفي مقاماته، وتعريف الأُمة بكراماته وماأخبرها من اسرار الله جلّ جلاله ورسوله

١ـ في النسختين الخطيتين (ض) و(ع): السراء والضراء والسر والاعلان.

صلوات الله عليه وآله، الدالة على أنها نصوص عليه بأن مرجع الأُمة في جميع أُمورهم إليه، فإن الصفات الكاملة للرئيس في رياسته نصوص على أمامته، والصفات الناقصة لرعيته نصوص عليهم أنهم في حكم رعيّة[١] وتبع لارادته.

ومنها أن جدك محمداً صلوات الله عليه وآله حرّم على من حرم عليه من أُمته أن يتركوا الوصية وقال: «من مات بغير وصية فقد مات موتة جاهلية»[٢]، فكيف قبلت العقول أن من يعلّم النّاس الوصية لمن يخلفونه ويترك هو الوصية بهم بالكليّة، وقد علم أنهم يختلفون بعد وفاته ويخالفونه.

ومنها أن كل منصف عاقل فاضل من أهل الاسلام بعيد أن يقبل عقله أنّ محمّداً جدك عليه وآله أفضل الصلوات والسلام يتلو عليهم قرآناً يتضمن ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾[٣] ثم يدعي مدّع أنّه عليه السلام مات وترك أُمته متحيرين في الإمامة، وهي من أهم أُمور الاسلام والمسلمين، حتى ضرب بعضهم رقاب بعض، وكذّب بعضهم بعضاً، وتفرّقوا ثلاثاً وسبعين فرقة، وافتضحوا بين أهل الملل. أين هذا الاختلاف والنقصان من وصف دينهم بالكمال بصريح القرآن، لولا أنّهم افتضحوا وخالفوا دليلهم على الائتلاف بالغلط والبهتان.

ومما يدلك ياولدي محمد أن هذه الآية نزلت يوم نص رسول الله صلّى الله عليه وآله على أبيك علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وآله، النص العام في يوم الغدير، كما رواه جميع أهل الفضل من المسلمين المتعصب لستر هذا اليوم، الذي كان ينبغي أن يعرف تأريخه جمهور العارفين، ويكون عيداً عظيماً واضحاً مبيناً، حيث أكمل الله جلّ جلاله فيه الدين وأتمّ النعمة ورضي لنا الاسلام ديناً. ولقد ذكرت في (الطرائف) من صحاحهم أن بعض اليهود قال: لوكان مثل هذا اليوم

---

١ ـ في نسخة (ض): شريعته.

٢ ـ رواها الشيخ المفيد في المقنعة: ١٠٢، ونقلها عنه الحر العاملي في الوسائل ١٣: ٣٥٢ حديث ٨.

٣ ـ المائدة: ٦.

في التوراة كان عيداً لهم مسنوناً.

ومنها ياولدي محمد صانك الله جلّ جلاله بدروعه الواقية وعنايته الكافية، أنه كان ينبغي لأهل الإسلام أن يعتقدوا جميعاً أن محمداً جدك صلّى الله عليه وآله أوصى بهم إلى مَن يقوم مقامه ولو لم يعرفوه باسمه؛ لأن ذلك مناسب لصفات كماله المعلومة، التي لايدخلها طعن ولانقص في خصاله، فكيف بلغ التعصب إلى تكذيب مايروى متواتراً من النصوص بالوصية، وهي من جملة صفاته عليه السلام الكاملة النبوية، وهان الرضى بالطعن على صفاته الكاملة بنقصه بترك الوصية أن هذا من عجيب المكابرة والعصبة.

ومنها أننا لوفرضنا أنها قد بلغت العقلاء وفات جدك محمد صلوات الله وسلامه عليه قبل أن يختلف المسلمون في أن هل نصّ على أحد يقوم مقامه أم لا، وقد شاع أنه قال: (كلّكم راع و كلّكم مسؤول عن رعيّته)[1] أليس كان يعتقد كل عاقل بعيد المكان عن مدينته أنه مامات إلاّ وقد نص على مَن يقوم مقامه في أُمته، فإنّه ماهوّن بما يحتاج الناس إليه من وصيته وترتيب سائس لرعيته، فكيف جاز جحود ماسبق إلى فطرة العقول من كمال الرسول صلّى الله عليه وآله، وهو الذي يتلقاه الألباب بالقبول؟!

ومنها أنه لو سأل سائل القوم الذين كانوا يدّعون على أنه مانص على مَن يقوم مقامه في الأُمة وقال لهم: ماتقولون انه لونص على أحد كما يعتقده أهل العصمة هل كنتم تقبلون منه أو تعرضون عنه؟

فلابد أنهم يقولون: إنهم كانوا يقبلون من نصه على مَن يقوم مقامه في العباد. فإذا قالوا: إنّهم كانوا يقبلون فيقال لهم: فعلى قولكم هذا يكون الذنب واللوم في كل ماوقع بترك النص من التفريق والعناد والفساد عليه أو على من أرسله، على مقتضى قولكم الذي بعدتم فيه من العقل والسداد. فهل بقي إلاّ أنه نص على من

---

١ ـ صحيح البخاري، كتاب الجمعة (١١) باب الجمعة في القرى والمدن، مسند أحمد بن حنبل ٢: ٥.

يقوم مقامه وركب الحجة على العباد، وكان الذنب واللوم لمن خالف نصه من الأعداء والحسّاد.

ومنها أن يقال لمن زعم أن الأئمة عليهم السّلام لايحتاجون إلى العصمة: هل تقبل عقولكم أن نبياً علم الله تعالى أنه يفتح في حياته قريات وحصوناً صغيرة، ويسلم على يديه نفوس يسيرة، فيجعله الله جلّ جلاله معصوماً ويريد الوحي إليه ويكلمه فيما تحتاج أُمته إليه، ثم يعلم ان بعد وفاته يحتاج الناس إلى رئيس يفتح أضعاف مافتحه من البلاد، ويسلم من الأُمم أضعاف من أسلم على يده من العباد، وينتشر حبلهم ويقع الخلف بينهم وينقطع الوحي عنهم، ولايكون الذي يقوم مقامه فيهم معصوماً، حتى يقوم في الأثقال الزائدة ويوثق منه بالعدل وترك الأعمال الفاسدة، هذا مالا تدّعيه على الله جلّ جلاله وعلى جدك محمد صلى الله عليه وآله إلّا عقول غافلة أو جاهلة أو معاندة.

ومنها أن بني آدم قد خلقوا من أخلاط متضادة، من حار وبارد ورطب ويابس، وجواهر وأجسام ترابية، وعقول وأرواح روحانية. فمتى لم يكن لهم إمام على صفات صاحب النبوة صلوات الله عليه وآله قد اصطلحت الأُمور المتضادة فيه، وصار فعاله موافقاً لمقاله مكمّلاً في سائر أحواله، كان له شغل شاغل بالمتضادات في ذاته وصفاته عن تقويم الخلائق المتنازعين له في ارادته.

ومنها النصوص الصريحة من طرق المخالف والمؤالف التي قد عمي العدو عنها حتى نقلها، كما عمي اليهود والنصارى على نصوص الله جلّ جلاله، ونصوص عيسى وموسى عليهما السّلام على محمّد صلّى الله عليه وآله بالنبوة، ونقلوها مع الجحود لها والغفلة عنها، المتضمنة لإمامة أبيك أميرالمؤمنين عليه السّلام بغير فصل بعد جدك سيد المرسلين صلّى الله عليه وآله وعليهم، وإمامة الإثني عشر من عترتهما الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين، ومن واحد منهم إلى واحد على حد واحد من العدد والتسمية والتعيين، وانتظام كمال كل واحد منهم في العلم وجواب السائلين ومايحتاج إليه أهل وقته من المكلّفين، وتعظيمهم عند العدو

والولي في الحياة، وتعظيم قبورهم مع كثرة الأعداء لهم بعد الوفاة.

وفي ذلك الاطباق والاتساق آيات بينات باهرات للناظرين، وحجج لربّ العالمين ولسيد المرسلين، لئلايقولوا يوم القيامة: إنّا كنا عن هذا غافلين. وقد أشرت في كتاب (الطرائف) إلى تفاصيل منها على الوجه الواضح الكاشف، وستأتي في فصول هذا الكتاب زيادة تنبيه وتفصيل شافٍ لذوي الألباب إن شاء الله تعالى.

ومنها أن علوم أئمتك صلوات الله عليهم كانت آية لله جلّ جلاله فيهم، ومعجزة دالة على إمامتهم؛ لأنّهم لم يُعرف لهم أُستاذ يترددون إليه ولايشتغلون عليه، ولارآهم شيعتهم ولاأعداؤهم أنهم يقرءون تلك العلوم على آبائهم على عادة المتعلمين، ولاعلى صفات المدرسين ولاعُرف لهم كتاب مصنّف اشتغلوا فيه، ولاتأليفاً دروا حفظ معانيه، ولم يعرف عنهم إلّا إذا مات الحي منهم قام الباقي بعده من ولده الذي أوصى إليه بالامامة مقامه في علمه وكلما يحتاج إليه من الخصائص والكرامة.

ومنها أن رواة الشيعة الإمامية أجمعوا على الاطباق والوفاق من حياة جدك محمد، وأبيك علي صلوات الله عليهما وآلهما، أن الأئمّة من ذريتها يكونون عدداً معيّناً بالأسماء، وتعيين الآباء والأبناء، كمال الصفات. ثم صدّق الله جلّ جلاله تلك الروايات بوجودهم على ماتقدّم الخبر به من الأوقات السالفات، وكان هذا من آيات الله جلّ جلاله فيهم، ومعجزات رسوله اكراماً له صلّى الله عليه وآله ومعجزات امامتهم.

ومنها أنك لاتجد أحداً من القرابة ولاالصحابة اتفق له اتفاقاً ولااستحقاقاً، وجود العدد الذي أجمعت عليه الإمامية من ولد عن والد، وطارف عن تالد، وموصوف كل واحد منهم بعلم باهر وزهد ماهر، وله شيعة يدينون لله جلّ جلاله بامامته، قد طبقوا الأرض، لايزيدهم كثرة العدو وقتل نفوسهم وتغلب الملوك عليهم إلّا قوة في عقيدتهم.

ومنها أنك لاتجد الأئمة من قومك الطاهرين عجزوا عن شيء من جوابات السائلين أو رجعوا إلى كتب المصنّفين، ولاالاستعانة بغيرهم من علماء المسلمين، وإن سُئلوا عن أخبار الملأ الأعلى بادروا بالجواب وأخبروا بالصواب، وإن سُئلوا عن أسرار مَن مضى من الأمم السالفة أخبروا بغير توقف ولاارتياب، وإن سئلوا عن تفسير الكتاب أو الشريعة ومايتبعها من أسرار يوم الحساب أجابوا جواب العالم بتفصيل الأسباب، وهذا من آيات الله جلّ جلاله فيهم، ومعجزات رسوله صلوات الله عليه وآله، ومعجزات أبيهم.

ومنها أنك تجد كتب الشيعة ورواياتهم متواترة ومتظافرة بتعريف خلق كثير منهم بأوقات وفاتهم، وانفاذ أكفان لهم لتلك الأوقات في حياتهم، وتصديق ماأخبروا به، وكل ذلك من آيات الله جلّ جلاله الباهرة وحججه القاهرة.

ومنها أنك تجد كتب الشيعة ورواياتهم متظافرة بتعريف جماعة كثيرة منهم كم يولد لهم من الأولاد، وأسماء مَن يولد له، وسطر الجواب عن السؤال عن هذه الأسرار الإلهية والمعجزات النبوية، والدلالات على الامامة المرضية على رؤوس الاشهاد، وهي من الحجج الواضحة والدلائل الباهرة.

ومنها أنك تجد كتب الشيعة وغيرهم مما ناظروا به أهل الأديان، وكيف خاطبوا كلاً منهم بكتابه، إن كان يهودياً قرءوا له من التوراة، وإن كان نصرانياً قرءوا له بالانجيل، وماعرف لهم أبداً تردد ولاالاتحاد ولاوداد لأهل تلك الكتب بالكليّة. وكان ذلك من الآيات والدلالات[1] اللازمة لمن عرفها من البرية، وقد اقتصرت على يسير من كثير من الدلالة؛ لئلاأُطيل عليك في الرسالة.

---

١ - لم ترد في نسخة (ض).

الفصل الستون

وأما ماتشبّث به مَن ضل عن سواء السبيل بحديث يوم السقيفة وماجرى فيه من التأويل، فقد كان ينبغي لهم أن يجتهدوا في ستر الحال على أُولئك الجماعة، وتغطية مافضحوا به أنفسهم من ترك نبيهم صلّى الله عليه وآله المفروض الطاعة، الذي أمرهم الله جلّ جلاله بتعظيمه وتوقيره، وكان سبب ماوصلوا إليه من خير الدنيا والآخرة قليله وكثيره، ولم يصبروا حتى يغسّل ويكفّن ويقضى حق المصيبة بفقده، بل سارعوا إلى تركه على المغتسل، واشتغلوا بطلب مازهّدهم فيه من الدنيا، كأنّهم كانوا يتمنون موته، والتمكن من الدنيا بعده.

وكان يليق بالتوفيق أن يشتغل أولياؤهم بالفكر هل يعفو الله عن ذلك التفريط الهائل والاستخفاف الذاهل، وهل يقبل الله جلّ جلاله التوبة من ذلك القبيح الخاطل ، فكيف صار مقام الخطأ والإعتذار والاستغفار من مقامات الاحتجاج والانتصار: (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الأبصار) [1] وفضيحة من فضائح دار الاغترار.

---

١ ـ آل عمران: ١٣.

الفصل الحادي والستون

واعلم يا ولدي محمد وصل الله جلّ جلاله بينك وبين معرفة مراده، صلة تكمل لك شرف اسعاده وانجاده، انه لوكان الاجتماع في السقيفة لغير الحيلة على مخالفة مراسيم جدك صلوات عليه وآله المقدّسة المنيفة، ولغيرمنافسة[1] من نافس من الأنصار لمن خافوا تغلبه على أبيك أمير المؤمنين من المهاجرين، كأن يكون اجتماعهم في مسجد جدك محمد صلّى الله عليه وآله، فإنّه كان محل اجتماع المسلمين، وموضع المشاورة وتدبير المختلفين، ومجلس اصلاح أُمور الدنيا والدين، وكانوا تناصحوا وتراسلوا[2] وسمع بعضهم من بعض على عادة المناصحين والمتفقين والمشفقين.

وهذا والله لايخفى يا ولدي على من له اطلاع على ما جرى من أحوال[3] أُولئك المحتالين والمتغلبين، ولذلك تأخر بنوهاشم وغيرهم عن مبايعتهم، وأعقب الهلاك إلى يوم يظهر الإسلام على جميع أعداء الدين، وصار ذلك التحيّل والتغلب سنّة، حتى وصلت خلافة الإسلام إلى ملوك بني أُميّة الظالمين، وإلى الخوارج وغيرهم من المتأولين، وأظلمت الطرق بين الأمة وبين سيد المرسلين وعترته الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

الفصل الثاني والستون

ومما يدلك ياولدي محمد شرّفك الله جلّ جلاله بزيادة دلالاته وسعادة عناياته، على كذب من زعم أن جدك محمداً صلوات الله عليه وآله انتقل إلى جوار الله جلّ جلاله ولم ينص على إمام يقوم مقامه في أُمته، وأن الذين فتحوا ذكره بذلك قد ردوا على أنفسهم وشهدوا بنصه عليه وآله السلام على امام معلوم بقبيلته

---

١ ـ في نسخة (ض): منافس.

٢ ـ في نسخة (ض): أو توصلوا.

٣ ـ في هامش نسخة (ض): أفعال (خ ل).

بإجماعهم وتواترهم أن النبي صلّى الله عليه وآله قال: «الأئمّة من قريش»[١].
وهذا نص صريح منه على تعيين الإمام وإنّه من قبيلة[٢] قريش دون سائر القبائل.

فإن كان تعيين القبيلة لئلا تضل الأُمة عن قبيلته وشفقة على أمته، فالعقل يشهد أنْ تعيين الإمام من هذه القبيلة ـ قريش ـ العزيزة عليه، وصيانتها عن الضلال والاختلاف الذي بلغ حالها إليه، كان أليق بشفقته وأهم عند نبوته. وأن المقتضي تعيين القبيلة هو المقتضي لتعيين واحد منها عند من أنصف من نفسه، وعرف ما عامل الله جلّ جلاله ورسوله عليه السلام به المسلمون من هدايته ورحمته.

وإلّا فكيف قضى العقل أنّه نزّه البعداء عن قريش عن الضلال، وعرّفهم أن الإمام ما هو منهم بحال من الأحوال، وترك قومه قريشاً ـ الذين قال الله جلّ جلاله فيهم على التعيين: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾[٣] ـ مختلفين ضالين هالكين بإهمال تعيين اسم الإمام منهم، أما يكون ذلك ـ على قول الذين ذكروا أنّه ما نصّ على واحد منهم ـ سبب كل ضلال أو هلاك وقع منهم، إن ذلك لمستحيل في العقول، ولبهتان في المنقول.

الفصل الثالث والستون

وليس بغريب من قوم قد بلغ اختلاطهم وجهلهم وجنونهم إلى أن عرفوا متواتراً لا يختلفون فيه، أن جميع من يعتبر بأعماله من أهل المدينة من الصحابة والتابعين والصالحين، ومن حضرهم من سائر المسلمين، أجمعوا على أن عثمان بن عفان حلال الدم تجب المبادرة إلى قتله، ولا يحل تغسيله ولا الصلاة عليه ولا دفنه. وقتلوه على هذه الحالة، وبقي ثلاثة لا يرى أحد منهم دفنه، حتى دفنه بعض بني

---

١ ـ مسند أحمد بن حنبل ٢: ٥١.
٢ ـ في نسخة (ع): قبيلته.
٣ ـ الشعراء: ٢١٥.

امية سراً من الصحابة والتابعين والصالحين.

ثم بعد الاجتماع والتواتر والبراءة من عثمان وخروجه عن حكم الاسلام والايمان، عادوا إلى تكذيب الصحابة وأهل المدينة ومن حضرهم من المسلمين وطعنوا عليهم وفضحوهم في البلاد، وشرعوا يمدحون عثمان بن عفان، ويشكرونه ويثنون عليه بالبهتان، ويطعنون بذلك على أهل المدينة كافة وأعيان الصحابة، ويشهدون عليهم أنهم قد يجتمعون على المحال، ويستحلون ماحرّم الله من الدماء استحلالاً. وفي ذلك طعن على روايتهم عنهم، وهدم لما نقلوه من الإسلام الذي ظهر منهم.

وزاد حديث التعصب لعثمان حتى صار يذكر على المنابر بالمدح وتعظيم الشأن، وافتضحنا مع اليهود والنصارى وأعداء آلدين بهذه المناقضات البعيدة من صفات العارفين والعقلاء. وقد كان الواجب قطع حديث عثمان بالكليّة، وطمّ جيفة ذكره في الملة النبوية، حتى لايبقى له ذُكر إن أمكن بحال من الأحوال، تزكية للصحابة والتابعين، ومن وافقهم على استحلال دمه وموافقته لهم في الفعل. فهل يستبعد من مثل هؤلاء الجهال المخالفة لجدك محمد صلوات الله عليه وآله، والتعصب على أبيك علي عليه السلاّم بما وقع بينهم من الاختلاف.

الفصل الرابع والستون

وليس بغريب من أُمة كان فيهم علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، أُمه بنت كسرى من أعظم ملوك الدنيا، وجده محمد رسول الله صلّى الله عليه وآله ملك الدنيا والآخرة، وأبوه علي من أعظم خلفاء الاسلام، وهو على صفات فضل بها أهل زمانه ودلت على علو شأنه، فيتركونه ترك من لايلتفتون إليه ولايعرضون نفوسهم عليه، ويطرحون نفوسهم على بني أُميّة الملاعين، ويبايعونهم بالاتفاق والوفاق، وترك الشقاق والافتراق، ويهدمون بذلك أركان الاسلام والمسلمين، فهل يُستبعد من هؤلاء وأمثالهم ماوقع من ضلالهم عن آبائك

الطاهرين، واختلالهم وسوء أفعالهم وتعصبهم لمحالهم؟!

الفصل الخامس والستون

وليس بغريب من قوم أعابوا جدك الحسن عليه السّلام على صلح معاوية، وهو كان بأمر جده رسول الله صلّى الله عليه وآله، وقد صالح جده صلّى الله عليه وآله الكفار، وكان عذره في ذلك أوضح الأعذار.

فلما قام اخوه الحسين عليه السّلام بنصرهم وإجابة سؤالهم، وترك المصالحة ليزيد المارق، كانوا بين قاتل وخاذل، حتى ماعرفنا أنهم غضبوا في أيام يزيد لذلك القتل الشنيع ولاخرجوا عليه ولاعزلوه عن ولايته، وغضبوا لعبدالله بن الزبير[1] وساعدوه على ضلالته، وافتضحوا بهذه المناقضة الهائلة، وظهر سوء اختياراتهم النازلة. فهل يستبعد من هؤلاء ضلال عن الصراط المستقيم، وقدبلغوا إلى هذا الحال السقيم العظيم الذميم؟!

الفصل السادس والستون

اعلم ياولدي محمداً أسعدك الله جلّ جلاله بسعادة خاصته وأيدك [2] بكامل عنايته، أنني حادثت يوماً بعض أهل الخلاف، وكان يرجى منه حصول الانصاف، وقلت له: أنت تعرف أن أبابكر قال لما حضر في سقيفة بني ساعدة

---

١ ـ عبدالله بن الزبيربن العوام بن خويلدبن أسدالأسدي، أبوبكر، ويقال: أبوخبيب، أمه أسماء بنت أبي بكر. هاجرت به أمه إلى المدينة وهي حامل فولدت في السنة الأولى من الهجرة، وقيل: بعد الهجرة بعشرين سنة ـ وهو أول مولود ولد في الإسلام بالمدينة من قريش، روى عن النبي صلّى الله عليه وسلّم، وعن أبيه، وعن جده أبي بكر، وخالته عائشة، وعمر، وعثمان، وعلي، وسفيان بن أبي زهير الثقفي. وروى عنه أولاده: عباد، وعامر وأم عمر وأخوه عروة، وأبناء أخيه محمد وهشام وعبدالله أبناء عروة، وابن ابنه الآخر مصعب بن ثابت مرسل.....

بويع له بالخلافة في الآفاق كلها إلّا بعض قرى الشام، وغزى الحجاج بن يوسف الثقفي في عهد عبدالملك بن مروان مكة وقتل عبدالله بن الزبير. قاله ابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب ٥:١٨٧.

٢ ـ في نسخة (ع): وأمدك .

وعمر عن يمينه وأبوعبيدة عن يساره: قد اخترتُ لكم أحد هذين الرجلين، يريد أنهما أحق بالخلافة منه ومن سواه. فإن كان هذا الاختيار منه لهما عن حقيقة وموافقاً لطاعة الله ورضاه، فتقديم نفسه بالخلافة عليهما بعد هذا المقال خيانة للأُمة، وخلاف ما كان قد نص عليهما في أنهما أقوم بتلك الاثقال.

وإن كان هذا الاختيار منه لهما عن حيلة تشاوروا فيها، بأن يقول هو هذا ويقولان هما: إنا نريدك ،أو قال هذا وهو يعلم أنه أقوم بأمر الخلافة وأصلح للأمة فقد غش المسلمين، وخان ربّ العالمين وسيد المرسلين في تعيينه على عمر وأبي عبيدة بالخلافة. فعرف المخالف الحق، و علم أن أُمورهم كانت مغالبة وحيلة على الملك من غير مراقبة الله تعالى ولامخافة منه جلّ جلاله.

الفصل السابع والستون

واعلم ياولدي يامحمّد خلّفني الله جلّ جلاله فيك أحسن الخلافة، وكمل لك تحف العناية والرأفة، أنني ذاكرت بعض من يعرف ماجرى يوم السقيفة من التهون بالدين والمنافسة من أُولئك الأنصار لمن غالبوه ونافسوه من المهاجرين، فقلت:

إن كان إجتماع من اجتمع في السقيفة من الأنصار له أثر في الاستقامة والإمامة، فقد اتفقوا قبل حضور أبي بكر وعمر عندهم على أن الإمامة فيهم، وأن المهاجرين لاإمامة لهم بتعيينهم على سعد بن عبادة[1]. فإن كان اجماعهم الأول

---

١ ـ سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبي خزيمة، ويقال: خزيمة بن أبي خزيمة، ويقال: حارثة بن خزام بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج الأنصاري، سيد الخزرج، أبوثابت، ويقال: أبوقيس المدني. أمه عمرة بنت مسعود، وهو عقبي، بدري، أُحدي، شجري. روىٰ عن النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم، وعنه أولاده قيس، واسحاق، وسعيد، وابن ابنه شرحبيل بن سعيد، وابن عباس، وابن المسيب، وأبوامامة بن سهل، والحسن البصري ولم يدركه، وعيسىٰ بن فائدة. وهو حامل راية رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم في الانصار وقد تخلف عن بيعة أبي بكر وخرج عن المدينة فمات بحوران من أرض الشام سنة ١١، وقيل ١٤، وقيل ١٥، وقد سمع نوح الجن عليه.

انظر: تهذيب التهذيب ٣:٤١٢.

يحتمل الغلط والخطأ بل قد كان عندهم غلطاً وخطأ لتقديمهم على قريش فكذا كان عقد من عقد منهم الخلافة لأبي بكر يحتمل الغلط والخطأ، بل قد كان غلطاً وخطأ؛ لما جرى من سوء عاقبته، واختلاف المسلمين، واطباق أهل البيت على غلط ذلك العقد ومضرته.

ولو لم يكن من دلائل غلطهم، إلّا سبقهم لشيوخ آل أبي طالب وآل العباس وبني هاشم، وأعيان المهاجرين والزهاد من الناس، إلى الاختيار لرجل يقدّمونه عليهم من غير مشاورة لهم ولا طلب حضورهم ولا مراسلة إليهم.

ومن عجائب ذلك الاجتماع أن أبابكر لما غلب الأنصار بقوله: إن الأئمة من قريش، فقد صار الحديث في الإمامة مع قريش كلها على قوله، فهلا رجعوا من السقيفة إلى قريش فشاوروها في الإمامة، وحيث قد شهدوا أن قد تعيّنت الإمامة لهم، فكيف تقدم أبوبكر عليهم قبل مشاورتهم لهم؟!

الفصل الثامن والستون

وليس بغريب ياولدي محمد اجتماع الحسّاد والأضداد على خلاف الصلاح والسداد، وهذه حال قد جرت لها العادات مذحسد ابليس لآدم عليه السلام، وحسد قابيل لهابيل، وحسد أهل الدنيا لأهل الآخرة، ونفورهم من أنبيائهم والناصحين لهم، ورضاهم بالمهلكات. وماأحتاج أن أُحيلك على ماسلف من الأوقات، فإنك إن اعتبرت حال أهل زمانك وجدت بينهم من الحسد والعداوات ما قد أعمى العيون من الحاسدين على الصواب، ورضوا بمعادات سلطان الحساب وفوات دار الثواب.

الفصل التاسع والستون

وليس بغريب ياولدي محمّد عمى من عمي عن نص الله جلّ جلاله على جدك علي بن أبي طالب عليه السلام بالامامة، وقد عمي كثير منهم من نص الله

جلّ جلاله على وجود ذاته المقدسة الإلهية بوجود آثاره ودلائله الباهرة في جميع البرية.

الفصل السبعون

وليس بغريب ياولدي محمد أن يقع من أكثر أصحاب جدك محمد صلوات الله عليه وآله مخالفة له في نصه على أبيك علي صلوات الله عليه بعد وفاته، وقد خالفوه في أمور كثيرة في حياته وعند[1] مماته، وقد كان في وقت الحياة يرجى ويخاف، فالوحي ينزل إليه باسرارهم. ولما مات انقطع الرجاء والخوف وانسد باب الوحي، وشمروا في طلب شهواتهم وفساد اختياراتهم.

أما علمت أنهم فارقوه في حُنين، وفي أُحد، وعند الحاجة إليهم. وخذلوه في خيبر، وفارقوه وهو يتلو كلام الله جلّ جلاله ومواعظه عليهم وبادروا إلى نظر تجارة انفضوا إليها. وطلب الله جلّ جلاله عند مناجاته صدقة يسيرة فتركوا مناجاته حتى عاتبهم الله تعالى عليها. وسيأتي تفصيل هذه المفارقات[2] في جملة مناظرة لنا مع فقيه من أهل المخالفات في بعض هذه الرسالة وانتفع الفقيه ورجع عن الضلالة.

الفصل الحادي والسبعون

وليس بغريب من قوم لم يحفظوا ألفاظ الأذان، وهي تتلى عليهم في كل يوم وليلة مرات على سبيل الإعلان، حتى اختلفوا في صفاتها، أن يضيّعوا كثيراً من نصوص الإمامة مع ميلهم وحسدهم وعداوتهم الى جحودها، وقطعهم لروايتها، وقد رأيناهم أهملوا ماهو عندهم من المهمات، مثل موضع قبر عثمان وقد كان قتله من الأُمور المشهورات، ومثل جهلهم بقبر عائشة التي هي عندهم من أفضل الأُمهات، وغير ذلك من الأُمور المهمات، فكذا أهملوا النصوص على أبيك عليه

---

١ ـ في نسخة (ع): بعد.

٢ ـ في نسخة (ض): المقامات.

السّلام كإهمالهم أمثالها؛ لأجل الحسد والعدوان.

الفصل الثاني والسبعون

واعلم ياولدي محمد ملأ الله جلّ جلاله قلبك نوراً، ووهبك تعظيماً لقدره، ونعيماً وملكاً كبيراً، أن الأنبياء عليهم السلام مابُعث أحد منهم بعبادة الأصنام، ولاعبادة شمس ولاقمر، ولانور ولاظلمة، ولاحجر ولاشجر، ولاعبادة غير فاطرهم وخالقهم ورازقهم.

وورد النقل عنهم أنّهم كانوا مائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي صلوات الله عليهم، كل واحد منهم كان هادياً وداعياً إليهم، ومع هذا كله فإن أكثر الخلائق ضلوا عن هؤلاء الأنبياء الماضين وعبدوا غير ربّ العالمين، فلاعجب أن تضل أكثر هذه الأمة عن واحد من جملة مائة ألف وأربعة وعشرين ألف نبي قد وقع الضلال عنهم، وادعى عليهم اتباعهم مالم يقع منهم، بل لولم تضل أكثر هذه الأُمة كان ذلك ناقضاً للعادات، وخلاف مايقتضيه طباع البشر واختلافهم في الاعتقادات.

الفصل الثالث والسبعون

وليس بغريب من قوم كابروا، أو اشتبه عليهم الحال بين الله جلّ جلاله وبين خشبة عبدوها من دونه أو حجر، أن يكابروا أو يشتبه عليهم الحال بين جدك مولانا علي بن ابي طالب عليه السّلام ومَن تقدمه من البشر، وما كان يحصل لهم من الأصنام ذهب ولافضة ولاولاية ولاأنعام، فكيف لايفارقون جدك علياً عليه السّلام وقد حصل لهم مَن يعطيهم، ويرجون منه مالايرجون من جدك علي عليه السّلام من الآمال والأموال. والله إن بقاءه بينهم إلى الوقت الذي بقي إليه صلوات الله عليه، آية لله جلّ جلاله، يعرفها المطلعون على تلك الأحوال[1].

---

١ ـ في هامش نسخة (ض): الأفعال (خ ل).

الفصل الرابع والسبعون

وأما تفصيل معرفة صحة الإمامة الاثني عشر من عترة سيد البشر، رسول ربّ العالمين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين، فقد تقدّم التنبيه عليها والهداية إليها. ونزيدك بياناً أن كل من ادعى له أحد من المسلمين الإمامة في زمان واحد من أئمتك عليهم السّلام فاعتبر حاله في الكتب والتواريخ، فإنك تجده لايصلح لرعاية بلد واحد، ولا تدبير جيش واحد، ولا تدبير نفسه على وجه واحد، وأن الّذين اختاروه قد رووا الطعون عليه و هدموا مابنوه، فانظر كتاب (الطرائف) تجد الأُمور كلها كما أشرت إليه.

الفصل الخامس والسبعون

وقد كشف الله جلّ جلاله لك ياولدي محمد على لسان المخالف والمؤالف أن جدك محمّداً صلوات الله عليه وآله قال على رؤوس الأشهاد: «لايزال الاسلام عزيزاً ماوليهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش»[1] وهذا العدد ماعرفنا أن أحداً اعتقده غير الامامية، وهو تصديق لما أنت عليه وسلفك من اعتقاد إمامة الاثني

---

١ ـ انظر: صحيح مسلم ٣: ١ حديث ٤ ـ ١٠ باب الامارة، فرائد السمطين ٢: ١٤٧ حديث ٤٤٢ ـ ٤٤٥. وفيها أحاديث قريبة مما هنا.

عشر من الصفوة النبوية، وقد تضمن كتاب (الطرائف) ذكر الأحاديث بذلك وأمثاله على وجه لايشك فيه عقل العارف.

الفصل السادس والسبعون

وماأوضح الله جلّ جلاله على يدي في كتاب (الطرائف) من النصوص الصحيحة الصريحة على أبيك علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وعلى عترته بالإمامة ما لايخفى على أهل الاستقامة، مثل قول جدك محمّد صلوات الله وسلامه عليه وآله على المنابر على رؤوس الاشهاد «واني بشر يوشك أن ادعى فأُجيب، إني مخلّف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي؛ أذكركم الله في أهل بيتي اذكركم الله في أهل بيتي»[1]. وإنّما كان أهل بيته في ذلك الوقت جماعة أنزل الله جل جلاله في القرآن تعيين أهل بيته في قوله جل جلاله ﴿إنّما يُريدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِجْسَ أهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهيراً﴾[2].

فجمع جدك محمد صلوات الله عليه وآله أباك علياً، وأُمك فاطمة سيدة نساء العالمين، وأباك الحسن، وعمك الحسين وهو جدك أيضاً من جهة أُمك أم كلثوم بنت زين العابدين عليهم السلام أجمعين، وقال: «هؤلاء أهل بيتي» وماأبقى عذراً في مخالفته للمعتذرين.

وكفى سلفك الطاهرين حجة على المخالفين وحجة للمؤالفين التعيين عليهم يوم المباهلة، مباهلة المسلمين والكافرين، وكان ذلك اليوم من أعظم أيام آيات جدك محمّد سيد المرسلين صلوات الله عليه وآله، ومعجزاته وكشف الحجة للسامعين ولمن يبلغهم إلى يوم الدين، فإن كل من عرف تلك الأُصول عرف عدد الأثني عشر على اليقين.

وهل كان يقتضي كمال صفات رب العالمين، وكمال صفات رسوله المفضّل

---

١ ـ صحيح مسلم ٤: ١٨٧٢.

٢ ـ الأحزاب: ٣٤.

على الأولين والآخرين أن يكون نوّابهما غير كاملين معصومين، وهما يريدان أن يحفظوا أسرارهما وشريعتهما، ويقوموا بأُمور الدنيا والآخرة قياماً مستمراً بغير تهوين ولا توهين.

الفصل السابع والسبعون

واعلم ياولدي محمد ألهمك الله مايريده منك، ويرضى به عنك، أن غيبة مولانا المهدي صلوات الله عليه التي حيّرت المخالف وبعض المؤالف، هي من جملة الحجج على ثبوت إمامته وإمامة آبائه الطاهرين صلوات الله على جده محمد وعليهم أجمعين؛ لأنك إذا وقفت على كتب الشيعة أو غيرهم مثل كتاب (الغيبة) لابن بابويه، وكتاب (الغيبة) للنعماني، ومثل كتاب (الشفاء والجلاء)، ومثل (كتاب أبي نعيم الحافظ في أخبار المهدي ونعوته وحقيقة مخرجه وثبوته)، والكتب التي أشرت إليها في كتاب (الطرائف)، وجدتها أو أكثرها تضمّنت قبل ولادته أنه يغيب عليه السّلام غيبة طويلة، حتى يرجع عن إمامته بعض من كان يقول بها، فلو لم يغب هذه الغيبة كان ذلك طعناً في إمامة آبائه وفيه، فصارت الغيبة حجة لهم عليهم السّلام، وحجة له على مخالفيه في ثبوت إمامته وصحة غيبته، مع أنه عليه السلام حاضر مع الله جلّ جلاله على اليقين، وإنّما غاب مَن لم يلقه عنهم لغيبتهم عمن حضره المتابعة له ولربّ العالمين.

الفصل الثامن والسبعون

فإن أدركت ياولدي موافقة توفيقك لكشف الأسرار عليك عرّفتك من حديث المهدي صلوات عليه مالايشتبه عليك، وتستغني بذلك عن الحجج المعقولات ومن الروايات، فإنّه صلّى الله عليه حي موجود على التحقيق، ومعذور عن كشف أمره إلى أن يؤذن له تدبير الله الرحيم الشفيق، كما جرت عليه عادة كثير من الأنبياء والأوصياء، فاعلم ذلك يقيناً، واجعله عقيدة وديناً، فإن أباك عرفه أبلغ من معرفة ضياء شمس النهار.

الفصل التاسع والسبعون

ولقد جمعني وبعض أهل الخلاف مجلس منفرد فقلت لهم: ماالذي تأخذون على الإمامية؟ عرّفوني به بغير تقية لأذكر ماعندي فيه، وغلقنا باب الموضع الذي كنا ساكنيه.

فقالوا: نأخذ عليهم تعرّضهم بالصحابة، ونأخذ عليهم القول بالرجعة، والقول بالمتعة، ونأخذ عليهم حديث المهدي وأنّه حي مع تطاول زمان غيبته.

فقلت لهم: أما ماذكرتم من تعرض مَن أشرتم إليه بذم بعض الصحابة، فأنتم تعلمون أن كثيراً من الصحابة استحل بعضهم دماء بعض في حرب طلحة والزبير وعائشة لمولانا علي عليه السلام، وفي حرب معاوية له عليه السّلام، واستباحوا أعراض بعضهم لبعض، حتى لعن بعضهم بعضاً على منابر الإسلام، فأُولئك هم الذين طرقوا سبيل الناس للطعن عليهم، وبهم إقتدى مَن ذمهم ونسب القبيح إليهم.

فإن كان لهم عذر في الذي عملوه من إستحلال الدماء واباحة الأعراض، فالذين اقتدوا بهم أعذروا بعد من أن تنسبوهم إلى سوء التعصب والاعراض، فوافقوا على ذلك.

وقلت لهم: وأما حديث ماأخذتم به عليهم من القول بالرجعة فأنتم تروون أن النبي صلي الله عليه وآله قال: «إنّه يجري في أُمته ماجرى في الأُمم السالفة»[1]، وهذا القرآن يتضمن ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾[2] فشهد جلّ جلاله أنه قد أحيى الموتى في الدنيا، وهي رجعة، فينبغي أن يكون في هذه الأُمة مثل ذلك، فوافقوا على ذلك.

فقلت لهم: وأما أخذكم عليهم القول بالمتعة فأنتم أحوجتم الشيعة إلى صحة

١ -
٢ - البقرة: ٢٤٤.

الحكم بها؛ لأنكم رويتم في صحاحكم عن جابربن عبدالله الأنصاري، وعبدالله ابن عباس، وعبدالله بن مسعود، وسلمة بن الأكوع، وعمران بن الحصين وأنس بن مالك، وهم من أعيان الصحابة، أن النبي صلّى الله عليه وآله مات ولم يحرّمها فلما رأت الشيعة أن رجالكم وصحاح كتبكم قد صدّقت رجالهم ورواتهم أخذوا بالمجمع عليه وتركوا ماانفردتم به، فوافقوا على ذلك.

وقلت لهم: وأما ماأخذتم عليهم من طول غيبة المهدي عليه السلام، فأنتم تعلمون أنه لوحضر رجل وقال: أنا أمشي على الماء ببغداد فإنّه يجتمع لمشاهدته لعل كل من يقدر على ذلك منهم، فإذا مشى على الماء وتعجب الناس منه. فجاء آخر قبل أن يتفرقوا وقال أيضاً: أنا أمشي على الماء، فإن التعجب منه يكون أقل من ذلك، فمشى على الماء، فإن بعض الحاضرين ربّما يتفرقون ويقل تعجبهم.

فإذا جاء ثالث وقال: أنا أيضاً أمشي على الماء فربما لايقف للنظر إليه إلّا قليل، فإذا مشى على الماء سقط التعجب من ذلك. فإن جاء رابع وذكر أنه يمشي أيضاً على الماء فربما لايبقى أحد ينظر إليه ولايتعجب منه.

وهذه حالة المهدي صلوات الله عليه؛ لأنكم رويتم أن ادريس عليه السلام حي موجود في السماء منذ زمانه إلى الآن، ورويتم أن الخضر حي موجود منذ زمان موسى عليه السلام أو قبله إلى الآن، ورويتم أن عيسى عليه السلام حي موجود في السماء وأنّه يرجع إلى الأرض مع المهدي عليه السلام.

فهذه ثلاثة نفر من البشر قد طالت أعمارهم وسقط التعجب بهم من طول أعمارهم. فهلا كان لمحمدبن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه وآله أُسوة بواحد منهم، أن يكون من عترته آية لله جل جلاله في أُمته بطول عمر واحد من ذريته، فقد ذكرتم ورويتم في صفته أنه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت جوراً وظلماً.

ولو فكرتم لعرفتم أن تصديقكم وشهادتكم أنه يملأ الأرض بالعدل شرقاً وغرباً وبعداً وقرباً، أعجب من طول بقائه، وأقرب إلى أن يكون ملحوظاً بكرامات الله

جلّ جلاله لأوليائه. وقد شهدتم أيضاً له أن عيسى بن مريم النبي المعظّم عليهما السلام يصلّي خلفه مقتدياً به في صلواته وتبعاً له، ومنصوراً به في حروبه وغزواته. وهذا أيضاً أعظم مقاماً مما استبعدتموه من طول حياته، فوافقوا على ذلك. وفي حكاية الكلام زيادة.

الفصل الثمانون

واعلم ياولدي محمد كشف الله جلّ جلاله لك عن مراده بيد كمال اسعاده لك وانجاده واوفاده، انني وجدت خلقاً من المتعصبين على أبيك علي عليه السلام، أو الجاهلين بأنعام الله جلّ جلاله عليه، يعتقدون أن الذين فتحوا بعض بلاد الكفر بعد جدك محمد صلوات عليه وآله، قد بلغوا بذلك مبلغاً لم يبلغ جدك محمد صلوات الله عليه وآله إليه.

وينبغي أن تتحقق ياولدي إن فتح البلاد والتسلط على العباد قد جرى أكثره على يد أهل الفساد، وعلى يد من لم يقصد به رضى سلطان العباد، وقد روي أن الدنيا ملكها بأسرها كافر يقال له شداد بن عاد[1] وغيره من ذوي العناد، وقد كانت البلاد التي فتحها المسلمون قبل فتحها لهم في يد ملوك الكفار والأشرار، ومادل على صلاح من كانت في يده من الفجار.

---

١ ـ قال خيرالدين الزركلي في الأعلام ٣:١٥٨: شدادبن عادبن ملطاط بن جشم بن عبدشمس بن وائل بن حمير من قحطان، ملك يماني جاهلي قديم، من ملوك الدولة الحميرية. اتفقت عليه كلمة أولي الرأي من حمير وقحطان بعد وفاة النعمان بن المنذر فولّوه الملك في صنعاء، فكان حازماً مغواراً، غزا البلاد إلى أن بلغ أرمينية، وعاد إلى الشام فزحف إلى المغرب يبني المدن ويتخذ المصانع، ولما رجع إلى اليمن مضى إلى مأرب فبنى فيه قصراً بجانب السد، لم يكن في الدنيا مثله، ولما مات نقبت له مغارة في جبل شبام ودفن بها ومعه جميع أمواله.

والذي دلت عليه تواريخ العلماء أن الغالب في دار الفناء للأنبياء والأولياء والأتقياء الملوك الظالمون والولاة المتغلبون، وقد فتح جهال ملوك بني أُمية وسفهاؤهم، الذين كانوا عاراً على الإسلام والمسلمين، من بلاد الكفر مالم يبلغ إليه الذين تقدّموا على أبيك أميرالمؤمنين عليه السلام، ولم يدل ذلك على صلاح بني أُمية المفتضحين الجاهلين.

الفصل الحادي والثمانون

واعلم ياولدي يقيناً إنما فتح بلاد الاسلام بعد جدك محمد صلّى الله عليه وآله تأييد الله جلّ جلاله ونصره، وماوعده أن تبلغ إليه نبوته وأمره، وقد كان جدك صلّى الله عليه وآله أخبر جماعة من المسلمين أنه يفتح على يد نبوته بلاد كسرى وقيصر وكلما فتحوه بعده، وكان المسلمون قد جرّبوا عليه صدقه و وعده، وسمعوا القرآن يتضمن ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[١].

وقد ذكر جماعة من أصحاب التواريخ تصديق ماأشرت إليه، وعلى خاطري مما وقفت عليه ماذكره أعثم[٢] في تأريخه مامعناه: ان أبابكر لمّا بدأ بانفاذ أبي عبيدة والجيوش إلى الروم ومات قبل أن يفتحها وفتحها المسلمون بعده في ولاية عمر، قال له قوم: لاتخرج مع العسكر، وقال قوم: أخرج معهم، فقال لأبيك علي عليه السلام: ماتقول أنت ياأباالحسن؟ فقال له علي عليه السلام: «إن خرجت نُصرت، وإن أقمت نصرت؛ لأنّ النبي صلواتُ الله عليه وآله وعدنا النصر

---

١ ـ الصف: ١٠.

٢ ـ هو أحمدبن أعثم، أو أحمدبن محمدبن علي بن أعثم الكوفي، أبومحمد، اخباري، مؤرّخ، له كتاب (الفتوح) ذكر فيه إلى أيام الرشيد، وكتاب (التأريخ) وذكر فيه إلى أيام المقتدر، وكتاب (المألوف) مات في نحو سنة ٣١٤هـ.

انظر: أعيان الشيعة ١:٤٨١، تأريخ الأدب العربي لبروكلمان ٣:٥٥، كشف الظنون ٢:١٢٣٧، معجم الأدباء ٣:٢٣٠.

للاسلام» فقال له: صدقت، وأنت وارث علم رسول الله صلى الله عليه وآله [١].

فهل ترى ياولدي ماكان فتح البلاد إلّا بقوة تلك الوعود الصادقة والعناية الإلهية الفائقة، وان الذين كانوا خلفاء بالمدينة كان وجودهم كعدمهم كما قال لهم أبوك علي عليه السلام: «ان خرجت نُصرت، وإن أقمت نُصرت».

وأقول: اعلم ياولدي محمّد أن ذلك الفتوح كان مقتضياً للجموح والعمى الذي يحتاج إلى قدوح؛ لأنّهم فتحوها وقادوا أهلها إلى طاعة المتقدمين على أبيك علي أميرالمؤمنين عليه السلام، البعيدين عن معرفة أسرار ربّ العالمين وأسرار سيد المرسلين، فانتقل أهل تلك البلاد من ضلال الكفر والبهتان، إلى ضلال ماجرى بتقدم الناس على أبيك علي عليه السلام من الضلال المستمر إلى الآن، فأي فتح تفوقوا به غير هذا لولا عمى القلوب.

ولقد رأيت في تأريخ لمن لايتهمه المخالفون في مطلوب، أن المسلمين لما اجتمعت عليهم الروم للإستئصال، كان المقوي لقلوب كثير من المسلمين مقامات رواها تدل على النصرة في تلك الحال؛ لقصور علمهم وعلم من ولّوه عليهم من أسرار مابين أيديهم.

وأقول: ياولدي محمد لو كانوا قد ولّوا أُمور الإسلام والمسلمين أباك علياً عليه السلام، الذي دلّهم عليه جدك سيد المرسلين صلّى الله عليه وآله، كان قد فُتحت البلاد على الاستقامة، وكانت مفتوحة إلى يوم القيامة، وكان قد عرّفهم من أسرار فتوحها وما ينتهي حالهم اليه، ماكان قد أودعه جدك محمّد صلّى الله عليه وآله، وكان قد كشف لعلماء الروم من أسرارهم وأسرار الاسلام ماكان يرجى به فتوح البلاد بدون قتل من قتل من المسلمين والكفار، وسلموا من الضلال والظلام فإنه قال عليه السلام: «وأيم الله لوثني لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الانجيل بانجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل القرآن

---

١ ـ الفتوح ١: ٨٢.

بقرآنهم، حتى يزهر كل كتاب ويقول: حكم فيه علي بن أبي طالب بحكم الله».

أما ترى كيف كان عارفاً بحروبه في البصرة، وقتل الخوارج وبقاء معاوية بعده، وأنه عرّف خواص أصحابه ماجرى حالهم عليه.

الفصل الثاني والثمانون

ويدلّك ياولدي على أن خلفاءهم الذين تقدّموا على أبيك أميرالمؤمنين عليه السلام ماكانوا من أهل الجهاد في الدين، إن جدك محمّداً صلّى الله عليه وآله مااستصلحهم في حياته لشيء من حروبه وفتوحه وغزواته. ولما أنفذ أبابكر ليؤدي سورة براءة إلى المشركين عزله الله جلّ جلاله عن ذلك، وولّى مكانه أباك علياً أميرالمؤمنين صلوات الله وسلامه عليه باطباق أهل الصدق من المسلمين.

ولما أدخلهم جدك محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله في فتح خيبر رجعوا منهزمين، وكادت أن تذهب حرمة سيد المرسلين بل حرمة مرسله ربّ العالمين، وأن ينكسر ناموس الدين، فتلافاه جدك محمّد صلّى الله عليه وآله بانفاذ أبيك أميرالمؤمنين عليه السلام فظفر بفتح باب خيبر ودفع أهواله.

الفصل الثالث والثمانون

ويكفيك ياولدي محمّد جملك الله جلّ جلاله باقباله ومكاشفة جلاله، أن ابتداء قوة رسالة جدك محمّد صلّى الله عليه وآله حديث بدر الكبرى، وقد عزل جدك أبابكر وعمر عن ذلك المقام وكان قد احتاج فيه إلى المساعدة بصبيان الأنصار وامداد الملائكة، وماتخلّف عن مباشرة تلك الواقعة ممن حضرها أو قدر علىٰ المساعدة من المسلمين الآ النساء، ومن يجري مجراهن ممن يخاف وقوع الهرب والخذلان والانكسار منه. فكان عزل هذين الرجلين في ذلك المقام من مباشرة الحرب والوقوف بالصف من غير قتل ولاضرب نصاً عليهما أنهما لايصلحان لرئاسة الأُمة وكشف الغمة، ولا لمقام يحتاج إلى علو همة.

الفصل الرابع والثمانون

وما اكتفى جدك محمّد صلّى الله عليه وآله بهذا الكشف، حتى ختم حياته وولّى عليهما أُسامة بن زيد[١] قبل وفاته، وهو صبي من صبيان المسلمين، وجعلهما رعية له بنص من الله انه (ما يَنْطِقُ عَنِ الهَوى إنْ هُوَ إلّا وَحيٌ يُوحى)[٢] عند العارفين، وهو نص عظيم على أنهما من جملة الرعية لصبي من جملة المستضعفين.

وهل كان يجوز بعد علمهم بهذا الاختيار من رسول الله صلّى الله عليه وآله أن يعكسوا اختياره، ويختار أحد منهم تقديمه على كافة أهل الإسلام، وقد كان غلطاً عظيماً ممن ابتدأه من الأنام، ومصيبة على هذه الأُمة وبلية على المسلمين، وذلك حجة عظيمة على الناس لربّ العالمين ولسيد المرسلين يوم اجتماع الأوّلين والآخرين في أنهما خالفوهما في النص والتعيين.

الفصل الخامس والثمانون

واعلم ياولدي محمّد كرّمك الله جلّ جلاله بكمال آلائه وجعلك من خلصائه، أن الذي اقتضى تدبير جدك محمّد صلّى الله عليه وآله من عزل الذين تقدموا على أبيك أميرالمؤمنين عليه السلام عن مقام الجهاد ومبارزة الأقران أيام حياته، يقتضي أن من سعادة الإسلام والمسلمين مقامهم في المدينة بعد وفاته،

---

١ ـ اسامة بن زيد بن حارثة، من كنانة عوف، أبو محمد. صحابي جليل، ولد بمكة ونشأ على الإسلام لأن أباه كان من أول الناس اسلاماً، وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يحبه حباً جمّاً. هاجر مع النبي صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة، وأمّره رسول الله قبل أن يبلغ العشرين من عمره، فكان مظفراً موفقاً. ولما توفي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رحل اسامة إلى وادي القرى فسكنه، ثم انتقل إلى دمشق في أيام معاوية فسكن المزة، وعاد بعده إلى المدينة فأقام إلى أن مات بالجرف في آخر خلافة معاوية، له في كتب الحديث ١٢٨ حديثاً. وفي تأريخ ابن عساكر أن رسول الله استعمله في جيش فيه أبوبكر وعمر. قاله الزركلي في الأعلام ١: ٢٩١ نقلاً عن طبقات ابن سعد ٤: ٤٢، وتهذيب ابن عساكر ٢: ٣٩١، والاصابة ١: ٢٩.

٢ ـ النجم: ٤، ٥.

ولم يباشروا فتوح بلاد الكافرين. وإنما كانوا اسماً وصورة يخوّف بها مَن بَعْد عنها من المشركين، وكان تخلفهما عن الحروب مع المسلمين آية لجدك محمد صلوات الله عليه وآله ليتم ما وعد به من الفتح الذي دل عليه، ولو حضروا شيئاً من فتوح البلاد ما كان يؤمن أن يقع منها ماوقع في خيبر وغيره من الهرب، وترك الجهاد وهلاك العباد.

الفصل السادس والثمانون

واعلم ياولدي محـمد حرسك الله جلّ جلاله من الشواغل عنه بنعمة وعافية مستمرة مستقرة منه، أن اسلام الذين تقدّموا على أبيك علي عليه السّلام، وتزويج جدك محمّد صلّى الله عليه وآله إليهم، وتزويجهم إليه كان على صفة يعرفها من نبّهه الله جلّ جلاله عليها، وقد ذكر الطبرسي أحمد بن علي بن أبي طالب في كتاب (الاحتجاج) وغيره أن المهدي عليه السلام ذكر أن سبب اسلامهم أنهم كانوا سمعوا من اليهود أنه سيظهر محمد ويملك العرب والعباد، وأنه يستولى على البلاد، وجعلوا لذلك دلائل وعلامات، فلمّا رأوها فيه أسلموا معه طلباً للرياسة.

ووقفت أنا على كتاب دانيال المختصر من كتاب الملاحم، وهو عندنا الآن، يتضمن مايقتضي أن أبابكر وعمر كانا عرفا من كتاب دانيال -وكان عند اليهود- حديث ملك النبي صلّى الله عليه وآله، وولاية رجل من تميم ورجل من عدي بعده دون وصيه أبيك علي عليه السلام وصفتهما، فلما رأيا الصفة في محمد جدك صلّى الله عليه وآله وفيهما تبعاه وأسلما معه، طلبا للولاية التي ذكرها دانيال في كتابه.

ويدل ياولدي محمد على أن الحال كما ذكره المهدي عليه السلام ودانيال

عليه السلام، من أن أسلامهما كان طمعاً في الدنيا، وأنهما ماطلبا من جدك محمد محاربة القبائل، ولاوقفا موقفاً يورث عداوة بينهما وبين الأماثل، كما فعل أبوك علي بن أبي طالب عليه السلام من عداوة كل من اراد الله ورسوله عداوته، من قريب وبعيد وضعيف وشديد. بل سكنا سكون الفهد حتى تمكنا من الصيد فسارعا إليه، وتركا جدك محمّد صلّى الله وآله لم يدفن ولم يشتغلا به بالصلاة والسلام عليه.

الفصل السابع والثمانون

وأما حديث التزويج إليهم وتزويجهم اليه عند اسلافك ياولدي محمد، فإن الله جل جلاله كان قد عرّف جدك محمّداً صلّى الله عليه وآله مايحدث بعده في الاسلام، ومخالفة من أمته لنصه على أبيك عليّ عليه السلام بامامته، وأن الله جلّ جلاله يعذب الأُمة ويبتليها بتسليط مَن تقدّم على أبيك علي بن أبي طالب عليه السلام كما قال الله جلّ جلاله (وَكَذلِكَ نُوَلّي بَعْضَ الظّالِمِينَ بَعْضاً بِما كانوا يَكْسِبُونَ).[1]

ولقد كشفت في كتاب (الطرائف) عن معرفة جدك محمد صلّى الله عليه وآله بما جرت عليه حال أُمته بعد إنتقاله[2]، وقد ذكرت لك في (الطرائف) كيف أرادوا يحرقون بالنار بيت فاطمة عليها السلام ومَن فيه، وفيه العباس وجدك علي والحسن والحسين وغيرهم من الأخيار، وكيف يحتال عمر في الشورى في قتل جدك علي عليه السلام إن توقف عن قبول وصية عمر، وكيف كان يوم السقيفة طريقاً إلى طلب الخلافة بالتغلب والاحتيال.

وكيف اجتهد معاوية في ذهاب أهل بيت النبوة بالاستئصال، وكيف بلغ

---

١ ـ الأنعام: ١٣٠.

٢ ـ الطرائف: ١٠٤.

أبنه يزيد إلى قتل الحسين عليه السلام، ودوس ظهره الشريف بحوافر الخليل، ورفع رأسه المقدس ورؤوس الأطهار على الرماح في بلاد الاسلام، وحمل حرمه سبايا كأنهن سبي الكفار ووجد معاوية ابنه يزيد من المسلمين وبقايا الصحابة الضالين ومن أعانهم على ذلك الفساد، حتى قتل يزيد أهل المدينة وسبى نساء أهلها، وبايعوا على أنهم عبيد قنّ ليزيدبن معاوية، وحتى رمى الكعبة بأحجار المنجنيق [١] وسفك دماء أهل الحرم، وبلغ مالم يبلغ إليه الكفار والأشرار.

ولعنوا أباك صلوات الله وسلامه عليه والصالحين على منابر المسلمين، وهو شيء ما فعله ملوك الكافرين، وقتلوا مَن قدروا على قتله من الشيعة الصالحين.

فكذا مايكون يؤمن أن يقع ممن تقدّم على أبيك علي أميرالمؤمنين عليه السلام، وهم أرجح من معاوية ومن يزيد من ملوك بني أُمية المارقين، أضعاف ما وقع منهم من الهلاك في الدنيا والدين.

ولولا مادبر الله لجدك محمّد صلّى الله عليه وآله من تزويجه إليهم وتزويجهم إليه، ومن أمره لجدك الحسن عليه السلام في صلح معاوية على ماكان مابقي من ذرية النبي صلّى الله عليه وآله ومن أُمور الاسلام ماقد بقي إلى الآن، وكان الحال قد زاد على ماكان في أيام الجاهلية من الضلال والعدوان والبهتان وبالله جلّ جلاله المستعان، فأذن له وأمره عليه السلام أن يزوجهم ويتزوّج منهم ليكون ذلك من أسباب حفظ ما حفظ به من دينه وذريته والأئمة من عترته، وسلامتهم من الهلاك والاصطلام.

وهذه عادة مستمرة في سالف الأيام وفي دولة الاسلام، وأنهم متى خافوا فساد الملوك والاضداد توسلوا في التزويج إليهم في ترك الحروب والجهاد إلى حفظ البلاد، وحفظ الأهل والأولاد وبلوغ المراد.

---

١ ـ في نسخة(ض): وخرق الجيفن.

وهل كان يؤمن من الذين تقدّموا على أبيك علي سلام الله عليه إذا تمكنوا بعد جدك محمّد صلّى الله عليه وآله من كل مايقدرون عليه، من استئصال من يقدرون على استئصاله من أهل بيته عليهم السلام، ومحو مايقدرون على محوه من شريعة الإسلام وقد ذكرت ذلك في كتاب (الطرائف). ومن اقدامهم في حياة جدك محمد صلّى الله عليه وآله على المعارضة له في فعاله ومقاله والطعن فيما قدروا على الطعن فيه من أفعاله.

ولمّا كان عند وفاته طلب أن يكتب لهم كتاباً لايضلوا بعده أبداً، فأقدم عمر على جدك صلّى الله عليه وآله على أن قال: إنّه ليهجر!! كما نشرحه فيما بعد، ومعناها عند أهل اللغة الهذيان[1]. ومنع عمر جدك محمّداً صلّى الله عليه وآله في تلك الحال أن يرفع الضلال من أهل الاسلام والايمان، حتى هلك من هلك منهم في ذلك الأوان.

الفصل الثامن والثمانون

واعلم ياولدي محمد أعزك الله جلّ جلاله بعزة السعادتين في الدنيا والدين التي قال الله جلّ جلاله فيها: ﴿وَلِلّٰهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، أن أبابكر وعمر صنعا أمرين عظيمين كانا سبباً لما جرى بين الإسلام والمسلمين، وضلال من ضل منهم إلى يوم الدين، واحدة في حياته، وواحدة بعد وفاته، غير أفعالهما التي هلك بها من هلك من الخلق أجمعين.

أما التي في حياته فإن البخاري ومسلم في صحيحيهما، وكل من له صدق وأمانة من رواة المسلمين ذكروا بلاخلاف أن جدك محمداً صلّى الله عليه وآله قال عند وفاته: «إئتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي أبداً»[3].

---

١ ـ الصحاح ٢: ٨٥١ «هجر».

٢ ـ المنافقون: ٩.

٣ ـ صحيح البخاري ٦: ١١ باب مرض النبي صلّى الله عليه وآله، صحيح مسلم ٣: ١٢٥٩ حديث ٢١، ٢٢ ←

وأن عمر قال في وجه جدك المعظم واستخف بحقه الأعظم وأقدم على ان قال: إنه لَيهجر، أي: لَيهذي.

ياويله وويل لمن وافقه على هذه المصيبة والرزية، هذا تفسيرها بغير شبهة عند علماء أهل اللغة العربية، فلما سمع النبي صلّى الله عليه وآله ماقد بلغ حال حرمته إليه وأن الحجة قد صارت لله جلّ جلاله وله عليه وآله السلام في الكتاب الذي دعا الناس اليه بترك الكتاب وقال: «قوموا عني لاينبغي عندي التنازع».

فكل ضلال في الدنيا منذ ذلك اليوم وقع مستوراً وشائعاً كان بطريق عمر ومن وافقه، فماأدري كيف يكون يوم القيامة حال ذلك الاقدام، وقد كان عبدالله بن عباس يبكي حتى تبل دموعُه الحصى من هول ذلك المقام ومافسد بذلك من الاسلام، ويقول: إن الرزية كل الرزية ماحال بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين كتابه.

الفصل التاسع والثمانون

واعلم ياولدي محمّد أن أقصى ماكان يخاف من كتاب جدك محمّد صلّى الله عليه وآله زوال الضلال، فهل كره ذلك إلاّ مَن كان يريد بقاء الضلال وأعظم مافي هذه الحال أن جدك محمّداً صلّى الله عليه وآله قال الله جلّ جلاله عنه أنه «مَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوىٰ إن هُوإلاّ وَحْيٌ يُوحىٰ»[1] وخاصة قوله عليه السلام عن زوال الضلال إلى يوم الحساب، فإن هذا مايعرفه ويقول إلاّ عن ربّ الأرباب، فصار الإستخفاف بقول من قال إنّه ليهجر وإنه هذيان لأعظم من جدك محمّد صلّى الله عليه وآله وهدماً للاسلام والايمان.

كتاب الوصية.

١ ـ النجم: ٤،٥.

الفصل التسعون

واعلم ياولدي محمد أودع الله جلّ جلاله سرائرك أنوار المكاشفة وديعة مستقرة متضاعفة، أن جماعة من أهل المعرفة بما جرت حال أعداء جدك محمّد صلّى الله عليه وآله وأبيك علي عليه السلام ذكروا أن الذي منع من هذه الصحيفة التي أراد أن يكتبها بزوال الضلال كان سبب منعه من هذه الحال، أنه كان قد عرف أن جدك محمداً صلى الله عليه وآله قد نص على أبيك علي عليه السلام بالخلافة بعده في مقام بعد مقام، فلما قال: «ائتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدي أبداً»[1] فخاف الذي منعه من الكتاب أنه يكتب كتاباً ليصرح بأسماء الذين يمنعون أباك علياً عليه السلام من خلافته، ويأمر بدفعهم عنه أما قتلاً أو طرداً أو حبساً أو قهراً، ويشهد عليهم في الصحيفة بما يوجب عليهم هلاكاً أو حداً، فأقدم على ذلك القول الذي (تَكادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الجِبالُ هَدًّا)[2].

فشوش هو ومن وافقه مجلسه الشريف، وعرفوا كلامه المقدس المنيف لتتم لهم الحيلة فيما فعلوه من التقدم على أبيك علي عليه السلام، وهذه عادة كثير من أهل الظلم من الأنام إذا خافوا من ركوب الحجة عليهم أو عكس حيلتهم عليهم، قطعوا الكلام ومنعوا من اتمامه وشوّشوا المجلس قبل انتظامه.

الفصل الحادي والتسعون

وأما الذي وقع من أبي بكر من الحادثة في حياته وبعد وفاته عليه السلام، التي انتظم بها مصائب الاسلام، فإن جدك محمداً صلّى الله عليه وآله كان قد

---

١ ـ صحيح البخاري ٦:١١ باب مرض النبي صلّى الله عليه وآله، صحيح مسلم ٣:١٢٥٩ حديث ٢١، ٢٢ كتاب الوصية.

٢ ـ مريم:٩٣.

جمع الذين يخالفون على أبيك عليّ عليه السلام في الخلافة، ومن يوافقهم أو يحسده أو يعاديه، وجعلهم جميعاً في جيش أُسامة وتحت رايته، وحثّ على خروجهم من المدينة حثّاً شديداً زائداً على عادته، لتخلو المدينة من المعارضين والمعاندين، ويصفوا الأمر لأبيك أمير المؤمنين، أو ليكون ذلك حجة له عليه السلام في الاجتهاد في منعهم بكل طريق، وليظهر منهم مايبطنونه من مخالفته بسوء التوفيق.

فعاد أبوبكر من جيش أُسامةِ وفسخ بذلك ماأراد جدك محمّد صلّى الله عليه وآله من التوصل في الامامة التي بها سلامة الاسلام والمسلمين وسعادتهم إلى يوم الدين، وقال للنبي صلّى الله عليه وآله: ماكنت لأقف عند اسامة وأسأل عنك الركب. ونفذ يلتمس عمر من الجيش، وقال أبوبكر لاسامة: تأذن له في العودة إلى المدينة، فكان جوابُ اسامة: إن عمر قد عاد بغير أذني وأذن لنفسه.

وماكفاه ذلك حتى صار إلى الأنصار، وهم في السقيفة على حال يجب أن يقابلوا عليها بالإنكار، فساعدهم على الاصرار، وماكفاه ذلك حتى أخذ الأمر لنفسه بالحيلة ووعدهم ـ كما ذكره البخاري ومسلم في صحيحيهما وغيرهما ـ أنه يكون الأمراء من المهاجرين والوزراء من الأنصار، ولما تمكن لم يُوَلّ أحداً منهم وزيراً وأظهر أنه كان محتالاً، وفضح نفسه بين أهل الاعتبار.

أقول: وماكفاه ذلك حتى بعث عمر إلى باب أبيك علي وأُمك فاطمة وعندهما العباس وجماعة من بني هاشم، وهم مشغولون بموت جدك محمد صلّى الله عليه وآله والمأتم، فأمر أن يحرقوا بالنار إن لم يخرجوا للبيعة على ماذكره صاحب كتاب العقد في الجزء الرابع[1] منه وجماعة ممن لايتهم في روايتهم. وهو شيء لم يبلغ إليه أحد فيما أعلم قبله ولا بعده من الأنبياء والأوصياء، ولا الملوك المعروفين بالقسوة والجفاة، ولاملوك الكفار، أنهم بعثوا مَن يحرقوا الذين تأخروا عن بيعتهم بحريق النار، مضافاً إلى تهديد القتل والضرب.

---

١ ـ العقد الفريد، ٥:١٣.

أقول: ولابلغنا أن أحداً من الملوك كان لهم نبي أو ملك، كان لهم سلطان قد أغناهم بعد الفقر وخلّصهم من الذل والضر، ودلهم على سعادة الدنيا والآخرة، وفتح عليهم بنبوته بلاد الجبابرة، ثم مات وخلّف فيهم بنتاً واحدة من ظهره وقال لهم: «إنها سيدة نساء العالمين»[1] وطفلين معها منها لهما دون سبع سنين أو قريب من ذلك، فتكون مجازات ذلك النبي أو الملك من رعيته أنهم ينفذون ناراً ليحرقوا ولديه ونفس ابنته، وهما في مقام روحه ومهجته.

وأقول: ثم ماكفاه ذلك حتى أظهر على المنبر أنه يستقيل عن الخلافة، ثم فضح نفسه وقلدها بعد وفاته ونصّ بها على عمربن الخطاب، وماهذه صفة مستقيل منها عند ذوي الألباب.

وأقول: ثم كانت وصيته بالنص على عمر كالطعن على نفسه فيما ادعاه أن جدك محمداً صلّى الله عليه وآله اختار لأُمته ترك النص على أحد منهم، وترك -على قولهم مع كماله- أمرهم مهملاً ليختاروا واحداً منهم.

أفترى أن أبابكر كان يعتقد أن رأيه لأُمة جدك محمّد صلّى الله عليه وآله أفضل من رأي نبيهم، الذي شهد الله جلّ جلاله في كتابه بالشفقة عليهم، أو كان هذا من أبي بكر تكذيباً لنفسه، وأن الرئيس لابد له من نصّ على مَن يقوم مقامه، أو خاف أنه إن ترك الأمر رجع الناس إلى أبيك أميرالمؤمنين عليه السلام، واعترفوا له بحقه ونص محمّد جدك صلوات الله وسلامه عليه وآله.

فبادر بالتعيين على عمر؛ ليمنعهم من الرجوع إلى الصراط المستقيم، أو كان قصده أن يستر عليه عمر بخلافته بعده ماجرى منه من التدبير السقيم، أو كان مكافاة لعمر على مبايعته له يوم السقيفة كما ذكر صاحب كتاب العقد في أخبارهم الطريفة.[2]

---

١ ـ انظر: صحيح البخاري كتاب بدء الخلق، مسند أحمدبن حنبل ٦:٢٨٢، طبقات ابن سعد ٢:٤٠، أسدالغابة ٥:٥٢٢، حلية الأولياء ٢:٢٩.

٢ ـ العقد الفريد ٥:٢٠.

وأقول: ثم كان نصه على عمر مع علمه أنه متهم على المسلمين، وأنه ما يريد لهم خيراً أبداً، بدلالة أنه منع جدك محمّد صلّى الله عليه وآله عند وفاته أن يكتب لهم صحيفة لن يضلوا معها إلى يوم الدين، ومع معرفته بقساوة عمر وفظاظته وغلظته وعداوته لنبي صلّى الله لأبيك أمير المؤمنين عليه السلام، من أعظم المصائب على كل من هلك أو صل ، أو ليضل عن نبوة جدك محمّد سيد المرسلين صلوات الله عليه وعلى عترته الطاهرين.

الفصل الثاني والتسعون

واعلم ياولدي محمّد سلك الله جلّ جلاله بك سبيل الصواب، وشرّفك بسعادة ذوي الألباب، أنّ الذي جرى يوم السقيفة من تركهم للنبي صلّى الله عليه وآله على فراش الممات، واشتغالهم بالولايات، وماجرى من ترك المشاورة لذوي البصائر، وانفرادهم بتلك الفضائح في الموارد والمصادر، كاد أن يزيل حكم النبوة، ويوجب ذهاب الاسلام بالكلية؛ لأن العرب لما سمعوا عن أهل السقيفة اشتغالهم بالأمور الدنيوية واستخفافهم بالحرمة النبويّة لم يستبعدوا أنهم خرجوا من اعتقاد نبوّته، وعن وصيّته بمن أوصى إليه بإمامته، وأن قد صار الأمر مغالبة لمن غلب عليه، فارتدت قبائل العرب، واختار كل قوم منهم رأياً اعتمدوا عليه، فحكي جماعة من أصحاب التواريخ منهم العباس بن عبدالرحيم المروزي فقال ماهذا لفظه:

ولم يلبث الاسلام بعد موت النبي صلّى الله عليه من طوائف العرب إلّا في أهل المدينة وأهل مكة وأهل الطائف، وارتد سائر الناس.

ثم شرح المروزي كيفية ارتداد الخلائق بعد النبي صلى الله عليه وآله فقال: ارتدت بنوتميم وغيرهم واجتمعوا على مالك ابن نويرة اليربوعي، وارتدت ربيعة كلها وكانت لهم ثلاثة عساكر: عسكر باليمامة مع مسيلمة الكذّاب، وعسكر مع

مغرور الشيباني وفيه بنوشيبان وعامة بكربن وائل، وعسكر مع الحطم العبدي.

قال المروزي: وارتد أهل اليمن، وارتدّ الأشعث بن قيس في كندة، وارتد أهل مأرب مع الأسود العبسي، وارتدت بنوعامر إلّا علقمة بن علاقة[1].

فكان هذا الارتداد ياولدي محمد من جملة موانع أبيك أميرالمؤمنين عليه السلام من منازعة أبي بكر وعمر، ومن رغب في نيل الدنيا بطريقهما ممن يرجوا أن يحصل له منهما اذا حصل لهما ولاية من الحطام مالايرجوا بولاية أبيك علي عليه السلام، لانهم عرفوا منه صلّى الله عليه وآله أنه لايعمل بغير الحق الذي لاتصبر عليه النفوس.

فلو أن أباك أميرالمؤمنين عليه السلام نازع أبابكر منازعة المغالبة والمقاهرة، لأدّى ذلك إلى أن يصير أهل المدينة حرباً وأهل الردة ظاهره، وكان أهل مكة الذي ذكر أنهم مارتدوا وقد أسلموا لما هجم النبي صلى الله عليه وآله بالعساكر التي عجزوا عنها وملكهم قهراً وبغتة على صفة ما كانوا يقدرون على التخلص منها. فكان اسلامهم اسلام مقهور، فمتى وجدوا مَن يساعدهم على زوال القهر عنهم مايؤمن منه ارتدادهم عما قهروا عليه من الاسلام المذكور.

فما كان بقي على ماذكر المروزي وغيره ممن ارتد من سائر أهل تلك البلاد إلّا الطائف، وأي مقدار للطائف مع ارتداد سائر الطوائف، فلولا تسكين أبيك أميرالمؤمنين عليه السلام لذلك البغي والعدوان بترك المحاربة لأبي بكر، ومساعدته لأهل المدينة على الذين ارتدوا على الاسلام والايمان واطفاء تلك النيران، كان قد ذهب ذلك الوقت الاسلام بالكلية، أو كاد يذهب مايمكن ذهابه منه بتلك الاختلافات الرديئة.

وهذه مصائب وعجائب أوجبها مسارعة أبي بكر وعمر ومَن اجتمع في السقيفة لطلب الدنيا السخيفة، والتوصل فيها بالمغالبة والحيلة، وتركهم جدك

---

١ ـ ذكره ابن أعثم في الفتوح ١: ١٥.

محمّداً صلّى الله عليه وآله بين أهله على فراش وفاته، كأنه كان عند أهل السقيفة مثل امرأة قد ضجر صاحبها منها مما يمتنعه من سوء الارادة ولا ترجي الولادة، فصاحبها مستقيل من حياتها، وإذا ماتت فرح بمماتها.

وكان من جملة حقوقه عليه السلام بعد وفاته وخاصة يوم الممات أن يجلس المسلمون كلهم على التراب بَل على الرماد، ويلبسوا أفضل ما يلبسه أهل المصائب من السواد، ويشتغلوا ذلك اليوم خاصة عن الطعام والشراب، ويشترك الرجال والنساء في النياحة والبكاء والمصائب، ويكون يوماً ماكان مثله في الدنيا ولا يكون. فما كان يتعذر أن يجمعوا بين طلب الولاية وبين حقوق مصابه العظيم، الذي لايجوز أن يهون فكيف جاز في عقل أو شرع أن ينقضي ذلك اليوم بالمخاصمات على الحطام فيالها من نكبة وفضيحة عليهم تبكي منها القلوب والعيون.

ومن أعجب مارأيته في كتب المخالفين وقد ذكره الطبري[1] في تأريخه مامعناه: إن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم توفي يوم الاثنين، ومادفن إلى ليلة الأربعاء.

وفي رواية أنه صلّى الله عليه وآله بقي ثلاثة أيام حتى دفن[2].

وذكر ابراهيم الثقفي في كتاب (المعرفة) في الجزء الرابع تحقيقاً أن النبي صلّى الله عليه وآله بقي ثلاثة أيام حتى دفن، لاشتغالهم بولاية أبي بكر والمنازعات فيها.

وماكان يقدر أبوك علي عليه السلام أن يفارقه، ولاأن يدفنه قبل صلاتهم عليه، ولاكان يؤمن أن يقتلوه إن فعل ذلك، أو ينبشوا النبي صلّى الله عليه وآله ويخرجوه، ويذكروا أنه دفنه في غير وقت دفنه، أو في غير الموضع الذي يدفن فيه،

---

١ ـ هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، أبوجعفر، المفسّر الكبير صاحب (جامع البيان)، أصله من طبرستان، مات سنة ٣١٠هـ. قال ابن حجر في لسان الميزان: ثقة صادق، فيه تشيع يسير، وموالاة لا تضر. وإنما نبذ بالتشيع لأنه صحح حديث الغدير. وحكى الذهبي في التذكرة عن الفرغاني: انه لما بلغه أن ابن أبي داود تكلم في حديث غديرخم، عمل كتاب الفضائل، وتكلم على تصحيح الحديث.

انظر: البداية والنهاية ١١:١٤٥، تذكرة الحفاظ ٢:٢٥١، طبقات المفسرين: ٣٠، لسان الميزان ٥:١٠٠.

٢ ـ تأريخ الطبري ٣:٢١١.

فأبعد الله جلّ جلاله من رحمته وعنايته نفوساً تركته على فراش منيته، واشتغلت بولاية كان هو أصلها بنبوته ورسالته لتخرجها من أهل بيته وعترته.

والله ياولدي ماأدري كيف سمحت عقولهم ومروّتهم ونفوسهم وصحبتهم مع شفقته عليهم واحسانه إليهم بهذا التهوين، ولقد قال مولانا زين العابدين عليه السلام: «والله لوتمكن القوم أن طلبوا الملك بغير التعلق باسم رسالته كانوا قد عدلوا عن نبوته» وبالله المستعان.

الفصل الثالث والتسعون

وقد كشف أبوك مولانا علي عليه السلام هذا، كشفاً دل ببيان المقال عليه في حديث يشهد لسان حاله أنه من لفظه وشريف مقالته عليه السلام، يتواتر بنقله علماء الشيعة الامامية، وفيه ايضاح لما جرىٰ من حال أبيك علي مع الفرق الدنيوية، وممن ذكره أبوجعفر محمدبن بابويه رحمه الله في الجزء الثاني من كتاب (الخصال) في امتحان الله عزّ وجل أوصياء الأنبياء عليهم السلام في حياة الأنبياء في سبعة مواطن، وبعد وفاتهم في سبعة مواطن[1] وهو عندنا الآن في جملة مجلّدات بطرق واضحات، فقف على مافيه من أسرار الاسلام والايمان.

وشرح عليه السلام حاله أيضاً مع أهل العدوان في رسالة سوف نوردها في أواخر هذه الرسالة ان شاء الله تعالى، ولولا أنني ماقصدتُ بهذه الرسالة مني إليك ايراد الأخبار وإلّا كنت أوردته، ويكفي أني قد دللتك على بعض مواضعه وهو مشهور عند أهل الاعتبار، فلقدقاسىٰ أبوك علي عليه السلام في حفظ بيضة الاسلام وبقاء هذا الأذان، وحفظ مافي أيديهم من القرآن والصلوة إلى القبلة والأحكام الظاهرة مالولا أن الله جلّ جلاله قوّاه عليه بقدرته الباهرة كان قد عجز عن حمله، فسبحان من أقدره على ذلك بعنايته وفضله وماأحق جدك مولانا علي عليه

---

١ ـ الخصال: ٣٦٤.

السلام بقول الخنساء[1]:

وَمَا بَلَغَتْ كَفُّ أمرِيءٍ مُتَطَاوِلٍ ... بِهِ المَجْدَ إلاّ حَيْثُ مانِلتَ أطوَلُ

وَمَا يَبْلُغُ المهدون في القول مدحة ... ولو أكثروا إلاّ الذي فيك أفضل[2]

الفصل الرابع والتسعون

واعلم ياولدي محمّد عرّفك الله جلّ جلاله ماتحتاج إلى معرفته وشرّفك بزيادات سعادات عنايته، أن العداوة كانت بين أبيك علي عليه السلام وبين الذين تقدّموا عليه ظاهرة متواترة، فانظرها من كتاب (الطرائف)[3]، ومن كتاب (نهج البلاغة)[4] ومن تواريخ أهل الصدق من الناقلين، وقد ذكرت فيه بعض مارواه البخاري ومسلم في صحيحيهما في حديث السقيفة فإنه ذكر أن أباك علياً عليه السلام وجماعة من بني هاشم تخلفوا عن بيعة أبي بكر ستة أشهر بلاخلاف محقق بين المسلمين، وذكروا أن عمر شهد أن العباس وأباك علياً عليه السلام

---

١ - هي تماضر بنت عمرو بن الحرث بن الشريد، والخنساء لقب غلب عليها لقّبت به تشبيهاً لها بالبقرة الوحشية في جمال عينيها. تزوجت أولاً رواحة بن عبدالعزيز السُلمي فولدت له عبدالله، ثم تزوجت مرداس بن أبي عامر السلمي فولدت له يزيد ومعاوية وعمراً وعمرة. ولما ظهر الإسلام أسلمت مع قومها بني سليم وانبعثت مع المسلمين لفتح بلاد فارس ومعها أولادها الأربعة، فقتل أولادها في وقعة القادسية سنة ١٦هـ.

وتعد الخنساء من شواعر العرب المعترف لهن بالتقدم، وقد أجمع الشعراء ورواة الشعر القدماء على أنه لم تكن امرأة قبلها ولابعدها أشعر منها في الرثاء، وعدوها من الطبقة الثانية. وكانت في أول أمرها تقول الشعر ولا تكثر حتى قتل أخواها معاوية وصخر فحزنت عليهما حزناً شديداً خصوصاً على صخر، ففتق الحزن اكمام شاعريتها، فنطقت بشعر هو آهات نفس لائعة، ونفثات متألم حزين، ودموع قلب حزين توفيت سنة ٢٤هـ. انظر مقدمة ديوانها: ٥.

٢ - ديوان الخنساء: ١٠٧، مع اختلاف قليل عما في الكتاب. وهاتان البيتان من قصيدة قالتها الخنساء في رثاء أخيها صخر، وهو من جيد شعرها.

٣ - الطرائف: ٢٤٧ ومابعدها.

٤ - نهج البلاغة: ٨٥ وغيرها.

كانا يشهدان ويعتقدان أن أبابكر وعمر كانا كاذبين خائنين غادرين [١] فكيف استحسن القوم بعد رواية مثل هذا أن يدعوا أنهم كانوا متفقين!! إن ذلك مكابرة في العين ومن أقبح الكذب والبهت والمين [٢].

الفصل الخامس والتسعون

واعلم ياولدي محمد حماك الله جلّ جلاله بما يباعدك عنه، وتولاّك بكل مايقربك منه، أن أباك علياً عليه السلام ماكان يحتاج إلى نص عليه بالرئاسة على أهل الاسلام؛ لأنه كمل في أوصافه كمالاً خارقاً للعادة عند ذوي الأفهام، فكان ذلك الكمال نصاً صريحاً عليه بأن الناس بعد جدك محمد صلّى الله عليه وآله تبع له ورعية بين يديه، وقد نبهناك على ذلك فيما تقدّم وأشرنا إلى ذلك وإن كان بعد جدك محمّد صلّى الله عليه وآله مثل أبيك علي عليه السّلام في الأنام كان يحتاج إلى نص بالتعيين، هيهات هيهات أن يطفؤوا نوره وقد كان آية في الأرض لمالك يوم الدين ومعجزة لرسوله صلّى الله عليه وآله بما أودعه من أسراره الباهرة للعالمين.

الفصل السادس والتسعون

واعلم ياولدي محمّد عضدك الله جلّ جلاله معاضدة عباده المقبلين، وأسعدك سعادة مَن أسعده في الدنيا والدين، أن الذي تقف عليه في كتب التواريخ، أو في كتب الآداب، أو كتب الحكمة والخطب، فمهما وجدتَ فيها شيئاً منسوباً إلى أبي بكر وعمر وأعداء أبيك علي عليه السلام، فاعلم أنها موضوعة وليست من ألفاظ أولئك المتغلبين، وأن أكثرها نسب إليهم في زمان معاوية وابنه يزيد وأيام بني أُمية. وماكان منها في أيامهم فهي من أهل الكتابة والخطابة من

١ ـ انظر الفتوح ١: ١٣.

٢ ـ المين: الكذب. الصحاح ٦: ٢٢١٠ «مين».

الصحابة الذين لهم عادة بالاصابة، لأن أبابكر وعمر وعثمان ماعرفنا أبداً منهم في الجاهلية مقاماً ولامقالاً يقتضي تعنديق نسبة الفصاحة إليهم، ولا كانوا من هذا القبيل، ولاعوّل أحد عليهم فيها.

وأما ماذكر عنهم من ألفاظ ومكاتبات ايام خلافتهم، فالعادة جارية في مثلهم ممن لم يعرف الفصاحة أوقات ولايتهم أنهم يستخدمون من ينشئ المكاتبات والجوابات، كما ترى المماليك من الأمراء والترك والعجم والملوك الذين لايفقهون مايكتبون، كيف تجد لهم عند ولايتهم كتباً، وجوابات منسوبة إليهم، ومن المعلوم أن نوّابهم وأصحابهم ماعولوا في انشائها عليهم.

وأما مايتعلق بالخطب والحكمة فإن بني أُميّة لما تظاهروا بلعن أبيك أميرالمؤمنين عليه السلام على المنابر تقرّب الطالبون للدنيا إليهم بوضع المناقب والفضائل لكل عدو لأبيك عليه السلام من الأواخر والأوائل تقية وطلباً للأمور الدنيوة، وحسداً لكم على الشرف بالسعادة النبوية والولاية الإلهية.

الفصل السابع والتسعون

واعلم ياولدي محمد عرّفك الله جلّ جلاله من العلوم النافعة الباهرة ماتكمل لك به سعادة الدنيا والآخرة، مما يزيل بعض التعجب من ضلال أكثر هذه الأُمة عن الصواب، وغلبة الباطل على الحق في ظاهر الأسباب، أن هذه سنة ماضية في الأمم الخالية، فإن آدم عليه السّلام كان له في حياته[1] ولدان كما قدّمنا قابيل وهابيل، فغلب قابيل المبطل هابيل المحق، وبقيت أُمة شيث عليه السّلام ومن بعده في تقية وفي مقام مغلوبين بالظالمين، إلى أن جاءت نبوة نوح عليه السلام، فلم يزالوا عليه مستظهرين وله معاندين إلى أن أهلكهم الله عزّوجل بالغرق الشامل والهلاك الهائل.

وكذا جرى لصالح عليه السّلام مع أُمته، ولهود مع أُمته، وللوط في أُمته، ولإبراهيم عليه السلام مع نمرود، ولموسى عليه السلام مع فرعون، ولأُمة عيسى عليه السلام حتى أخرجه الله جلّ جلاله منهم من الأرض إلى السماء.

ومانقادوا لأحد من الأنبياء إلّا بالآيات أو القهر وأنواع البلاء، ومااستقام أمرهم مع داود عليه السّلام إلّا بأمور مذهلة للآراء، ومااستقام أمرهم مع

---

١ ـ في نسخة (ض): دنياه.

سليمان عليه السلام إلّا بمعونة الجن والشياطين وطاعة الطير وغيرها وتسخير الهواء، ومااستقاموا لذي القرنين إلّا بالقتل الذريع وسفك الدماء.

فأي أُمة استقامت بالسلامة والعافية حتى تستقيم هذه الأمة بطاعة الله عزّ وجل ورسوله عليه السّلام وطاعة الأئمّة الهادية عليهم السّلام، وحصلت آخر الأُمم ونبيها آخر الأنبياء، فكيف كان تهيأ الإستيصال بها بالفناء، وبمثل الذي جرى على الأُمم الهالكة مع الانبياء عليهم السّلام.

الفصل الثامن والتسعون

واعلم ياولدي أني كنت في حضرة مولانا الكاظم عليه السّلام والجواد عليه السّلام، فحضر فقيه من المستنصرية كان يتردد عليّ قبل ذلك اليوم، فلما رأيت وقت حضوره يحتمل المعارضة له في مذهبه قلت له: يافلان ماتقول لو أن فرساً لك ضاعت منك وتوصلت في ردّها إليّ، أو فرساً لي ضاعت مني وتوصلت في ردّها إليك، أما كان ذلك حسناً أو واجباً؟ فقال: بلى.

فقلت له: قد ضاع الهدى إما منّي وإما منك، والمصلحة أن ننصف من أنفسنا وننظر ممن ضاع الهدى فنردّه عليه.

فقال: نعم.

فقلت له: لااحتج بما ينقله أصحابي؛ لأنهم متهمون عندك ولاتحتج بما ينقله أصحابك؛ لأنهم متهمون عندي أو على عقيدتي، ولكن نحتج بالقرآن، أو بالمجمع عليه من أصحابي وأصحابك، أو بما رواه أصحابي لك وبما رواه أصحابك لي.

فقال: هذا انصاف.

فقلت له: ماتقول فيما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما؟

فقال: حقّ بغير شك.

فقلت: فهل تعرف أن مسلماً روى في صحيحه عن زيدبن أرقم أنّه قال مامعناه: إن النبي صلّى الله عليه خطبنا بماء يدعى خماً فقال: «أيها الناس إني

بشر يوشك أن ادعى فأُجيب، وانّي مخلّف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، اذكركم الله في اهل بيتي، أُذكركم الله في أهل بيتي»[١].

فقال: هذا صحيح.

فقلت: وتعرف أن مسلماً روى في صحيحه في مسند عائشة أنها روت عن النبي صلّى الله عليه وآله أنه لما نزلت آية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[٢] جمع علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فقال: «هؤلاء أهل بيتي»[٣].

فقال: نعم، هذا صحيح.

فقلت له: تعرف أن البخاري ومسلماً رويا في صحيحيهما أن الانصار اجتمعت في سقيفة بني ساعدة ليبايعوا سعدبن عبادة، وأنهم مانفذوا إلى أبي بكر ولاعمر ولاإلى أحد من المهاجرين، حتى جاء أبوبكر وعمر وأبوعبيدة لما بلغهم في اجتماعهم، فقال لهم أبوبكر: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين يعني عمر وأبا عبيدة، فقال عمر: ماأتقدّم عليك، فبايعه عمر وبايعه من بايعه من الأنصار، وأن علياً عليه السّلام وبني هاشم امتنعوا من المبايعة ستة أشهر[٤].

وأن البخاري ومسلماً قالا فيما جمعه الحميدين من صحيحيهما: وكان لعلي عليه السّلام وجه بين الناس في حياة فاطمة عليها السلام، فلما ماتت فاطمة عليها السلام بعد ستة أشهر من وفاة النبي صلّى الله عليه وآله انصرفت وجوه الناس عن علي عليه السّلام، فلما رأى علي انصراف وجوه الناس عنه خرج إلى مصالحة أبي بكر[٥].

---

١ ـ صحيح مسلم ٤: ١٨٧٣ حديث ٢٤٠٨.

٢ ـ الأحزاب: ٣٣.

٣ ـ صحيح مسلم ٤: ١٨٧٠.

٤ ـ صحيح البخاري ٥: ١٢٤، صحيح مسلم ٤: ١٨٧٢.

٥ ـ صحيح البخاري ٥: ١٢٤، صحيح مسلم ٤: ١٨٧٣.

فقال: هذا صحيح.

فقلت له: ماتقول في بيعة تخلّف عنها أهل بيت رسول الله صلّى الله عليه وآله، الذين قال عنهم: «انهم الخلف من بعده وكتاب الله جل جلاله»[١]، وقال صلى الله عليه وآله فيهم: «اذكركم الله في أهل بيتي»[٢] وقال عنهم: «انهم الذين نزلت فيهم آية الطهارة»[٣]، وأنهم ماتأخروا مدة يسيرة حتى يقال أنهم تأخروا لبعض الاشتغال، وإنما كان التأخر للطعن في خلافة أبي بكر بغير اشكال في مدة ستة أشهر.

ولو كان الانسان تأخر عن غضب يرد غضبه، أو عن شبهة زالت شبهته بدون هذه المدة. وأنه ماصالح أبابكر على مقتضى حديث البخاري ومسلم إلّا لما ماتت فاطمة عليها السلام، ورأى انصراف وجوه الناس عنه خرج عند ذلك إلى المصالحة، وهذه صورة حال تدل على أنه مابايع مختاراً.

وأن البخاري ومسلماً رويا في هذا الحديث أنه مابايع أحد من بني هاشم حتى بايع علي عليه السّلام[٤].

فقال: ماأقدم على الطعن في شيء قد عمله السلف والصحابة.

فقلت له: فهذا القرآن يشهد بأنهم عملوا في حياة النبي صلّ اللّه عليه وآله وهو يرجى ويخاف، والوحي ينزل عليه بأسرارهم في حال الخوف وفي حال الأمن وحال الصحّة والإيثار عليه مالايقدروا أن يجحدوا الطعن عليهم به، وإذا جاز منهم مخالفته في حياته وهو يُرجى ويخاف، فقد صاروا أقرب إلى مخالفته بعد وفاته وقد انقطع الرجاء والخوف منه وزال الوحي عنه.

فقال: في أي موضع من القرآن؟

---

١ ـ صحيح مسلم ٤: ١٨٧٣.

٢ ـ صحيح مسلم ٤: ١٨٧٢.

٣ ـ صحيح مسلم ٤: ١٧٨٣.

٤ ـ صحيح البخاري ٥: ١٢٤، صحيح مسلم ٤: ١٨٧٢.

فقلت: قال الله جلّ جلاله في مخالفتهم في الخوف: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾[١]، فروى أصحاب التواريخ أنه لم يبق معه إلّا ثمانية أنفس، علي عليه السلام، والعباس، والفضل بن العباس، وربيعة وأبوسفيان ابنا الحارث بن عبدالمطّلب، واسامة بن زيد، وعبيدة بن أم أيمن، وروي أيمن بن أُم أيمن.

وقال الله جلّ جلاله في مخالفتهم له في الأمن: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً قُلْ مَا عِندَ اللهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[٢]، فذكر جماعة من المؤرخين أنه كان يخطب يوم الجمعة فبلغهم أن جمالاً جائت لبعض الصحابة مزينة فسارعوا إلى مشاهدتها وتركوه قائماً، وما كان عند الجمال شيء يرجون الانتفاع به، فاظنك بهم اذا حصلت خلافة يرجون نفعها ورئاستها.

وقال الله تعالى في سوء صحبتهم ماقال الله جلّ جلاله: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾[٣]، ولو كانوا معذورين في سوء صحبتهم ماقال الله جلّ جلاله: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[٤].

وقد عرفت في صحيحي مسلم والبخاري معارضتهم للنبي صلّى الله عليه وآله في غنيمة هوازن، لما اعطى المؤلفة قلوبهم أكثر منهم[٥].

ومعارضتهم له لما عفى عن أهل مكة، وتركه تغيير الكعبة واعادتها إلى ما كانت في زمن ابراهيم عليه السّلام خوفاً من معارضتهم له. ومعارضتهم له لما خطب في تنزيه صفوان بن المعقل لما قذف عائشة، وأنه ماقدر أن يتم الخطبة: أتعرف هذا جميعه في صحيحي مسلم والبخاري؟

---

١ - التوبة: ٢٦.

٢ - الجمعة: ١٢.

٣ - آل عمران: ١٥٩.

٤ - آل عمران: ١٥٩.

٥ - المجادلة: ١٢.

فقال: هذا صحيح.

فقلت: وقال الله جلّ جلاله في ايثارهم عليه القليل من الدنيا ﴿يا أيُّها الّذين آمَنُوا إذا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَي نَجْويكُمْ صَدَقَةً﴾ وقد عرفت أنهم امتنعوا من مناجاته ومحادثته لأجل التصدق برغيف ومادونه، حتى تصدق علي بن أبي طالب عليه السلام بعشرة دراهم عن عشر دفعات ناجاه فيها، ثم نسخت الآية بعد أن صارت عاراً عليهم وفضيحة إلى يوم القيامة بقوله جلّ جلاله: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَي نَجْويكُمْ صَدَقاتٍ فإنْ لَمْ تَفْعَلوا وتَابَ الله عَلَيْكُمْ﴾[١].

فإذا حضرت يوم القيامة بين يدي الله جل جلاله وبين يدي رسوله صلى الله عليه وآله وقالا لك: كيف جاز لك أن تقلّد قوماً في عملهم وفعلهم وقد عرفت منهم مثل هذه الأمور الهائلة، فأي عذر وأي حجة تبقى لك عند الله وعند رسوله في تقليدهم. فبهت وحار حيرة عظيمة.

فقلت له: أما تعرف في صحيحي البخاري ومسلم في مسند جابر بن سمرة وغيره أن النبي صلّى الله عليه وآله قال في عدة أحاديث: «لايزال هذا الدين عزيزاً ماوليهم اثناعشر خليفة كلهم من قريش»[٢].

وفي بعض أحاديثه عليه وآله السّلام من الصحيحين «لايزال أمر الناس ماضياً ماوليهم اثناعشر خليفة كلهم من قريش»[٣] وأمثال هذه الألفاظ كلها تتضمن هذا العدد الاثني عشر.

فهل تعرف في الاسلام فرقة تعتقد هذا العدد غير الامامية الاثني عشرية، فإن كانت هذه الأحاديث صحيحة كما شرطت على نفسك في تصحيح مانقله البخاري ومسلم، فهذه مصححة لعقيدة الإمامية وشاهدة بصدق مارواه سلفهم وإن كانت كذباً فلأي حال رويتموها في صحاحكم.

---

١ ـ المجادلة: ١٣.

٢ ـ صحيح البخاري ٥: ١٢٤، صحيح مسلم ٣: ١٤٥٢.

٣ ـ صحيح مسلم ٣: ١٤٥٢.

فقال: ماأصنع بما رواه البخاري ومسلم من تزكية أبي بكر وعمر وعثمان وتزكية من تابعهم؟

فقلت له: أنت تعرف أنني شرطت عليك أن لاتحتج علي بما ينفرد به أصحابك، وأنت أعرف أن الانسان ولوكان من أعظم أهل العدالة وشهد لنفسه بدرهم ومادونه ماقبلت شهادته، ولو شهد في الحال على أعظم أهل العدالة بمها شهد من الأمور مما يقبل فيه شهادة أمثاله قبلت شهادته، والبخاري ومسلم يعتقدان إمامة هؤلاء القوم فشهادتهم لهم شهادة بعقيدة نفوسهم ونصرة لرئاستهم ومنزلتهم.

فقال: والله مابيني وبين الحق عداوة، ماهذا إلّا واضح لاشبهة فيه، وأنا أتوب إلى الله تعالى بما كنت عليه من الاعتقاد.

فلمّا فرغ من شروط التوبة، واذا رجل من ورائي قد أكبّ على يديّ يقبلها ويبكي، فقلت: من أنت؟

فقال: ماعليك من اسمي، فاجتهدت به حتى قلت: فأنت الآن صديق أو صاحب حق، فكيف يحسن لي أن لاأعرف صديقي وصاحب حق عليّ لأكافيه، فامتنع من تعريف اسمه؛ فسألت الفقيه الذي من المستنصرية، فقال: هذا فلان بن فلان من فقهاء النظامية[1] سهوت عن اسمه الآن.

الفصل التاسع والتسعون

وحضرني ياولدي محمد حفظك الله جلّ جلاله لصلاح آبائك وأطال في بقائك، نقيباً وأتى رجلاً حنبلياً وقال: هذا صديقنا ويحب أن يكون على مذهبنا فحدّثه.

---

١ ـ قال الشهرستاني في الملل والنحل ١:٥٦: النظامية: هم أصحاب ابراهيم بن سيار بن هاني النظام، قد طالع كثيراً من كتب الفلاسفة، وخلط كلامهم بكلام المعتزلة، وانفرد عن أصحابه بمسائل..... ومن أصحاب النظام: الفضل الحدثي، وأحمد بن خابط.

فقلت له: ماتقول اذا حضرت القيامة وقال لك محمّد صلّى الله عليه وآله: لأي حال تركت كافة علماء الاسلام، واخترت أحمدبن حنبل[1] اماماً من دونهم، هل معك آية من كتاب الله بذلك، أو خبر عني بذلك؟ فإن كان المسلمون ماكانوا يعرفون الصحيح حتى جاء أحمد ابن حنبل وصار إماماً، فعمن روى أحمدبن حنبل عقيدته. وعلمه وإن كانوا يعرفون الصحيح وهم أصل عقيدة أحمدبن حنبل، فهلا كان السلف قبله أئمّة لك وله.

فقال: هذا لاجواب لي عنه لمحمد صلى الله عليه.

فقلت له: إذا كان لابد لك من عالم من الأُمة تقلّده فالزم أهل بيت نبيك عليهم السّلام، فإن أهل كل أحد أعرف بعقيدته وأسراره من الأجانب، فتاب ورجع.

الفصل المائة

وقلت لبعض الحنابلة: أيما أفضل آباؤك وسلفك الذين كانوا قبل أحمدبن حنبل إلى عهد النبي صلّى الله عليه وآله، أو آباؤك وسلفك الذين كانوا بعد أحمدبن حنبل؟ فإنه لابد أن يقول: إن سلفه المتقدمين على أحمدبن حنبل أفضل؛ لأجل قربهم الى الصدر الأول ومن عهد النبي صلى الله عليه وآله.

فقلت: إذا كان سلفك الذين كانوا قبل أحمدبن حنبل أفضل، فلأي حال عدلت من عقائدهم وعوائدهم إلى سلفك المتأخّرين عن أحمدبن حنبل؟ وما كان الأوائل حنابلة؛ لأن أحمدبن حنبل ما كان قدولد ولا كان مذكوراً عندهم، فلزمته الحجة وانكشفت له المحجة، والحمد لله ربّ العالمين.

---

١ ـ أبوعبدالله، أحمدبن محمدبن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المروزي البغدادي، خرجت به أمه من مرو وهي حامل فولدته ببغداد، وبها طلب العلم. وروى عن بشربن المفضل، واسماعيل بن علية، وسفيان ابن عيينة، وجرير، وغيرهم. وروى عنه البخاري، ومسلم، وأبوداود، مات سنة ٢٤١هـ.
انظر: تهذيب التهذيب ١:٧٢، طبقات الفقهاء: ٧٥.

الفصل الحادي والمائة

وحضر عندي ياولدي محمد رعاك الله جلّ جلاله بعنايته الإلهية بعض الزيدية، وقد قال لي: إن جماعة من الإمامية يريدون مني الرجوع عن مذهبي بغير حجة، وأُريد أن تكشف لي عن حقيقة الأمر بما يثبت في عقلي.

قلت له: أول ماأقول: إنني علوي حسني وحالي معلوم، ولو وجدت طريقاً إلى ثبوت عقيدة الزيدية كان ذلك نفعاً ورياسة لي دينية ودنيوية، وأنا أكشف لك بوجه لطيف عن ضعف مذهبك بعض التكشف:

هل يقبل عقل عاقل فاضل أن سلطان العالمين ينفذ رسولاً أفضل من الأولين والآخرين إلى الخلائق في المشارق والمغارب، ويصدّقه بالمعجزات القاهرة والآيات الباهرة، ثم يعكس هذا الإهتمام الهائل والتدبير الكامل، ويجعل عيار اعتماد الاسلام والمسلمين على ظن ضعيف يمكن ظهور فساده وبطلانه للعارفين؟

فقال: كيف هذا؟

فقلت: إنكم إذا بنيتم أمر الامامة -أنتم ومن وافقكم أو وافقتموه- على الاختيار من الأمة للامام على ظاهر عدالته وشجاعته وأمانته وسيرته، وليس معكم في الاختيار له إلّا غلبة الظن الذي يمكن أن يظهر خلافه لكل من عمل عليه كما جرى للملائكة وهم أفضل اختياراً من بني آدم لما عارضوا الله جلّ جلا، في أنه جعل آدم خليفة وقالوا (أَتجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فيها وَيَسْفِكُ الدِماءَ وَنَحْنُ نُسَبّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدّسُ لَكَ)[1]، فلما كشف لهم حال آدم عليه السلام رجعوا عن اختيارهم لعزل آدم وقالوا: (سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إلّا ماعَلَّمْتَنا)[2].

وكما جرى لآدم الأكل من الشجرة، وكما جرى لموسى في اختياره سبعين

---

١ ـ البقرة: ٣٠.

٢ ـ البقرة: ٣٢.

رجلاً من خيار قومه للميقات ثم قال عنهم بعد ذلك: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾[1] حيث قالوا: ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾[2].

وكما جرى ليعقوب عليه السلام في اختياره أولاده لحفظ ولده يوسف، وغيره من اختيار الأنبياء والأوصياء والأولياء، وظهر لهم بعد ذلك الاختيار ضعف تلك الآراء.

فإذا كان هؤلاء المعصومون قد دخل عليهم في اختيارهم ماقد شهد به القرآن والاجماع من المسلمين، فكيف يكون اختيار غيرهم ممن يعرف من نفسه أنه ما مارس أبداً خلافة ولاامارة ولارئاسة، حتى يعرف شروطها وتفصيل مباشرتها فيستصلح لها من يقوم لها، ومامعه، إلّا ظن ضعيف بصلاح ظاهر مَن يختاره.

وهل يقبل عقل عاقل وفضل فاضل أن قوماً مايعرفون مباشرة ولامكاشفة تفصيل مايحتاج إليه من يختارونه، فيكون اختيارهم لأمر لايعرفونه حجة على من حضر وعلى من لم يحضر؟! أما هذا من الغلط المستكره[3].

ومن أين للذين يختارون إمامهم معرفة بتدبير الجيوش والعساكر، وتدبير البلاد، وعمارة الأرضين والاصلاح، لإختلاف ارادات العالمين، حتى يختاروا واحداً يقوم بما يجهلونه، إنّا لله وإنّا إليه راجعون ممن قلدهم في ذلك أو يقلدونه.

ومما يقال لهم: إن هؤلاء الذين يختارون الإمام للمسلمين مَن الذي يختارهم لتعيين الامام، ومن أي المذاهب يكونون، فإن مذاهب الذين يذهبون إلى اختيار الإمام مختلفة. وكم يكون مقدار مابلغوا إليه من العلوم حتى يختاروا عندها الإمام، وكم يكون عدده.

وهل يكونون من بلد واحد أو من بلاد متفرقة، وهل يحتاجون قبل اختيارهم للامام أن يسافروا إلى البلاد يستعلمون مَن فيها ممن يصلح للامامة أو لايصلح، أو

---

١ - الأعراف: ١٥٥.

٢ - النساء: ١٥٣.

٣ - في هامش نسخة (ض): المستنكر (خ ل).

هل يحتاجون أن يراسلوا من بَعد عنهم من البلاد ويعرفونهم أنهم يريدون اختيار الإمام للمسلمين. فإن كان في بلد غير بلدهم من يصلح أو يرجح ممن هو في بلادهم يعرفونهم أم يختارون من غير كشف لما في البلاد، ومن غير مراسلة لعلماء بلاد الاسلام؟

فإن كان سؤال من هذه السؤالات يتعذر قيام الحجة على صحته وعلى لزومه لله جلّ جلاله، ولزومه لرسوله صلى الله عليه وآله، ولزومه لمن لايكون مختاراً لمن يختارونه من علماء الاسلام، أفلا ترى تعذّر ماادّعوه من اختيار الإمام.

الفصل الثاني والمائة

ولقد سمع منّي بعض هذا الكلام شخص من أهل العلم من علم الكلام، فقال: إن الناس مازالوا يعملون في مصالحهم على الظنون.

فقلت له: هب أنهم يعملون في مصالحهم في نفوسهم بظنونهم، فكيف تجاوزوا ذلك إلى التحكم على تدبير الله جلّ جلاله في عباده وبلاده، والاقدام بظنونهم الضعيفة على هدم الاهتمام بثبوت أقدام النبوة الشريفة، ونقل تدبيرها عن اليقين الشريف إلى الظن الضعيف؟! ومَن جعل لهم ولاية على كل من في الدنيا والدين، وماحضروا معهم في اختيار الامام، ولاشاركوهم ولاأذنوا لهم من سائر بلادالاسلام؟! ومَن وليهم عليّ وأنا غافل بعيد عنهم، حتى يختاروا ليَ بظنهم الضعيف إماماً ماوكلتهم فيه ولاأرضى أبداً بالاختيار منهم؟ فهل هذا إلّا ظلم هائل وجور شامل من غير رضى مَن يدعي وكالته، ونيابة مااستنابه فيها من غير رضى من يدعي نيابته.

ثم قلت لهم: أنتم ماكنتم تتفكّرون فساده في أول مرة لما أظهر العدل واجتمعتم عليه، فلما تمكن منكم قتلكم وأخذ أموالكم، وقد رأيتم ورأينا وسمعتم وسمعنا من اختيار الملوك والخلفاء، والاطلاع على الغلط في الاختيار لهم وقتلهم وعزلهم وفسادتلك الآراء.

وقلت لهم: أنتم تعلمون أنه يمكن أن يكون عند وقت اختياركم لواحد من ولد فاطمة عليها السلام غير معصوم ولامنصوص عليه، أن يكون في ذلك البلد وغيره من هو مثله أو أرجح منه ولا تعرفونه، فكيف تبايعون رجلاً وتقتلون أنفسكم بين يديه، ولعل غيره أرجح منه وأقوم بما تريدون.

وقلت لهم: أنتم يابني الحسن لعل مامنعكم من القول بإمامة أئمة بني الحسين إلّا أنكم ولد الامام الأكبر، ولعلكم أبيتم أن تكونوا تبعاً لولد الإمام الأصغر، ومنأراكم خلصتم من هذا العار؛ لأنكم قلّدتم زيداً عليه السلام وهو حسني، فنسبتم مذهبكم إليه، وفي بني الحسن والحسين عليهما السلام من هو أفضل منه، قبله كان عبدالله بن الحسن وولداه، والباقر والصادق عليهما السلام مايقصرون عنه.

ثم أنكم ماوجدتم له فقهاً ومذهباً يقوم بالشريعة فتمّمتم مذهبكم بمذهب أبي حنيفة، وأبوحنيفة من العوام والغلمان لجدّكم ولكم. فإذا رضيتم إماماً زيدياً وهو حسني مرقع مذهبه بمذهب أبي حنيفة، فأنا أدلكم على الباقر والصادق وغيرهما عليهم السلام من بني الحسين عليه السلام غير مرقعين وعلومهم كافية في أُمور الدنيا والدين.

ثم قلت له: الناس يعرفون إنّا كنّا معشر بني هاشم رؤساء في الجاهلية والاسلام، وماكنّا أبداً تبعاً ولاأذناباً للعوام، فلما بُعث محمّد صلّى الله عليه وآله وشرفنا بنبوته وشريعته نصير تبعاً لغلمانه وللعوام من أُمته، وتعجز عناية الله جلّ جلاله به أن يكون لنا رئيس منا. أي مصيبة حملتكم على ذلك، وفينا من لايحسن أبوحنيفة يجلس بين يديه، ويحتاج أبوحنيفة وغيره من العلماء أن يقرءوا عليه. فعرف الزيدي الحق ورجع عن مذهبه في الحال، وقد اختصرت في المقال.

وحيث نبّهتك ياولدي محمد جمّلك الله جلّ جلاله بتمام الأوصاف وكمال الألطاف، على معرفة الله جلّ جلاله، ومعرفة جدك محمّد صلّى الله عليه وآله، ومعرفة عترته القائمين مقامه في حفظ تأويل كتاب ربّه، وحفظ شريعته، وحفظ

مايحتاج الاسلام إلى حفظ مقاله وفعاله، فهاأنا أذكر مايفتحه الله جلّ جلاله على سرائري ويجريه على خاطري، مذ يبعث إليك العقل رسولاً وهادياً إليه ودالاً عليه، ويشرّفك بخدمته وطاعته والحضور بين يديه، فطالع ماقدّمته على هذا الفصل قبل تشريفك بخلع العقل، ليأتي العقل إلى قلبك وهو صالح بمعرفة ربك، ومعرفة نوّابه الكاملين الكاشفين لك عن مراده وآدابه.

الفصل الثالث والمائة

فإذا وصلت إلى الوقت الذي يشرّفك الله جلّ جلاله ياولدي محمد بكمال العقل، وهو جلّ جلاله أهل من استصلاحك لمجالسته ومشافهته ودخول مقدّس حضرته لطاعته، فليكن ذلك الوقت عندك مورّخاً محفوظاً من أفضل أوقات الأعياد، وكلّما أوصلك عمرك المبارك إليه في سنة من السنين فجدد شكراً وصدقات وخدمات لواهب العقل الدال لك على شرف الدنيا والمعاد.

واعلم أنّي أحضرت أختك شرف الأشراف قبل بلوغها بقليل، وشرحت لها مااحتمله من حالها من تشريف الله جلّ جلاله لها بالإذن لها في خدمته جلّ جلاله بالكثير والقليل، وقد ذكرت الحال في كتاب (البهجة لثمرة المهجة).

الفصل الرابع والمائة

وإن بقيت حياً على ماعودني الله جلّ جلاله من رحمته وعنايته، فانني أجعل يوم تشريفك بالتكليف عيداً أتصدق فيه بمائة وخمسين ديناراً، عن كل سنة بعشرة دنانير إن كان بلوغك بالسنين، واشتغل بذلك في خدمته. وإنّما هو ماله جلّ جلاله وأنا مملوك وأنت عبده، فتحمل إليه من ماله مايريد أن تحمله لجلاله، وهذا المقدار خطر على قلب تفويضي إليه وبحضوري بين يديه. وإن أراد جلّ جلاله مهما أراد ماأقدرني عليه، فيكون قبول ذلك مني رحمة وشرفاً لي ولك ولايبلغ وصفي إليه.

وإن أنا انتقلت إليه قبل بلوغ الأمل من بقائي حتى تستغني عن الأوصياء، فقد أوصيت بك إليه جلّ جلاله وإلى غيره بأمره جلّ جلاله، وهو أشفق عليك مني وأبلغ في حفظك وبلوغ الرجاء، وأن يلهمك الله جلّ جلاله ذلك ولي بحمايتك مايليق بكرمه وماعودني من الآلاء وزيادات السعادات والعنايات، وأن يعرّفني ذلك وأنا في عداد الأموات.

واذا حضرتَ عند قبري فحدّثني ماعمله معك سيدي وسيدك ومالك أمرك وأمري، فانني رويت عن السلف الصالحين أن الميت يسمع كلام الزائرين وخاصة من أهل اليقين.

الفصل الخامس والمائة

فكن ياولدي محمد حفظك الله جلّ جلاله بما حفظ من حفظه ممن يعز عليه وقت بلوغك لخلقه كمال العقل والتشريف بالتكليف في خلوه من الشواغل عن مولاك، وتذكر أنه يراك، وتطهر قبل تلك الحال بغسل التوبة وماذكرناه في كتاب (المهمّات والتتمات) من آداب الأغسال، والبس أطهر الثياب الخالية من دنس الشبهات على ماأذكره لك من الآداب، وقف قائماً بين يدي ربّ العالمين ومالك الأولين والآخرين ـ ويحسن أن يكون على التراب ـ بخضوع وخشوع، وماينبغي ويجب على المخلوق من تراب إذا قام للبس خلع ربّ الأرباب بحضوره وحضور من حضر من ملائكته.

فإذا حصل وقت ذلك كما عيّنه جدك محمّد صلّى الله عليه وآله في شريعته، فاستحضر قلبك وجوارحك بالأدب والذلة لله والبس ماألبسك الله جلّ جلاله بالمعنى الذي يقتضي تعظيم الخلع الإلهية على يد صاحب الملة فإن أحسست وجداناً أو عرفت ذلك بالنقل تصديقاً وايماناً فاسجد لمولاك جلّ جلاله على الثرى، ومرّغ خديك بين يديه، وتذكر أن الله يرى.

وإن كان وقت فريضة أو نافلة من الصلوات أو غيرها من العبادات فتلقها

بالحمد والثناء والبشرىٰ والصفاء والوفاء كما ذكرناه في كتاب (التتمات والمهمّات)، ثم سلّم اختيارك الذي أنعم به عليك إليه، وتضرّع بين يديه أن يكون هو المتولي لاختيارك بما يلهمك ويهديك إليه إن شاء الله تعالى.

الفصل السادس والمائة

فإن كان وقت بلوغك إلىٰ خلع شرف الألباب وتحف الآداب ما هو زمان شاغل من الفرائض والنوافل الظاهرة، فابدأ بذكر ما عمل معك من النعم السالفة والحاضرة، فإني أذكر لك منها جملة عرّفني بها جلّ جلاله بلسان حال عنايته الباهرة.

فتذكّر يا ولدي جمّلك الله بتذكيره لك وعنايته بك، أنه جلّ جلاله في المعنى خدمك وله المثل الأعلى يشرفك بمعرفته، وقبل أن يتحفك بالسعادة بخدمته، بأن بنى لك السماوات والأرضين بيد قدرته، ولم يتكل اكرامه لك بذلك إلى ملائكته ولا بأحد من بريته، وأجرى لك البحار، وشق الأنهار، وغرس الاشجار، وأخرج الثمار، وعمّر الديار وجعل الشمس والقمر سراجاً لليل والنهار ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوها إِنَّ الإِنْسانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[1].

---

١ ـ ابراهيم: ٣٤.

الفصل السابع والمائة

ثم تذكّر ياولدي ذكّرك الله جلّ جلاله بعظمته وملأ قلبك هيبته، كيف نقلك من ظهر آدم عليه السلام الى بطن حواء، ومن آباء إلى أُمهات، حتى أخرجك في هذه الأوقات، وسلّمك مماجرى على الأُمم السالفة من الهلكات كما قدمنا الاشارة إليه، وأكمل صورتك وجمّل همتك، ونزّه أعراقك من الأدناس، وتبرئك من الأرجاس، وجعل وقت خروجك إلى داره في بلاد الإيمان، وعند خلوة الزمان من أخطاره وأكداره، وبين من يلقنك معرفته وخدمته تلقين الشفيق، وبحضرة من يخدمك خدمة البر الرفيق، وهيأ لك ثروة تغني عن شواغل الأعسار، وكفاك طلب تحصيلها وجعلها من أهنأ المواهب واليسار، وجعلك من ذرية قوم مسعودين بطلب رضاء ربّ العالمين، وجعل لك والداً يدعو لك قبل ولادتك بسنين، ويهديك بالسعادة بالرفق والشفقة وسعادة الدنيا والدين.

الفصل الثامن والمائة

وتذكّر يا ولدي ذكّرك الله جلّ جلاله بما ينفعك ذكره ويكمل لك بره، أنّه وما كان أحد من الخلائق عند ابتداء انشائك وتنقلك بين أُمهاتك وآبائك تقدر على مشاركته فيما اختص به جلّ جلاله من اكرامك في ذاتك وصفاتك وسعادتك

وتقليباتك،فلا تؤثرن أحداً عليه، فاحفظه وألزم التقرب إليه والذل بين يديه.

الفصل التاسع والمائة

وتذكّر ياولدي محمد ذكّرك الله بحرمته وجلاله وهيبته واقباله، أنك مجتمع من جواهر وأعراض مايقدر غيره أبداً أن يمسك منك ذرة مع ذرة، وأنّه ماسكك وماسك ماأنت عليه وفيه من السماوات والأرض امساكاً هائلاً بالقدرة، فلورفع يد إمساكه سقطت السماوات، وخسفت الأرضون وخشعت الأصوات، وهلك العالمون،فالله الله ياولدي في معرفة حق امساكه ورحمته ونعمته، ومالا يحصيه من حقوقه العارفون والمكاشفون.

الفصل العاشر والمائة

ثم تذكّر ياولدي محمد ذكّرك الله جلّ جلاله بما يغني عن ذكرك وتذكرك من ولاية تدبيره لتذكيرك ،أنّه جلّ جلاله أشفق عليك أن لايخلقك من مارج من نار، فكان لعل يجري لك ماجرى لأبليس من التكبر والاستكبار. ولاخلقك من أنوار، فلعل كان يجري لك أكثر من ذلك الأخطار.

ورتّب خلقك من تراب يوطأ بالأقدام، ثم من نطفة حكم بنجاستها تأديباً لك من خطر التكبر والاستعظام، ثم من علقة حكم أيضاً أنها نجسة في شريعة الاسلام، ثم من مضغة خالية من تمام الجوارح والعلوم والأفهام.

ثم كيف كمّل لك الجوارح التي تحتاج إليها على التمام وجعلها من أُصول ضعيفة مبنية على أساس الانهدام، ثم جعلك في بطن أُمك وهو حبس محجوب عن الأنام. ثم أول ماغذّاك به من الطعام دم الحيض المحكوم بنجاسته فيما ارتضاه من الأحكام، ثم جعل مخارج النطفة ومخرجك إلى دنيا كدرة من مجاري البول والدماء النجسة المستقذرة.

لعل جميع ذلك ليكون عليك أدب العبودية، وتسلم من المنازعة والمعارضة

للجلالة الإلهية، حتى جعلك لا تزال حاملاً للعذرة في بطنك، ثم ذلك بأن تجعل غسلها منك بيدك كل يوم وليلة على صفات متنفرة.

فتارة عاملك بالاكرام العظيم، لعل مراده أن تعرف قدرته ونعمته وترزق كرامته، وتارة عاملك برياضة التأديب، لتخاف مؤاخذته وسطوته واهانته وتفهم ربوبيته.

الفصل الحادي عشر والمائة

ثم تذكّر ياولدي محمد جلال مقامه وكمال انعامه، بأن جعلك أهلاً لأن يبعث اليك رسلاً من ملائكته حفظة بما شرفك به من طاعته، وتجميلاً لذكرك باظهار ماتتقرب به من خدمته بين الملأ الأعلى من خاصته، وليكونوا لك شهوداً على مقدّس حضرته يوم اجتماع الخلائق لمحاسبته. وماأجاز في شرعه الذي ارتضاه شهادة عبد على مولاه إلّا شهادة ملائكته لك على مقدّس حضرة ربوبيّته، ولمن شرّفه بما شرّفك من نعمته فوقهم يوم بلوغك ورشادك حق قصدهم وخدمتك بغاية اجتهادك.

وأبدأ بالتسليم عليهم كما أشرت إليه في كتاب (المهمّات والتتمات) وصاحبهم أحسن مصاحبة في سائر الأوقات ولايسمعوا منك إلّا جميلاً ولايحضروا معك مجلساً إلّا ويرونك عبداً لمولاك ومولاهم ذليلاً، ولا تكتب على أيديهم إلى سيدك الذي أنت مفتقر إليه في أمرك كله إلّا كتاباً يصلح أن يعرض عليه منزهاً مما يكرهه ويأباه، مملوءاً مما يحبه ويرضاه، كما جرت عادة المملوك الضعيف إذا كتب كتاباً إلى مالكه الأعظم صاحب المقام العالي الشريف، فإن غفلت في ليلك أو نهارك عنه، وآثرت عليه مَن ليس فيه بدل منه، فتب في الحال من غير اهمال وتصدّق بصدقة تطفي عنك نيران الذنب، فإن صدقة السر تطفي غضب الرب.

ولايشغلنك الملائكة الحافظون، ولاأحد من بني آدم الحاضرون، الذين هم

بعد وقت قليل ميتون عن مولاك ومولاهم ومالك دنياك وآخرتك ودنياهم وآخرتهم ،فإن العقل قضى أنه يقبح من العاقل أن يشتغل بمملوك عن مالك ، وهومن أخطر المسالك وطريق المهالك .وقدذكرت في كتاب(المهمات والتتمات) كيف تحاسب الملكين في آخر نهارك وآخر ليلك على تفصيل جليل، فاعمل على ذلك فإنه من كنوز كرم الله جلّ جلاله الجزيل.

الفصل الثاني عشر والمائة

ثم تذكّر ياولدي محمد أغناك الله جلّ جلاله بتذكاره وأنواره، وجعل ايثارك متابعاً لإيثاره، أن الوقت الذي شرّفك فيه بالعقل وماهو له أهل، وبعث إليك حفظة ملائكته تحتاج إلى أن تعرف أعداء مولاك وأعدائك الذين يريدون أن يحولوا بينك وبين نعمته وعنايته، ويشغلونك عن شرف مراقبته وعن هيبته وعظمته، فمنهم الشيطان الذي أهلك نفسه وحسد الذين يرجى لهم السلامة وقصدهم بالعداوة، وقد جعل الله جلّ جلاله لك منه حصوناً منيعة ودروعاً وسيعة فلا تفارقها:

منها: الاخلاص في طاعة ربّ العالمين، قال الله جلّ جلاله عن هذا العدو اللعين:﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[1] .

ومنها: الايمان والتوكل على الله جلّ جلاله، فان مولاك قال: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[2]، فإن لم تهدم أنت في هذين الحصنين ثلمة لهذا العدو الرجيم بالغفلة عن مولاك العظيم والمعصية لسيدك ومتابعة العدو الذميم، وإلّا فإنّه لايقدر هو ولاأعوانه على هدم ذلك السور المكين، ولاهدم ثلمة فيه أبد الآبدين، فاحفظ السورين بالاخلاص والتوكل على الله.

واعلم أن هذا العدو من أحقر الأعداء؛ لأنّه ماقدر أن ينفع بعد الموت من

---

١ ـ ص: ٨٢ ـ ٨٣.

٢ ـ النحل: ٩٩.

أطاعه ولايضر من عصاه، وهو كالكلب الذي للراعي، إذا عرض لك فاطلب من مولاك أن يكفيه عن أذاك ولا تشتغل بمحاربته بقدرتك فيبلغ غرضه ويشغلك عن خدمتك لمولاك وسعادتك.

ومن الأعداء طبعك ونفسك ومايتفرّع عنها من الهوى، وشواغل الدنيا، وطبعك تراب، وكذا كل شاغل في دار الذّهاب يؤول إلى التراب، فكيف يجوز أن يهون عند ذوي الألباب الكاملة الاشتغال بالتراب والأمور الزائلة عن عظمة مولاك الهائلة ونعمته الشاملة.

واعلم أن طبعك ونفسك وكل شاغل لك عن مولاك يستغيث إليك بلسان الحال ويقول لك: لا تلتفت إليهم، ويحذّرونك من الأهوال. والعقل من ورائهم يستغيث ويحذّرك أعظم التحذير، ومولاك من وراء الجميع ينكر عليك ايثارهم عليه أعظم النكير، ويقول لك: كلما يشغلك عني فهو حقير صغير، فكيف تشغل بالحقير عن الكبير، ويذكّرك أن بيده كلّما تحتاج إليه من نفع كثير ويسير.

الفصل الثالث عشر والمائة

ثم تذكّر ياولدي محمد ذكّرك الله جلّ جلاله بمواهبه، ونوّر سرائرك بعجائبه ومناقبه، أنك في وقت تعريفك بجلاله وتشريفك باقباله محتاج إلى طعام، ومَن يعمله من الأنام، وإلى ريق يسهّل الطعام ويليّنه، وإلى ماتشربه، ليحمله على ظهر ذلك إلى مجاري الأنهار في الأعضاء.

واعلم علّمك الله جل جلاله ماعمل معك وعلّمك وألهمك تحقيق كيف اصطفاك، أن الخبز مايصل إلى بين يديك حتى يستخدم لك فيه الأفلاك والأرضون، والليل والنهار، والملوك وأعوانهم في الأقطار، والأكرة: النجارين والحدادين والتجار والخبازين، ومن يجعله من الآدميين، وكيف تعب من تعب منهم في تدبيره، وهلك من هلك منهم بالآثام بسوء تقتيره.

وأنت ياولدي محمد سالم عن ذلك الخطر صغيره وكبيره.

ثم جعل لك من أنواره ومباره عيناً تنظر إليه، ويداً تمتد نحو الخبز وتقبض عليه، وفماً وأسناناً وتدبيراً محكماً لايحتوي وصفي عليه. وأجرى لك الريق من حيث لا تعلم من مجاري ماحفرتها ولاحفرها لك آباؤك ولاأمهاتك، ولا كان من الخلائق من يقدر أن يجريه لك إلاّ من بيده حياتك ومماتك، وجعل مجاريه بقدر حاجتك إلى تلك اللقمة، فلوكان أكثرمن حاجتك كان قدر جرى إلى خارج فمك وكدّر عليك ولو كان دون حاجتك كانت اللقمة يابسة لا تتهنأ بها على عادتك، فإيّاك ثم إيّاك أن تهوّن برحمته وحقوق نعمته وعظيم هيبته وحرمته، وانك تحت قبضته.

الفصل الرابع عشر والمائة

ثم تذكّر ياولدي محمد ذكّرك الله جلّ جلاله بما يريد من مراحمه، وعرّفك بفضل مكارمه، كيف أجرى الماء الذي تحتاج إليه من العيون ومن تحت الأرضين، وفتقها بقدرته، وفيها ماء هوبين صخر أصم تعجزعن فتقه قوة العالمين، ثم كيف أنزل ماأنزله من السحاب المسخربين السماء والأرض، وجعل السحاب كالمنخل لينزل بنقط متفرقة سهلة النزول من ذلك العلى، ولو جعله جارياً من الغمام مثل جريه في البحار والأنهار كان قد أهلك بني آدم، وأتلف ماخلق لهم من النبات والأشجار، وخرّب مابنوه من الديار.

وكيف لم تخلط النقطة في طريق نزولها بمصادمة الهواء، وكيف جعله في وقت دون وقت بحسب الحاجات، وجعله مباحاً مطلقاً للعزيزوالذليل في سائرالأوقات لما علم أنّه من أهم الضرورات، لئلايمنعه الملوك الظالمون عن المحتاجين إليه، وكل عدوعن عدوه، ويفسد تدبيرالدنيا، ويموت من يمنع منه بالمغالبة عليه.

فاذكرعند شربك له ماذكرت من رحمة سيدك عليه، واعرف له المنة العظمى، وأحمده بغايةما أقدرك عليه، وتذكّرعند شرب الماء أنّك ماصح لك الانتفاع بلذة تلك الشربة اليسيرة حتى عمل الله جلّ جلاله لأجل شربك مملكة كبيرة، لأن شربتك

تحتاج إلى وجودك وحياتك وعافيتك، وهذه الأُمور تحتاج إلى جميع ما في الدنيا مما يتعلق وجوده لمصلحة شربتك.

وإن كنت شربتها من آنية، فكل ما يتعلّق وجوده بالآنية نعمة في حقك بتلك الشربة التي قد هونتها لوجودها بحسب ارادتك. ولومنعها عنك وقت حاجتك عرفت قدرها وقدر المنعم بها جل جلاله المتفضل برحمتك.

وتذكر ترويحه جلّ جلاله للماء حتى يبرد ويكمل ما تريده من لذتك، ولوكان قد روّحها حتّى يبرد بعض خدمك ويد جاريتك، كنت فضلّتها على غيرها وزدتها في محبّتك وجازيتها بحسن قدرتك، فلأي حال لا تكون القلوب متعلقة باحسان الله جلّ جلاله وشفقته، كما هي متعلقة باحسان عبد من عبيده، الذين احسانهم من احسانه إليك ومن جملة نعمه عليك.

الفصل الخامس عشر والمائة

وتذكّر يا ولدي محمد ذكّرك الله جلّ جلاله بالمحبّة لك، والعناية بك في مقدّس حضرته، حديث ما تحتاج إليه من كسوة تسترك بها من عيون الناظرين، والقيام في خدمة ربّ العالمين، وكيف استخدم لك في ثيابك كما استخدم لك في طعامك وشرابك، فإن ثيابك إذا كانت من النبات، فكل من استخدمه لك جلّ جلاله في الماء والخبز فقد استخدمه في الثياب، وزاد عليه استخدام من يعالج اصلاحها من الحيوانات والدواب وذوي الألباب.

فمَن يدق الكتان ويلقط القطن ويصلحها للنساجة، ومن ينسجها، ومن يخيطها لك، ومن يحملها إليك، فإذا انعم الله جلّ جلاله بكسوة عليك فاخل بنفسك مع ربك جلّ جلاله، وطهّر جسدك وقلبك من الآثام ووسخ الذنوب بالتوبة وغسل التوبة ومايزال به دنس العيوب؛ وقم قائماً بين يدي المطلع عليك، وخذ الثياب من يد حال وجوده ومن لسان حال كرمه وجوده.

واذكر كيف كنت تكون لوأحضر لك السلطان خلعة قد استخدم لك فيها

خواص مملكته ومماليكه وجنده وأهل معرفته، وعمل فيها بيد قدرته، واحضرك لتلبسها بحضرته، ويراك كيف تعمل في شكر نعمته، فكن على أقل المراتب على تلك الصفة عند لبس خلع الله جلّ جلاله في تعظيمها والشكر للمحسن الواهب، وأستبعدُ أن يكون زمان بني أُميّة تركت أموال المسلمين خالية من الشبهات، وكذلك معاملة العرب ومن يهون بالمحرمات.

فيحسن أن تقول ياولدي عند لبس الثياب الجديدة: اللّهم إن كنت تعلم أن فيها شيئاً من المحرمات أو الشبهات فأنت المالك لأصل الحقوق والمالك لمن انتقلت إليه، فأسئلك أن تجعل لكل صاحب حق فيها عوضاً من فضلك يسدّ عني باب عدلك، وتلحقني فيها بمقام مَن ألبست خلعاً طاهرة من كل حق وشبهة باطنة وظاهرة، وأن تكون هذه ثيابي من خلع السعادات الباهرة في الدنيا والآخرة.

وكذلك تدعو كلّما تحتاج إليه في مدة الغَيبة في استعماله مما لا تأمن اختلاط حرامه بحلاله.

الفصل السادس عشر والمائة

واعلم ياولدي محمد أن الله جلّ جلاله لوحملنا على عدله ساعة دون ساعة من ليل أو نهار، ماأبقانا أبداً، وكان أمرنا قدآل إلى الهلاك والدمار؛ لأننا لانوفّيه حقه أبداً في اطلاعه علينا وحضورنا بين يديه بمقدار التفاوت بين عظمته وجلالته، وبين مانعمله من اطلاع غيره علينا أو حضورنا بين يدي غيره من مماليكه الفقراء إليه، ولانبذل الجهد في زيادة تعظيمه عليهم. وربّما اشتغلنا بهم عنه، وجعلنا ظهر لسان حالنا إليه ووجهنا اليهم.

فلوسلبنا نفوسنا وكل ماأحسن به إلينا، وقطع خبزنا وكسوتنا، وحبسنا في مطمورة الغضب علينا كنا والله لذلك مستحقين، فكيف حملنا قوتنا التي هي منه وعقولنا الموهوبة عنه، حتى صرنا نقدم أن نكون بحرمته مستخفين، ولمؤاخذته متعرضين، فإيّاك ثم إيّاك أن تهون بذلك كما يفعله الجاهلون به والغافلون، ولا تتأسى بهم، فإنّه جلّ جلاله يقول: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي العَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾[1].

واحدّثك ياولدي بجواب جرى لي مع من ينسب إلى العلم، فإنّه حضر عندي

---

١ ـ الزخرف: ٣٩.

يوماً وأنا جالس على تراب أرض بستان، فقال: كيف أنت؟

فقلت له: كيف يكون من على رأسه جنازة ميت، وعلى أكتافه جنازة ميّت، وعلى سائر جسمه أموات محيطون به، وفي رجليه جسد ميت، وحوله أموات من سائر جهاته، وبعض جسده قدمات قبل ممات جسده.

فقال: كيف هذا، فما أرى عندك ميتاً؟!

فقلت له: ألست تعلم أن عمامتي من كتان، وقد كان حياً لما كان أخضر نابتاً في الأرض فيبس ومات، وهذه صُدرتي[1] من قطن حيّ أخضر فيبس أيضاً ومات، وهذه لالجتي[2] قد كانت من حيوان فمات، وهذا حولي نبات قد كان أخضر فيبس ومات، وهذا البياض في شعر رأسي وشعر وجهي قد كان حياً بسواده فلما صار أبيضاً فقد مات، وكل جارحة لااستعملها فيما خلقت له من الطاعات فقد صارت في حكم الأموات.

فتعجب من هذه العظة وصحيح المقالات، فليكن على خاطرك ياولدي أمثال هذه العظات.

الفصل السابع عشر والمائة

ثم تذكّر ياولدي محمد عمّر الله جلّ جلاله قلبك بمكاشفته، وجلال نعمته ومراقبته، ومأأنت محتاج إليه في ساعة تشريفك بالبقاء لخدمته غير ماذكرناه، فإن اللسان والقلم والإنسان يعجز ان يحرز جميع معناه، بل كلما احتجت إليه على التفصيل فاذكر عند حاجتك إليه أنه هدية من مولاك الجليل، فانظر إلى الهدية بتعظيم واهبها، واشكر جالبها جلّ جلاله.

---

١ ـ الصدرة: ثوب رأسه كالمقنعة وأسفله يُغَشّي الصدر. انظر: القاموس المحيط ٢: ٦٨ «صدر»، الصحاح ٢: ٧٠٩ «صدر».

٢ ـ قال الزبيدي في تاج العروس ٧: ١٧٤ «للك»: اللالكائي: منسوب إلى بيع اللوالك التي تلبس في الأرجل.

مثاله: تحتاج إلى غلام أو جارية تغنيك بخدمتها على التفرغ لطاعة مولاك وخدمته، فلا تشغل بذكر الغلام والجارية والشفقة عليها من سيدك ومولاك المحسن إليك واليها، وتذكّر أنه ما كان في مقدورك أن تخلقهما ولاتخلق مايحتاجان، وتحتاج إليه أنت من ثمنها وتذللها لطاعتك ومؤنتها وحسن رعايتها، ولاأن تمضي إلى بلاد الكفر فتنهبها، ولاأن يكونا من أمة جدك محمد صلوات الله عليه وآله حتى يحل لك معونتها لك بخدمتك.

ولا كنت قادراً أن تبعث ذلك الرسول المعظّم إلى العباد، وتفتح به مافتح الله جلّ جلاله بنبوّته من البلاد، ولا كنت قادراً أن تؤيده بالمعجزات وتمده بالملائكة من السماوات.

وغير ذلك من الأسباب التي هي من مولاك ربّ الأرباب، فإنك ماقدرت أن تحضر ذلك الغلام والجارية بين يديك إلّا بعد أن أنعم مولاك بجميع هذه النعم عليك، فكيف يحل أو يليق بعاقل أن ينساه أو يؤثر عليه سواه وما كان يحصل ماحصل لولاه.

ومثال ذلك: أنك تحتاج إلى دابة تركبها في مهماتك وارادتك، التي تعينك على سعادة دنياك وآخرتك، فإنك لوكنت تتكلف الأسفار بالمشي على قدميك، كان في ذلك من الذل والمشقّة مالايخفى عليك.

وتفكّر أنه لولم يخلق الله دابة تركب إلّا دابتك، كيف كنت تكون في السرور بها والتعظيم لواهبها، وكيف كان يحسدك الملوك وغيرهم عليها، وكيف كانت تكون آية الله جلّ جلاله تنظر الخلائق إليها، فكن عافاك الله بتلك المنة الجليلة والأيادي العظيمة الجميلة.

واياك أن تكون كثرة الدواب من ربّ الأرباب يهون قدر النعمة بها، ويصغر عندك شرف بذله جلّ جلاله بها، فإن العقل ماقضى أن كلّما بالغ المولى الأعظم في الأكرام والاسعاف، إن العبد يبالغ في الاحتقار لمولاه والاستخفاف، حتى يبلغ الجاهلين إلى مقام الجحود لصاحب الجود والهلاك في اليوم الموعود،

فاحذر أن تتبعهم على الجهالات، فالقوم قد أحاطت بهم مصائب الغفلات، وهم في ذل الندامات.

ومثال ذلك ياولدي محمد: أنك تحتاج إلى ماتستعمله من الآت المشي، وآلات الركوب، وآلات التصرف في الحركات والسكنات، وآلات المأكولات والمشروبات. وإيّاك ثم ايّاك أن يشغلك حضور ذلك بين يديك بغير مشقة عليك من المنعم جلّ جلاله المحسن به إليك.

كما أنك تجد في حياتي أو بعدي لك مليكات وجاهاً عريضاً جليلاً، وكلما تلقى مهيئاً على يدي كثيراً كان أو قليلاً، فلا تشغل بشكري او ذكري عن الله جل جلاله الذي أمرني به، وحبب اليّ ومكنني من استعداد ذلك لك ولأخوتك قبل حاجتهم إليه وحاجتك، بل اشتغل بذكره عن ذكري، وبشكره عن شكري.

الفصل الثامن عشر والمائة

وتذكّر ياولدي محمد ملأ الله جلّ جلاله قلبك من أذكاره ومناره، إذا احتجت إلى زوجة تعينك على تفرغ خاطرك من شغل الشهوات الزائلة، ويسلمك مولاك بها من سموم المعاصي واللذات القاتلة، وتكونُ عوناًلك على استخراج عبيد أو اماء من العدم إلى الوجود من صلبك وترائبك بسببكما جلّ جلاله في تحصيل ذلك المقصود، ليخدمونه ويسبّحونه ويعظّمونه جلّ جلاله ويحيون سنّة نبيك جدك محمد صلّى الله عليه وآله، ويكونون دعاة إليه، وليباهي بهم الأُمم ولوبالسقط من الأولاد، وليكون من مات منهم صغيراً ذخيرة لكما يوم المعاد، ومن أطاع الله جلّ جلاله منهم وشرّفه بخدمته مكتوباً ذلك لكما في صحائف طاعته، إذا كنتماقدقصد تمابالاجتماع والنكاح مايقرّبكماإليه وإلى رضاه ومحبته.

وإيّاك ثم إيّاك أن تقرب من زوجتك أو جاريتك بمجرد الطبع الترابي على

عادة الدواب والحمير، فإن ذلك من أقبح التدابير، وإنّما تكون قاصداً امتثال أمر الله جلّ جلاله، وامتثال أمر رسوله صلّى الله عليه وآله، فما أراد منك بذلك النكاح المشار إليه.

فإن خفت غلبة الشهوة عليك فتمنعك من هذه النية المرضية، فاستعن بالاستخارة قبل الشروع في الخلوة بهذه المطالب الصادرة عن المواهب الإلهية، فإنني قدذكرت في كتاب (فتح الأبواب بين ذوي الألباب وبين ربّ الأرباب) مالم أعرف أحداً سبقني إلى مثله، وكان ذلك من كرم الله جلّ جلاله وفضله.

الفصل التاسع عشر والمائة

وإيّاك ياولدي محمّد طهّر الله جلّ جلاله في تطهير سرائرك من دنس الاشتغال بغيره عنه وملأها بما يقرّبك منه إذا احتجت إلى مخالطة الناس لحاجتك إليهم ولحاجتهم إليك، ثم إياك ثم إيّاك أن تغفل عن التذكر أن الله جلّ جلاله مطّلع عليهم وعليك، وأنكم جميعاً تحت قبضته وساكنون في داره، ومتصرفون في نعمته وأنتم مضطرون إلى مراقبته، وأنه قد توعدكم بمحاسبته. وليكن حديثك لهم كأنه في المعنى له وبالاقبال عليه، كما لوكنت في مجلس خليفة أو سلطان وعنده جماعة، فإنك كنت تقصده بحديثك والناس الحاضرون في ضيافة حديثك له واقبالك عليه.

الفصل العشرون والمائة

واعلم ياولدي محمد، ومَن بلغه كتابي هذا من ذريّتي وغيرهم من الأهل والاخوان، علّمك الله جلّ جلاله وإيّاهم مايريد منكم من المراقبة في السر والاعلان، أن مخالطة الناس داء معضل، وشغل شاغل عن الله عزّ وجل مذهل، وقد بلغ الأمر في مخالطتهم إلى نحو ماجرى في الجاهلية من الاشتغال بالأصنام عن الجلالة الإلهية.

فأقلل ياولدي من مخالطتك لهم ومخالطتهم لك بغاية الإمكان، فقد جربته ورأيته يورث مرضاً هائلاً في الأديان. فمن ذلك أنك تبتلي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكرات، فإن أقمت بذلك على الصدق وأداء الأمانات، صاروا أعداءك على اليقين، وشغلوك بالعداوة عن ربّ العالمين.

وإن نافقتهم وداريتهم، صاروا آلهة لك من دون مولاك ، وافتضحت معه وهو يراك ، ووجدك تستهزئ به في مقدّس حضرته، وتظهر خلاف ماتبطن بالاستخفاف بحرمته، وأن اطلاعهم عليك كان أهم لديك من اطلاعه عليك.

وإن غرك الشيطان وطبعك وهواك والحب لدنياك ، وخيلوا إليك أنك ماتقدر على الانكار والمجاهرة، فقل لهم: إنّك تعلم خلاف مايقولون من هذه المخادعة والمماكرة، بدليل أن الذين كسروا حرمة ربك، وحرمة رسوله جدك ، وحرمة أئمتك المعظّمين بالمنكر، الذي استخفوا بحرمة مالك الأولين والآخرين، وحرمة الأنبياء والمرسلين، وكل وليّ لله جلّ جلاله من العارفين، وهتكوا به ناموس الدين، لوكانوا قد كسروا به حرمتك وحرمة من يعز عليك من الآدميين.

مثاله: أن يأخذوا عمامتك من رأسك بين الحاضرين، أو أن يسلبوك شيئاً قهراً من الذين بين يديك بالاستخفاف بك والتهوين، ماكنت تتغافل عنهم ولا تصبر عليهم، ولا تعتذر بأنك ماكنت تقدر أن تنكر عليهم، بل كنت تخاصمهم لعل بنفسك ومالك، وتبالغ بغاية اجتهاد مقالك وفعالك في الانتقام منهم والاعراض عنهم والانكار عليهم والتوصل في الانتصار عليهم، فعلى مَ لايكون كسر حرمة مولاك فاطر الخلائق ومالك المغارب والمشارق، مثل كسر حرمتك اليسيرة إلى حرمته العظيمة الكبيرة، وكيف رضيت أن تكون حرمتك أهم من حرمته، وأنت غريق نعمته ومملوك ضعيف في قبضته، ومالذي هوّن بهذه الجرأة الهائلة في مقدس حضرته.

واعلم أنك تبتلي بمخالطتهم بأن يتفق لك أن تثق بعهودهم أكثر من وعود مولاك ، وأنت تعلم أنهم يمكن أن يموتوا قبل انجاز الوعود، ويمكن أن يخلفوا

ولايفوا بالعهد، ويمكن أن يحول بينك وبين الانتفاع بوعودهم لوأنجزوها حوائل ويشغلك عنها شواغل، فكيف رضى عقل العاقل وفضل الفاضل بترجيح وعد المملوك المعوّد بالجنايات والخيانات وتضييع العهود والأمانات، على وعد القادر بذاته، الكريم لذاته، الذي لاحائل بينه وبين سائر مقدوراته.

واعلم أنك ياولدي تبتلي مع مخالطتهم بأن يكون وعيدهم وتهديدهم أرجح من وعيد الله جلّ جلاله وتهديده وفي ذلك مخاطرة مع الله جلّ جلاله، واستخفاف لأهوال وعيده.

واعلم أنه يبتلي المخالط لهم بالأُنس بهم أكثر من أُنسه بمولاه ومالك دنياه وأُخراه، وإنّما حصل الأُنس بمخالطتهم بوجود العبد وحياته وعافيته، وكل ذلك من رحمة مولاك ومن نعمته، فكيف جاز تقديم الأُنس بسواه عليه، والعبد الذي بين يديه وسيده مطلع عليه.

واعلم أن الانسان قد يبتلي أيضاً بالمخالطة للعباد بحب مدحهم وكراهة ذمهم، ويشتغل بذلك عن حب مولاه وذمه له، وعن حبه هو لمولاه، وعن الخوف من ذمه إذا عصاه.

ومما يبتلي به المخالط لهم أن الله عزّ وجل ورسوله صلى الله عليه وآله ونوابه الطاهرين يريدون منه العدل مع الذين هم له مخالطون أو معاشرون أو مصاحبون، وأن يكون تقربه لهم واقباله عليهم في قوله واحسانه إليهم على مايعرف ويظهرله من قربهم من الله عزّ وجل ورسوله صلّى الله عليه وآله وخاصته، وعلى قدر رغبتهم في طاعة الله جلّ جلاله ومراقبته.

ومما يبتلي به المخالط لهم أنهم إذا كسروا حرمته بقول أو فعل من معاند، أو من يفعل ذلك به على جهل، أو يكون كما قدمناه غضبه بذلك لما جرى أكثر من مخالفة الله جلّ جلاله ورسوله صلّى الله عليه وآله قبل غضبه لنفسه، ويعدل في غضبه ورضاه عدلاً يسلمه من خطر حسابه وسؤاله.

ومما يبتلي به في مخالطتهم أنه يراد منه ألا يشتغل بإقبالهم وثنائهم عليه عن

اقباله على الله عزّوجل واقبال الله جلّ جلاله عليه، ولايعطيهم من قلبه إذا أحسنوا إليه أكثر، ولامثل احسان الله جلّ جلاله إليه، بل يكون له شغل شاغل باحسان الله جلّ جلاله في العاجل والآجل عن كل محسن مدة احسانه، فإنّه إن دام على ذلك فهو مقدار أوقات قلائل.

ومما يبتلي به في مخالطتهم ماقد صار عادة وسبيلاً من الغيبة والنميمة، والحسد والكبر والأخلاق الذميمة.

ولقد رأيت البلوى بمخالطتهم قد سرت إلى فساد العبادات، حتى صارت زيارة أكثر الإخوان متعلقة بنفع دنيوي، أو دفع خطر دنيوي، ويستبعد سلامتها من سقم النيّات.

وصارت عيادة المرضى على سبيل التوجّع والتألم للمريض، كأن الله جلّ جلاله قد ظلمه بالمرض، وكان حق العائد لأهل الأمراض أن يهنئهم بتلك الأمراض؛ لأنهم: إما مسيئون ويريدالله جلّ جلاله بمرضهم تكفير السيئات، اوماهم من اهل الجنايات فيريدالله جل جلاله بامراضهم من ارتفاع الدرجات، مالوا طلعوا عليه وجدوه قد شرّفهم بتلك الحادثات. وكان الحال عندهم مثل طبيب فصد انساناً وقت عافيته ليأمن بذلك من سقم أو نقص يتجدد بمهجته، أو لحفظ ماهو أهم على المفتصد من سعادته.

أما يرضى ابن آدم أنّه يوسّخ قلبه وعقله ولسان حاله بجنايات فعاله ومقاله، ويأتي الله جلّ جلاله على صفات غاسل من الأمراض لأقذاره ومطهّر الأرجاس بيد اقتداره؟!

أقول: ولقد مرض ياولدي بعض الولاة وضجر من المرض حتى كاد يعارض مولاه، فقلت له مكاتبة مامعناه: أنت تعلم أنك في صف عدو الله جلّ جلاله المسمّى بالشيطان، ترمي جناب الله جلّ جلاله المقدّس بأحجار المنجنيق بالمعاصي مجاهرة بالإعلان، فإذا سقط من منجنيقك عند ضربك لعظمة مخالفته حجر لطيف غير قاتل لك، فضربك به ليكفّر عند ضربك لجلالته، فهل يكون

احساناً واكراماً أوهواناً وانتقاماً.

ولقد رأيت يا ولدي كثيراً من تشييع الجنائز والصلوات على الأموات، وهو أعظم مقامات العظات التي كان ينبغي أن يشتغل العبد بأهوالها عن الدنيا وأهلها أو عن الغفلات، قد صار على سبيل المكافآت والتقرب إلى قلوب أوليائهم. فلو مات صالح على اليقين، وليس له من الأحياء مَن يتقرب إليه بالصلاة عليه، لقل الراغبون في تشييع جنازته، وسقطت مراسم سلطان العالمين وأوامر سيد المرسلين.

وكذلك لو مات أحد ممن له أولياء يرجى نفعهم وكانوا حاضرين وإن لم يقدروا على ايذاء المشيّعين والمصلّين، رأيت توفير الاجتماع للصلوة عليه حتى ممن هو مستغن عن نفع أولياء المشيَّع المسكين.

الفصل الحادي والعشرون والمائة

واعلم يا ولدي محمد بارك الله جلّ جلاله في حياتك، وشرّف مقاماتك، أن أصعب المخالطات مخالطة العصاة، سواء كانوا ولاة أو غير ولاة، إذا لم تكن مخالطتهم للانكار عليه وبأمر الله جل جلاله لإهداء النصيحة المجردة إليهم، فإن الله جلّ جلاله يريد من الانسان إذا خالطهم لغير ما أمره به مولاه المطّلع على سره ونجواه، أن يكون على أقل المراتب قلبه معرضاً عمن الله جلّ جلاله معرض عنه، ونافر ممن الله جلّ جلاله ماقت له أو ساخط عليه.

وهذا مقام صعب شديد، وإنه والله بعيد، وخاصة إن كان الذي يخالطه والياً وهو محتاج إليه، وقد قضى حاجته أو أحسن إليه، فكيف يبقى له قلب مع الله جلّ جلاله يوافقه في اعراضه وإقباله، هيهات هيهات، بل يفسد الوالي على الذي يقضي حاجته من دينه، ومفارقة مولاه أكثر مما يصلح بقضاء ماقضاه ويغيّر كثيراً من حاله في أُخراه.

ولقد كتب يوماً إليّ بعض الوزراء يطلب مني الزيارة والورود عليه، فكتبت إليه جوابه: كيف بقي لي قدرة على مكاتبتك في حوائجي وحوائج الفقراء وأهل

الضراء، وأنا مكلّف من الله جلّ جلاله ورسوله صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام، أن أكره بقاءك على ما أنت عليه حتى يصل كتابي إليك، ومكلّف أن أُريد عزلك عن مقامك قبل وصول كتابي وقدومه عليك.

الفصل الثاني والعشرون والمائة

ولقد قال لي قائل من الفقهاء: فقد كانت الأئمّة عليهم السلام يدخلون على الملوك والخلفاء.

فقلت له ما معناه: إنّهم صلوات الله عليهم كانوا يدخلون والقلوب معرضة عمن دخلوا عليه، ساخطة عليه بقدر ما أراد الله جلّ جلاله من سخطه واعراضه عنهم. قلت: فهل تجد من نفسك هكذا اذا قضوا لك حاجة أو قربوك، أو وقع احسان إليك منهم؟ قال: لا، واعترف بتفاوت الحال، وأن دخول الضعفاء ما هو مثل دخول أهل الكمال.

الفصل الثالث والعشرون والمائة

ولقد كرر مراسلتي ومكاتبتي بعض ملوك الدنيا الكبار في أن أزوره في دار يتنافس في دخولها كثير من أهل الاغترار، فقلت له مراسلة: انظر المسكن الذي أنت ساكنه الآن، فإن وجدت فيه حائطاً أو طابقة أو أرضاً أو فراشاً أو ستراً أو شيئاً من الآنية وضع لله جلّ جلاله وفي رضاه حتى أحضر، وأجلس عليه وأنظر إليه ويهون علي أن أراه.

وكتبت إليه غير مرة: إن الذي كان يحملني على لقاء الملوك في بداية الأعمار التعويل بالاستخارة، وقد رأيت الآن بما وهبني الله جلّ جلاله من الأنوار والاطلاع على الأسرار أن الاستخارة في مثل هذه الأسباب بعيدة عن الصواب وخاطرة مع ربّ الأرباب.

ومما يبتلى به الإنسان في مخالطة الناس يا ولدي محمد أغناك الله جلّ جلاله

عن مخالطتهم بالقوة الإلهية والأنوار الربانيّة، تنظر بها خطر شواغلهم عن الله جلّ جلاله بمعاشرتهم، أنّه يقتضي التصنّع لهم في حركاته وسكناته وملبوسه، وقيامه وجلوسه، والاشتغال باقامة ناموسهم عن حرمة الله جلّ جلاله وعظيم ناموسه.

ولقد قال لي بعض العلماء المشكورين: لأي سبب تترك مجالستنا ومحادثتنا وأنت تدعونا وتقرّبنا إلى ربّ العالمين.

فقلت له مامعناه: لأنني لو رأيت نفسي قوية كل أوان وزمان على أن أُجالسكم وأُحدّثكم، وأنا مشغول في حال مجالستكم ومحادثتكم بمجالسة الله جلّ جلاله ومحادثته بقلبي وسريرتي، وأنكم في ضيافة اقبالي على حرمته بكليتي، كنتُ جالستكم وحدثتكم في كل وقت ممكن من الأوقات. ولكن أخاف أن أُحدّثكم أو أُجالسكم وقلبي تارة ملآن منكم، ومفرغ من تذكاري انني بين يدي الله جل جلاله، فأعتقد ذلك كالكفر إذا عزلته عن ربوبيته وولايته، ووليتكم وأنتم مما ليكه عليه وعلى قلبي الذي هو موضع نظره ومسكن معرفته.

وإن جالستكم وحدّثتكم وقلبي تارة معكم وتارة معه، اعتقدت ذلك شركاً وهلكاً، حيث جعلت موقعكم من قلبي موقعه.

الفصل الرابع والعشرون والمائة

واعلم ياولدي محمد مكّنك الله جلّ جلاله من مراده، وألهمك الانقياد إليه والمنافسة عليه، أني عزمت على الانقطاع من كل شي ء يشغلني عن ربّ العالمين عن الخلائق أجمعين، وحضرتُ مشهد جدك أميرالمؤمنين عليه السلام، واستخرت الله جلّ جلاله في ذلك استخارة على اليقين، فاقتضت الاستخارة أنني لاأترك مخالطتهم في مسكني بالكلّية، فأنا أُخالطهم إذا حضروا بالله عزّوجل في أوقات أرجو فيها سلامتي مع الجلالة الربانيّة، وإذا رأيت روحي مشغولاً بهم أدنى اشتغال تركت محادثتهم في الحال.

الفصل الخامس والعشرون والمائة

واعلم يا ولدي محمّد صانك الله جلّ جلاله عن مواقف إعراضه عنك، وزانك بترادف خلع إقباله عليك وقبوله منك، أن من جملة مابليت به بالمخالطة للناس معرفة الملوك بي وحبهم لي، حتى كاد أن يفسد عليّ سعادة الدنيا والآخرة، ويحول بيني وبين مالكي صاحب النعم الباطنة والظاهرة، وما كنتَ تدركني إلّا وأنني لابس ثياب العار بطلب ولايات دار الاغترار، وقائداً لك إلى الهلاك وعذاب النار، وما خلّصني من خطر اقبال ملوك الدنيا وحبهم، وسلّمني من السموم القاتلة في قربهم إلّا الله جلّ جلاله على التحقيق.

فأنا عتيق ذلك المالك الرحيم الشفيق، وذاك أن أول مانشأت بين جدي ورام ووالدي قدّس الله أرواحهم وكمّل فلاحهم، وكانوا دعاة إلى الله جلّ جلاله، وطالبين له جلّ جلاله، فألهمني الله جلّ جلاله سلوك سبيلهم واتباع دليلهم، وكنت عزيزاً عليهم، وما أحوجني الله جلّ جلاله باحسانه إليّ وإليهم ماجرت عليه عادة الصبيان من تأديب لي منهم أو من أُستاذ بسبب من أسباب الهوان.

وتعلّمت الخط والعربية، وقرأت في علم الشريعة المحمّدية صلى الله عليه وآله كما قدّمنا ذكره وقرأت كتباً في أُصول الدين.

وأراد بعض شيوخي أنني أدرس وأُعلّم الناس وأفتهم وأسلك سبيل الرؤساء المتقدّمين، فوجدت الله جلّ جلاله يقول في القرآن الشريف لجدك محمّد صلّى الله عليه وآله صاحب المقام المنيف: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾[1].

أفرأيت أن هذا تهديد من ربّ العالمين لأعز عليه من الأولين والآخرين أن

---

١ ـ الحاقة: ٤٤ ـ ٤٧.

يقول عليه بعض الأقاويل، فكرهت وخفت من الدخول في الفتوى؛ حذراً أن يكون فيها تقوّل عليه، وطلب رئاسة لا أريد بها التقرب إليه فاعتزلت عن أوائل هذا الحال قبل التلبس بما فيهامن الأهوال، واشتغلت بما دلّني عليه العلم من العمل الصالح، ولم أكن عرفت ولاسمعت من أحد ماقد كتبت به إليك ياولدي من الهدايات وفتح أبواب العنايات، لكن كان الأمر مبنّيا على ظاهر العبادة، وايقاعها على مقتضي العادة.

ثم اجتمع عندي من اشار إلى أن أكون حاكماً بين المختلفين على عادة الفقهاء والعلماء من السلف الماضين، ومصلحاً لأُمور المتحاكمين.

فقلت لهم: إنني قد وجدتُ عقلي يريد صلاحي بالكليّة، ونفسي وهواي والشيطان يريدون هلاكي بالاشتغال بالأُمور الدنيوية، وأنا قد دخلت بين عقلي ونفسي والشيطان وهواي، على أن أحكم بينهم بمجرد العدل ويتّفقون كلّهم مع العقل، فلم يوافقوا على الدوام على صواب هذه الأحكام.

وقال لسان حال العقل: إنّه لايجوّز أن يكون تبعاً لهم على الهلاك والجهل، وماتهيأ في عمر طويل أن أحكم بين هذين الخصمين، أو أُصالح بينهم مصالحة تقربها العين، وتنقطع معهم المنازعات والمخالفات. فمن عرف من نفسه الضعف عن حكومة واحدة مدة من الأوقات، كيف يقدم على الدخول فيما لايحصى من الحكومات؟!

وقلت لهم: انظروا مَن اتفق عقله ونفسه وطبعه وهواه وقوى على الشيطان، وصار كلّهم يداً واحدة في طلب طاعة الله ورضاه، وتفرّغ من مهماته المتعيّنة عليه فتحاكموا عنده، فإنّه يكون قادراً بتلك القدرة على فصل الحكومات والمصالحات إذا حضر الخصومة بين يديه.

فاعتزلت ياولدي محمد عن رئاسة هذا الباب، ورأيت في الله جلّ جلاله ونفسي شغل شاغل بمقتضي حكم الألباب.

الفصل السادس والعشرون والمائة

ثم اتّفق ايثار والديّ قدّس الله أرواحهما ونوّر ضريحيهما لتزويجي، كما شرحته في كتاب (البهجة لثمرة المهجة)، كنتُ كارهاً لذلك الاتصال خوفاً من أن يشغلني عن صواب الأعمال واقتضى ذلك صحبته لمن اتصلت إليهم ثم دخل بعضهم في الولاية، ثم اجتهدت به أن يتركها وتوصلت معه مثلاً بكل آية حتى كدت أن أبلغ النهاية فلم يوافق على الاعتزال، فأدى ذلك إلى فراقه وكراهة المجاورة لهم في بلد الحلة، وقطعت ماجرى به عادة الناس من الاشتغال بالأقوال، وتوجهت إلى مشهد مولانا الكاظم عليه السّلام وأقمت به حتى اقتضت الاستخارة التزويج بصاحبتي زهرا خاتون بنت الوزير ناصر بن مهدي رضوان الله عليها وعليه، وأوجب ذلك طول الاستيطان ببغداد وهي محل حبائل الشيطان.

الفصل السابع والعشرون والمائة

فأول شرك نصبه الشيطان ليفرّق بيني وبين الله جلّ جلاله صاحب الرحمة والاحسان، أنّه طلبني الخليفة المستنصر-جزاه الله عنا خير الجزاء- للفتوى على عادة الخلفاء، فلما وصلت عند باب الدخول إلى من استدعاني لهذه الحال تضرّعت إلى الله عزّوجل مالك الأمان وسألته أن يستودع مني ديني وكلّما وهبنيه، ويحفظ علي كلّما يقرّبني من مراضيه حتى أخرج من عند المشار إليه.

فحضرت فاجتهد بكل جهد بلغ توصله إليه أنني أدخل في فتواهم، فقواني الله جلّ جلاله على مخالفتهم والتهوين بنفسي وما املكه في طلب رضاء الله جلّ جلاله بالامتناع منهم والإعراض عنهم، وجرت عقيب ذلك أهوال من السعايات فكفاني الله جلّ جلاله بفضله وزادني من العنايات.

وقد شرحت لك بعض تلك الأشياء في كتاب (الاصطفاء). فلو أنني دخلت يا ولدي محمد ذلك اليوم معهم في هذه الفترة الدنيوية، ولعب أهل الدنيا وقواعدهم الردية، كنت قد هلكت أبد الآبدين، وكانوا قد أدخلوني فيما يفرّق بيني و بين ربّ العالمين.

الفصل الثامن والعشرون والمائة

وإيّاك ثم إيّاك أن تدخل معهم في شيء من هزلهم ولعبهم وبدعهم المخالفة لجدك سيد المرسلين، ولأبيك سيد الوصيين. ثم عاد الخليفة ودعاني إلى نقابة جميع الطالبيين على يد الوزير القمي وعلى يد غيره من أكابر دولتهم، وبقي على مطالبتي بذلك عدة سنين، فاعتذرت بأعذار كثيرة فقال الوزير القمي: ادخل واعمل فيها برضى الله.

فقلت له: فلأي حال ماتعمل أنت في وزارتك برضاء الله تعالىٰ، والدولة أحوج اليك منها إلي، فلو كان هذا يمكن كان قد عملته أنت. ثم عاد يتهددني، ومازال الله جلّ جلاله يقوّيني عليهم حتى أيدني وأسعدني.

وعاد المستنصر كلّف مخاطبتي بصديق فتحيّل معي بكل طريق فقال: إما أن تقول أن الرضي والمرتضى كانا ظالمين، أو تعذرهما فتدخل في مثل مادخلا فيه.

فقلت: أُولئك كان زمانهم زمان بني بويه، والملوك شيعة، وهم مشغولون بالخلفاء والخلفاء بهم مشغولون، فتم للرضي والمرتضى ما أرادوا من رضاء الله جلّ جلاله.

واعلم: أن هذا الجواب اقتضاه التقية وحسن الظن بهمتها الموسوية، وإلّا فانني ما أعرف عذراً صحيحاً لدخول المذكورين في تلك الأُمور الدنيوية. فإيّاك ثم إياك من موافقة أحد من الملوك على الهلاك ، ولا تؤثرن على الله جلّ جلاله مولاك ومالك دنياك وآخرتك سواه، ولا تقبّح ذكر سلف الطاهرين بمخالفة رضاه جلّ جلاله، ولا تساعد على هدم مابنوه من الشرف لك في الدنيا والدين، ولا تجعلهم يوم القيامة خصوماً ومعرضين عنك ونافرين منك.

الفصل التاسع والعشرون والمائة

ثم عاد اغراؤهم بأبيك حتى طلبه ولد الوزير القمي والتمس أن أكون نديماً في

البداية، فعلمت أن ذلك يفضي إلى هلاكي باشتغالي بالأُمور الدنيوية، فاجتهدت بكل حيلة ذكرتها، وهو يراجعني، حتى قلت له في آخر كلمات جملتها: إنني متى نادمتهم وما أكشف لك ولوالدك أسرارهم وأحكي لك أخبارهم، اتهمتموني بأنني أسمع فيكم منهم ماتكرهون وتصيرون أعدائي، ويؤدّي الأمر بيني وبينكم إلى مقاطعة وإلى ماتعلمون.

وإيّاك ثم إياك أن تدخل معهم في شيء من هذه الأمور، فلا تصح والله منادمة أهل دار الغرور إلّا بمفارقة مالك يوم النشور، وأكثر أمور أهل دار الفناء هزل مفسد، ومخرب لدار البقاء، وحائل بين العبد وبين مالك الأحياء. ولا تصح منادمتهم بالجد والسلامة من يوم القيامة، هيهات هيهات كذب والله من يقول لك إن ذلك طريق من طرق السعادات.

الفصل الثلاثون والمائة

ثم عاد الشيطان لعنه الله اغراهم بأبيك أن اختار الخليفة المستنصر جزاه الله خير الجزاء أن أكون رسولاً إلى سلطان التتر، فقلت لمن خاطبني في هذه الأشياء مامعناه: أنا إن نجحت ندمتُ، وإن جنحت ندمتُ.

فقال: كيف؟

فقلت: إن نجاح سعيي يقتضي أنكم ماتبغون تعزلوني من الرسالات إلى أن ألحق بالأموات، وتشغلوني عن العبادات وغيرها من المهمات. وإن جنح الأمر بين يدي سقطت من عينكم سقوطاً أدى إلى كسر حرمتي وفتح باب أذيتي، واشتغالي عن دنياي وآخرتي، وقلت له: أبلغ من هذا مما اجراه الله جلّ جلاله على لسان حال سعادتي.

فإياك ثم إياك أن يقول لك أحد: إن هذا من المساعدات على الطاعات، ولا تقنع بالتأويل والمغالطات، فإن كل أمر مخالف يخالف عقيدتك لاتجوز المعونة عليه بحركة من الحركات، ولا باشارة من الاشارات، ومَن قال لك غير هذا فهو من

حبائل الشيطان وكلامه هذيان.

ثم عاد الخليفة المستنصر ـ جزاه الله خير الجزاء ـ كلّفني الدخول في الوزارة، وضمن لي أنه يبلغ بي في ذلك إلى الغاية، وكرر المراسلة والاشارة. وقد شرحت لك في كتاب (الاصطفاء) هذا الابتلاء والبلاء، فراجعت واعتذرت حتى بلغ الأمر إلى أن قلت مامعناه: إن كان المراد بوزارتي على عادة الوزراء، يمشون أُمورهم بكل مذهب وكل سبب، سواء كان ذلك موافقاً لرضاء الله جلّ جلاله ورضاء سيد الأنبياء والمرسلين أو مخالفاً لهما في الآراء، فإنك مَن أدخلته في الوزارة بهذه القاعدة قام بما جرت عليه العوائد الفاسدة.

وإن أردتُ العمل في ذلك بكتاب الله جلّ جلاله وسنة رسوله صلّى الله عليه وآله، فهذا أمر لايحتمله مَن في دارك، ولاممالیکك ولاخدمك ولاحشمك ولاملوك الأطراف، ويقال لك اذا سلكتُ سبيل العدل والانصاف والزهد: إن هذا علي بن طاووس علوي حسني ما أراد بهذه الأُمور إلاّ أن يعرّف أهل الدهور، أن الخلافة لو كانت إليهم كانوا على هذه القاعدة من السيرة، وأن في ذلك رداً على الخلفاء من سلفك وطعناً عليهم، فيكون مراد همتك أن تقتلني في الحال ببعض أسباب الأعذار والأهوال.

فإذا كان الأمر يفضي إلى هلاكي بذنب في الظاهر، فها أنا ذا بين يديك اصنع بي ماشئت قبل الذنب، فأنت سلطان قادر.

وشرعت في الرحيل والانتقال عن بغداد بالكليّة، ومازلت بالله جلّ جلاله حتى انتقلت إلى الحلة، وسلّم الله جلّ جلاله برحمته الأولية وبعنايته بالسلف الصالح ووصائهم لجلاله بالذرية.

الفصل الحادي والثلاثون والمائة

فإياك ثم إياك أن تشمت بي الشيطان بعد وفاتي، وأن تجعله يوافيني ويقول: قد ظفرت بولدك الذي هو قطعة من كبدك، وتأتينا يوم القيامة وعليك لباس

الندامة، فأنت مفتضح مشهور بين أهل السلامة. فبأي وجه تلقى جدك محمّداً صلّى الله عليه وآله، وأباك عليّاً عليه السّلام، وسلفك الأطهار وقد أعنت عليهم وقبّحت ذكرهم، وكنت عدواً لهم؛ لأجل عار أيام قصار.

وباي وجه تلقاني بعد هذه الوصية والرسالة، وقد قنعت بالرذالة عوضاً عما دعوتك إليه من الجلالة، لاباالله لا تفارق هذا الباب الشريف الإلهي المقدّس المهجور الآن، وألزمه وهوّن في لزومه بالنفس والأهل والمال وجميع الامكان، ونافس فيه أيام الكساد لتأتينا وأنت ملك عظيم من ملوك الدنيا والمعاد، ومولاك راضٍ عنك هو ومَن سلف لك من الملوك المسعودين من الآباء والأجداد.

الفصل الثاني والثلاثون والمائة

واعلم يا ولدي محمّد علّمك الله جلّ جلاله ماأنت محتاج إلى تعليمه مما يزيدك من تعظيمه وتكريمه، أن الدخول مع الولاة لو كان شيء يزيد المسلم في شرف دنياه، كنتُ قد عمّرت لك من الشرف بالدخول معهم والقبول منهم نهايات المأمول، ولكنه خلاف ماكان عليه سلفك، وعار على من دخل فيه، ونقص لايبلغ وصفي إليه.

ومتى رأيت من أهل عقيدتك وعقيدة آبائك الطاهرين مَن تعتقد له شرفاً بولاية ومعونة أحد من الظالمين، فينبغي أن تعرف أنه مسكين مريض العقل سقيم الدين، يحتاج إلى مَن يحمله إلى البيمارستان، ويعالجه تارة بالاحسان وتارة بالهوان، حتى يفيق من سكرته ويعرف قدر مصيبته. فالحقّ سبيل واضح واحد قد دلّ القرآن وجدك محمّد صلّى الله عليه وآله إليه، ومن خرج عنه فإلى غضب الله جلّ جلاله وسخطه وهوانه ونيرانه، والفضيحة العظمى إذا قدم عليه.

ولقد وجدتُ الأبناء يتعصبون للآباء في اعتقاد الباطل، حتى تعصّبوا لهم في عبادة الأصنام، وقتلوا نفوسهم وعرضوا لها للاصطدام، فعلامَ لايتعصب أبناء القوم المسعودين في الدنيا والدين، ويحفظون سبيل آبائهم الطاهرين، ويمضون عليه قدماً بغير تهوين ولوخاطروا في ذلك بالدنيا كلها كان مقدارها عندالعارفين مقداراً هيّناً.

ومـا أقـبـح مـا يـأتي أحـد مـن ذريـة سـيـد الأنـبـيـاء في يـوم الجزاء، ويـكـون الغرباء أقرب إلى جـده محمد صلّى الله عـليه وآله منـه، والعوام قد أقبـل عليهم وهو مـعرض عـنه، والـغلمـان له قـد صـاروا ملوكاً بـالطاعة، والأبـناء لـه قـد صاروا مضحكة للشيطان بالاضاعة، وقد نادى بينهم المنادي وهم يسمعون ﴿لِمِثْلِ هٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾[1].

الفصل الثالث والثلاثون والمائة

واعلـم يا ولـدي محمد حفـظ الله جلّ جلاله عـليك ديـنك ودنـياك وكـمّل يقـينـك وتولاك ، أنه لـو كان قـد عرض لي عمري كلـه مرض الجنون أو البرص والجذام، كان أسهل من الابتلاء بولايات أشوّه بها بياض وجوه الإسلام، وأهدم بها شيئاً مما بناه الأنبياء وجدك محمد صلّى الله عليه وآله، وأكون عـاراً عليه، وأشمت أعداء دينه بإساءة سمعتي وسمعته والمساعدة عليه، ويقولون أو يتوهمون أنه لولا أن ديـن جدّنا محمّـد صلّـى الله عـليه وآلـه كـان على هذه الصفـات من الولايات، ومايشتمل عليه مـن الهزل واللعب والمجاهرة بالمحرمات، وإلّا مـا كان فلان ولده المظهر لناموس الدين قـد دخل مع الولاة، وسلـك سبيلهـم في التهوين بمراسم جده وآبائه الماضين وفرح بالعكس عليه وأن ينسب سوء السريرة إليه.

فكـيف تـكون مصيبتي وندامتي عـند سكرات الموت، وكـيف كـانت تكون مـواقفتي ومحاسبتي وجهالتي وذلتي يـوم الحساب، وبأي عين كنتُ أنظر إلى جدك محمـد صلى الله عليه وآله والسلف الأبرار، وبأي وجه كنتُ ألقاهـم وقد كنتُ عليهم من أعظم العار.

ولورحموني مثلاً يوم الحساب وشفعوا في تخليصي من العقاب، كنتُ قد بذلت وجوههم الشريفة المصونة بالسؤال لكل من أظلـمه بالولايات في أن يستوهبوا لي

١ ـ الصافات: ٦١.

تلك الظلامات. وما كان جزآء جدك محمّد صلّى الله عليه وآله مني على هدايته ونبوته وشفاعته واحسانه أن أُصغّر من شأنه، وأن أشرع في هدم بنيانه، وأن أخجله وأنا ولده بالرد لمقدّس قرآنه وتقبيح ذكر مرسله وسلطانه.

القتل المعجّل أي ولدي محمد أسهل من ذلك وأجمل، وتلك الأمراض من البرص والجذام والجنون كان ينقضي بالموت فيهون، ويكون الثواب منها والعوض عنها قرة للعيون وصحبة ملوك الآخرة، والولايات الباقية الباهرة، ولبس خلع رضاء جبار الجبابرة، وطيب لقاء سلفك من العترة الطاهرة إذا اجتمع الأوّلون والآخرون، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

الفصل الرابع والثلاثون والمائة

ولقد انتهى الحال يا ولدي محمد تولّى الله جلّ جلاله تدبيرك في سائر الأُمور إلى نحو ما كنتُ قد استخرت فيه مالك يوم النشور من ترك المخالطة لأهل دار الغرور، ولأنّه جلّ جلاله اختار لي النقلة من الحلة بالعيال إلى مشهد أبيك أميرالمؤمنين علي عليه السلام، فكنتُ فيه كالمعتزل من الناس إلاّ في شاذ الأوقات، ومفارقاً للجماعة نحو ثلاث سنين كما شرحناه في كتاب (الاصطفاء) بعنايات عظيمة في الدين والدنيا، ماعرفت الله جلّ جلاله تفضّل على أحد مثلها ممن شرّفه بسكنى ذلك المقام المكين.

ثم اختار لي الانتقال بالعيال إلى مشهد جدك الحسين عليه السلام، وهو جدك من جانب بعض جدّاتك أُم كلثوم بنت زين العابدين عليه السلام، وهو موطن أبعد عن الناس والبلاد؛ لأن مشهد مولانا علي عليه السلام قريب من الكوفة وهي ترداد العباد. وكتبت إليك هذه الرسالة وأنا مقيم في جوار حرم الحسين عليه السلام في ظل تلك الجلالة، معتزل عن الشاغلين، منفرد أبلغ من ذلك الانفراد عن العالمين.

ثم قد وقع في خاطرى أنني ربما إذا تمّ لي مجاورته ثلاث سنين أستخير في أن

أتشرف بمجاورة مولانا المهدي وأبيه وجده بسرّ من رأى صلوات الله عليهم أجمعين، وهو أبلغ في العزلة بالكليّة، لأنّه بعيد عن بلادنا ومعارفنا، وكأنّه صومعة في برية. ورجوت إذا شرفني الله بهذه الأُمنية أن تكون هذه المجاورة في الثلاثة المشاهد النبويّة ما سبقني أحد فيما أعلم إلى مثلها وإلى شرف فضلها، فما أعرف أحداً انتقل إلى كل مشهد منها بعياله، كما انتقلت على ما أمكنني الله جلّ جلاله من افضاله، ليكون ذلك وسيلة إلى أن يسكنونا في جوارهم في دار قرارهم، ويشملونا بمبارهم، ويشركونا في مسارهم إن شاء الله تعالى.

الفصل الخامس والثلاثون والمائة

واعلم يا ولدي محمد حفظ الله جلّ جلاله فيك عنايته بآبائك الطاهرين وسلفك الصالحين، وسلك بهم كامل سبيلهم القوي المكين، أن أصل ما أنت فيه أن تكون ذاكراً أنك بين يدي الله جلّ جلاله وأنّه مطّلع عليك، وأنك كلما تتقلب فيه من احسانه إليك، وأنه صحبك من ابتداء إنشائك من التراب وتنقلك من الآباء والأُمهات ـ كما شرحنا فيما فات ـ أُحسن الصحبة بالعنايات، وصحبك في وقت وجودك بما نبّهناك به عليه من السعادات، وأنت محتاج إلى جميل صحبته ورحمته مع دوام بقائه بعد الممات.

ومَن ذا يحميك منه إن أعرض عنك أو أعرضت عنه؟ ومن الذي يحفظ عليك إذا ضيّعت نفسك وكلّما في يديك؟ ومَن الذي إذا أخرجته من قلبك تتعوض به عن ربك جلّ جلاله؟ فأُريد من رحمته أن يملأ قلبك من معرفته وهيبته ورحمته، ويستعمل عقلك وجوارحك في خدمته وطاعته، حتى يكون إن جلست فتكون ذاكراً أنك بين يديه، وإن أقمت تكون ذاكراً أن قوة قدرتك على المشي منه، وتتأدب في المشي تأدب الماشي بحضرة ملك الملوك إليه الذي لاغناء عنه.

الفصل السادس والثلاثون والمائة

واعلم أن جوارحك بضائع معك لله جلّ جلاله، وأمانات جعلك تاجراً فيها لنفسك ولآخرتك، فمتى صرفتها في غيرما خلقت له من الطاعات والمراقبات، أو أنفقت وقتاً من أوقاتك في الغفلات، كان ذلك الخسران عائداً إليك بالنقصان، ومثمراً أن يعاملك سيدك بالهجران واستخفاف الهوان.

ولا تقل أو تسمع من الجاهلين أو الغافلين إن هذا مايقدر عليه، فانهم قالوا لنا مثل ذلك، وعرفنا بالله جلّ جلاله أنّهم غالطون فيما أشاروا عليه؛ لأننا ووجدنا من نفوسنا وعقولنا أنها تتأدب مع الملوك والعظماء في دار الفناء، ومع الأصدقاء

والرفقاء، بل ومع الغلمان والجيران ومن لا ترجوه لنفع واحسان، ولا لدفع أخطار الزمان، أدباً بقدر من يجالسه أو يشاهده منهم، فكيف جاز أن يكون الأدب مع علم الله جلّ جلاله بنا، وقدرته علينا، وإحسانه إلينا، دون هؤلاء الذين لانبالي بالاعراض عنهم.

الفصل السابع والثلاثون والمائة

وإن احتجت إلى سفر يا ولدي كان الله جلّ جلاله لك حافظاً في سفرك وجميع ما أحسن به إليك، وخلفاً لك في كل ماتغيب عنه مما أنعم به عليك، فلا تسافر بالطبع والغفلة والأطماع الدنيوية، فتكون مخاطراً مع الله جلّ جلاله ومهوناً بجلالته الإلهية، ومضيعاً زمان أسفارك في غير ماينفعك لدار قرارك، بل يكون قصدك أنك تتوجه من الله جلّ جلاله؛ لأنك حيث كنت فأنت بين يديه، وإلى الله جلّ جلاله بالتوكل عليه، وبالله جلّ جلاله بالتفويض إليه، وإليه جلّ جلاله بالاقبال عليه، فيكون سفرك خدمة له وبه وسفراً إليه، وتصير في حماية ورعاية وكفاية ذلك الاخلاص له والتقرّب إليه.

ومهما جرى في ذلك السفر كان بلسان الحال كان دركه عليه؛ لأن العقل قضى أن مَن سافر إلى سلطان عادل في شغله وتحت ظله ومتمسّكاً في سفره بحبله وبالوثيق من فضله، فإن درك حركات هذا المسافر على ذلك السلطان بمقتضى عدله.

وإن توقفت نفسك عن السفر على هذه الصفات، وطلبت التأسي بأهل الغفلات وتضييع الأوقات، فاستعن بالله جلّ جلاله في قوتك على التوفيق، واستعمل ماذكرناه في كتاب (فتح الأبواب) من الاستخارات، فإذا عملت بمقتضى تلك الاشارات صار سفرك بأمره جلّ جلاله وتعظيم قدره، وسلمت من الندامات. ومتى سافر الانسان بمجرد الطباع والشهوات، كان هو والدابة التي يركبها سواء في الحركات والسكنات.

الفصل الثامن والثلاثون والمائة

وحيث قد ذكرتُ لك يا ولدي بعض ما أجراه الله جلّ جلاله على خواطري في أدب الحركات والتصرفات، فيحسن أن أذكر ماتحتاج إليه عند منامك، جعله الله جلّ جلاله كنوم ذوي المعارف والمراقبات، وقد شرحنا لك شرحاً شافياً في كتاب (المهمات والتتمات).

فاجلس في فراش منامك بالأدب بين يدي مالك وجودك وحياتك وعافيتك وجلوسك وقيامك، تذكّر ماجرى منك قبل نومك من غفلة عن الله جلّ جلاله، أو تفريط في طاعتك له وخدمتك. ومالم تتب عنه فتب في الحال عنه، فإنّك بالنوم تصير أسيراً لا تقدر أن تنفع نفسك قليلاًولا كثيراًولاأن تدفع عنك في وقت منامك شيئاً من الآفات التي لايمكن التحرز منها، وتترك روحك وكل ما أعطاك الله جلّ جلاله من نعمته مستمراً لا تقدر أن تدفع عنها.

فصالح مولاك صلح العبد الذليل الحقير الفقير للمولى الجليل العلي الكبير، واخشع بين يديه، وسلّم نفسك وكل ما وهبك الله واستودعه الجميع وقد سلمت من درك التضييع.

الفصل التاسع والثلاثون والمائة

واعلم أنك على التحقيق ملكه، وما في يدك ملكه، وهو أحق بحفظ ملكه منك، ولكنه شرّفك بأن جعلك أهلاً أن تودعه وتجعله كالوكيل لك والنائب عنك، وبلّغك بذلك مقاماً جليلاً، كما قال لجدك وسيّدك رسوله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله (فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً)[1].

وتذكّر كيف أنت يا ولدي محمد معطّل بالنوم عن خدمته، وهو جلّ جلاله بلسان الحال يخدمك بيد رحمته في امساكك، وامساك وجودك وحياتك وعافيتك، وكلّما تحتاج إليه من حفظ العيال والأموال والأمان، وترويحك في الصيف بالهواء، وتمكينك في الشتاء من الدفاء. وكيف يتولى في جسدك تسيير الغذاء في الأعضاء، وكيف يحفظ سمعك وبصرك وجميع جوارحك، ويهيء لك بعد النوم جميع مصالحك، ويعيد عليك كلّما ذهب بالنوم من فوائدك وجميع موائدك . فلو فعل هذا معك أو بعضه بعض الآدميين، أما كنت تعرف له حق ذلك أحسن الاعتراف، فالله جلّ جلاله أحق أن نعامله بالانصاف.

---

١ ـ المزمل: ٩.

الفصل الأربعون والمائة

ولا تكره أني ما أُخلّف لك ولأُخوتك ذهباً ولافضة بعد الممات، فهذه سيرة جدك محمد وأبيك علي صلوات الله عليهما، فانني وجدتهم قد امتنعوا أن يخلّفوا لورثتهم ذهباً أو فضة، وخلفوا لهم مايكفيهم ويفضل عليهم من الأملاك والعقار. وقال جدك محمد صلى الله عليه وآله لسعدبن معاذ[1] «وكان يعز عليه أنك أن تترك ولدك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس»[2]، فأنا قد اقتديت بتلك الآثار.

ووجدت أيضاً في كتاب (من لايحضره الفقيه) وهو ثقة معتمد عليه، عن زرارة عن الصادق عليه السلام قال: «ما يخلّف الرجل شيئاً أشد عليه من

---

١ - سعدبن معاذبن النعمان بن امرئ القيس الأويسي الأنصاري صحابي، من الأبطال، من أهل المدينة، كانت له سيادة الأوس، وحمل لواءهم يوم بدر، وشهد أحداً فكان ممن ثبت فيها، وكان من أطول الناس وأعظمهم جسماً، ورمي بسهم يوم الخندق فمات من أثر جرحه، ودفن بالبقيع وعمره سبع وثلاثون سنة، وحزن عليه النبي(ص)، وفي الحديث: «اهتز عرش الرحمان لموت سعد بن معاذ». قاله الزركلي في الأعلام ٨٨:٣ نقلاً عن صفة الصفوة ١٨٠:١، وطبقات ابن سعد ٢:٣، والاصابة ترجمة ٣١٩٧.

٢ - قال ابن النديم في الفهرست: زرارة لقب، واسمه عبدربه بن أعين بن سنبس، أبوعلي، أكبر رجال الشيعة فقهاً وحديثاً ومعرفة بالكلام والتشيع.

وذكر الشيخ المامقاني رحمه الله سنبس وقيل: سنسن. وضبطه في ترجمة أحمدبن ابراهيم السنسي بسينين ←

المال الصامت»، قال: قلت: كيف يصنع؟ قال: «يضعه في الحائط [يعني في][1] والبستان والدار»[2].

واعلم يا ولدي أنني كنت اشتري هذه المليكات بالله عزّوجل ولله جلّ جلاله، بنية أن الأملاك وأنا والأثمان كلنا ملك لله جلّ جلاله، هذا الذي اقتضاه العقل والنقل، أن العبد لايملك مع مولاه وإنّما كلما ملّكه شيئاً فهو مجاز، وحقيقة التملك لمن أنشأه وأعطاه. وعلمت أنني اذا اشتريته بهذه النية فإن كلما ينفق أحد منه أو يخرج عنه فهو محسوب في ديوان معاملته جلّ جلاله، المرضية في حياتي وبعد وفاتي، وذخيرة عند الله جلّ جلاله لي لأوقات ضروراتي.

الفصل الحادي والأربعون والمائة

واعلم يا ولدي محمد أطلعك الله جلّ جلاله على ما تحتاج إليه، وزادك إقبالاً عليه، أن جماعة ممن أدركتهم كانوا يعتقدون أن جدك محمّداً وأباك علياً صلوات الله عليهما كانا فقيرين؛ لأجل مايبلغهم ايثارهم بالفوت واحتمال الطوى والجوع والزهد في الدنيا، فاعتقد السامعون لذلك الآن أن الزهد لايكون إلّا مع الفقر وتعذر مع الامكان.

وليس الأمر كما اعتقدوه أهل الضعف المهملين للكشف؛ لأن الأنبياء عليهم السّلام أغنى أهل الدنيا بتمكين الله جلّ جلاله لهم مما يريدون منه جلّ جلاله من الاحسان إليهم، ومن طريق نبوتهم كانوا أغنى أممهم وأهل ملّتهم، ولولا اللطف برسالتهم ماكان لأهل وقتهم مال ولاحال، وإنّما كانوا عليهم السلام

مهملتين مضمومتين، نسبة إلى سِنسن وزان هدهد الشاعر المعروف.

وقال النجاشي: شيخ أصحابنا في زمانه ومتقدمهم، وكان قارئاً فقيهاً متكلّماً شاعراً أديباً، قد اجتمعت فيه خلال الفضل والدين، صادقاً فيما يرويه. مات سنة ١٥٠هـ.

انظر: تنقيح المقال ١:٤٣٨، رجال النجاشي: ١٣٢، الفهرست: ٢٧٦.

١ - لم ترد في النسختين الخطيتين، أثبتناها من المصدر.

٢ - الكافي ٥:٩١ حديث ٢.

يؤثرون بالموجود، ولا يسبقون الله جلّ جلاله بطلب مال يريد أن يطلبوه من المفقود.

وقد وهب جدك محمداً صلّى الله عليه وآله أُمك فاطمة صلوات الله عليها فدكاً والعوالي من جملة مواهبه، وكان دخلها في رواية الشيخ عبدالله بن حماد الأنصاري أربعة وعشرون ألف دينار في كل سنة، وفي رواية غيره سبعين ألف دينار. وهي وزوجها المعظّم والواهب الأعظم صلّى الله عليه وآله من أعظم الزهاد والأبرار، وكان يكفيهم منها أيسر اليسير. ولكن العارفين ماينازعون الله جلّ جلاله في تملك قليل ولا كثير، ولكنهم كالوكلاء والأُمناء والعبيد الضعفاء، فيصرفون في الدنيا وفيما يعطيهم منها كما يصرفهم هو جلّ جلاله، وهم في الحقيقة زاهدون فيها وخارجون عنها.

ووجدت في أصل تأريخ كتابته سبع وثلاثين ومائتين، وقد نقلته في أول كتاب عندي الآن لطيف ترجمته من أخبار آل أبي طالب، وأول رجال روايته عبيدالله بن محمد أبي محمّد، فقال فيه عن مولانا علي أبيك أمير المؤمنين عليه السلام: «تزوجت فاطمة عليها السلام وماكان لي فراش وصدقتي اليوم لوقسّمت على بني هاشم لوسعتهم».

وقال في الكتاب: إنه عليه السلام وقف أمواله وكانت غلته أربعين ألف دينار، وباع سيفه وقال: «من يشتري سيفي، ولو كان عندي عشاء مابعته».

وروى فيه أنه قال مرة عليه السلام: «من يشتري سيفي الفلاني، ولو كان عندي ثمن ازار مابعته».

قال: وكان يفعل هذا وغلته أربعون ألف دينار من صدقته.

ووالله يا ولدي محمد الذي حضر قسمي به جلّ جلاله وكتابي هذا وشهدت به ملائكته، لقد كان في يد والدك علي بن موسى هذه المليكات وغيرها من الموجودات، ولايكون معه في كثير من أوقاته درهم واحد؛ لأنّه كان يخرج ماينفق له من دخل ملك وغيره في مؤنة عياله، ثم في الصدقات والايثار والصلات.

وكان جماعة من الناس يعتقدون أنه ينفق من ذهب مذخور، هيهات هيهات

لقد ضلوا عن ابيك ووالدك كما ضل كثير من الخلق عمن هو أعظم حالاً وأشرف كمالاً وأتم جلالاً، وهو الله ربّ العالمين وأنبيائه، ومن ضلوا عنه من المرسلين والصالحين، حتى قال جلّ جلاله عن جماعة يشاهدون جدك محمداً صلّى الله عليه وآله وهم حاضرون ﴿وَتَراهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيكَ وَهُمْ لَايُبْصِرون﴾[1].

ولو جاءت الدنيا إلى والدك دفعة واحدة خرجت في أسرع الأوقات ولكنها كانت تأتينا كما يريده الله تعالى في أزمانٍ متفرقات، فاقتد يا ولدي محمد وجماعة أُخوتك أوذريتك بمن سلك من آبائك سبيل الحق والصدق، وصدق الله جلّ جلاله في قوله جلّ جلاله في ضمان الرزق ﴿فَوَرَبِ السَّمَاءِ والأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌ﴾[2].

ورأيت في كتاب ابراهيم بن محمد الأشعرى الثقة باسناده عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «قبض علي عليه السلام وعليه دين ثمانمائة الف درهم، فباع الحسن عليه السلام ضيعة له بخمسمائة ألف درهم فقضاها عنه، وباع ضيعة أُخرى له بثلاثمائة ألف درهم فقضاها عنه»، وذلك أنه لم يكن يذر من الخمس شيئاً، وكان تنوبه نوائب.

ورأيت في كتاب عبد الله بن بكير، باسناده عن أبي جعفر عليه السلام أن الحسين قتل وعليه دين، وأن علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام باع ضيعة له بثلاثمائة ألف ليقضي دين الحسين عليه السلام وعدات كانت عليه.

وقد ذكرت طرفاً من يسارهم وايثارهم صلوات الله عليهم في أوائل الجزء السادس من كتاب (ربيع الألباب)، فانظر ففيه أخبار تدل على الصواب.

وكان وقف جدك أميرالمؤمنين عليه السلام على أولاده خاصة من فاطمة عليها السلام لها عامل من ذريته، فكيف وقع للضعفاء أنه كان فقيراً، وأن الغنى لايكون لمن جعله الله جلّ جلاله من خاصته، وهل خلق الله جلّ جلاله الدنيا والآخرة إلّا لأهل عنايته.

---

١ ـ الأعراف: ١٩٨.

٢ ـ الذاريات: ٢٣.

الفصل الثاني والأربعون والمائة

ومما أرجو به حسن توفيق الله جلّ جلاله لك يا ولدي محمد وعنايته بك ،أنني وجدته جلّ جلاله قد ألهمك الفطام من مرضعتك من غير أن نكلّفك نحن ذلك أو نمنعك من دايتك ، ووجدته قد ألهمك طلب طريق الاستاذ لتعليم الخط والكتابة، فرجوت من رحمته ورأفته أن يكمّل لك شرف الاجابة والإنابة.

فأُوصيك بتعلم الخط على التمام، فإنه معونة لك على السلوك إلى الله جلّ جلاله، ودخول غاية رضاه في دار المقام. ثم بتعلم العربية بمقدار مايحتاج إليه مثلك من الطالبين للمراضي الإلهية وإحياء السنن النبوية، ثم تتعلم من القرآن الشريف ماتحتاج إليه لاقامة الصلوات، ومايتعلق بمراد الله جلّ جلاله من تفسير تلك الآيات بعاجل الحال، واحفظه جميعه بعد ذلك التعظيم والاجلال.

الفصل الثالث والأربعون والمائة

واريد من الله جلّ جلاله أن يلهمك ، ومنك أن تقبل من إلهامه، وأن تتعلم الفقه الذي فيه السبيل إلى معرفة الأحكام الشرعية واحياء سنة جدك المحمدية، ويكون قصدك بذلك امتثال أمر الله جلّ جلاله في التعليم وسلوك الصراط المستقيم، ولا تكن مقلّداً لغلمان جدك من العوام وذليلاً بين أيديهم لأجل الفتوى

والاستفهام، فمايقنع بالدون إلّا مغبون.

وأعلم أن جدك ورامأ قدّس الله روحه كان يقول لي وأنا صبي مامعناه: يا ولدي مهما دخلت فيه من الأعمال المتعلقة بمصلحتك، لا تقنع أن تكون فيه بالدون دون أحد من أهل ذلك الحال، سواء كان علماً أو عملاً، ولا تقنع بالدون. وذكر أن الحمصي[1] حدّثه أن لم يبق للامامية مفتي على التحقيق، بل كلهم حاك، وكان ذلك الزمان فيه جماعة من أصناف العلماء وليس في وقتنا الآن من يقاربهم في تلك الأشياء، وأنا اعتذر لهم بطول الغيبة وتباعد الزمان عن الأدلاّء الذين كانوا رحمة لله جلّ جلاله في حفظ واشتغال وادراك. والآن فقد ظهر أن الذي يفتى به ويجاب عنه على سبيل ما حفظ من كلام العلماء المتقدمين، وهذا طريق سهل مايعجز عنه إلّا مسكين، ومَن همته همة ضعيف مهين.

وأني لأعلم أنني اشتغلت فيه مدة سنتين ونصف على التقريب والتقدير، وما بقيت احتاج إلى ما في أيدي الناس لاقليل ولا كثير، وكلّما اشتغلت بعد ذلك فيه ماكان لي حاجة إليه إلّا لحسن الصحبة والأُنس والتفريع فيما لا ضرورة إليه. ومن يعلم أن عمره يسير وقصير، وأن وراءه من يحاسبه على الكبير والصغير والظاهر والمستور، فإنه يكفيه من الزاد بقدر السفر والمسير.

وإذا أردت الاشتغال بالفقه، فعليك بكتب جدك أبي جعفر الطوسي فإنه رحمه الله ما قصر فيما هداه الله جلّ جلاله إليه ودلّه عليه، وقد هيأ الله جلّ جلاله لك على يدي كتباً كثيرة في كل فن من الفنون الذي رجوت أن تدلك، بل على ما يقربك من مولاك ومالك دنياك وأُخراك.

---

١ ـ هو سديد الدين محمود بن علي بن الحسن الحمصي الرازي، علاّمة زمانه في الأُصوليين، ورع ثقة، له تصانيف كثيرة منها: التعليق الكبير العراقي، والتبيين والتنقيح وغيرها. وفي الروضات قال الخوانساري: انه الحمضي بالضاد المعجمة.

انظر: أمل الآمل ٢:٣١٦، رياض العلماء ٥:٢٠٢، القاموس المحيط ٢:٣٤١، روضات الجنات ٧:١٥٨، مستدرك الوسائل ٣:٤٧٨، الكنى والألقاب ٢:١٧٢.

فهيأ الله جلّ جلاله كتباً في الأُصول يكفيك أن تنظر فيها، وتعرف ماتريد معرفته من جملة الأبواب والفصول.

وهيأ الله جلّ جلاله لك كتباً كثيرة في النبوة والامامة، يكفيك منها نظر ما تريد نظره من المعاني المطلوبة التي قد تعب فيها غيرك ، وكانت من الله جلّ جلاله لك كالهدية المفرغة الموهوبة.

وهيأ الله جلّ جلاله كتباً كثيرة عندي في الزهد، أجعلها عند الجليس الصالح من الجلساء، وتأدب بما أدب الله جلّ جلاله من كان قبلك من الأنبياء والأوصياء والأولياء، وبما قوى به من كان دونك من الضعفاء، حتى جعله بفضله من الأولياء، وجمع له بين سعادة دار الفناء ودار البقاء، فالسابق والمسبوق من أصل واحد، ولكن السابق ذاهمة عالية فلم يقنع بدون السعادة الفانية والباقية، وكان المسبوق ذاهمة واهية فقنع بالحالة الواهيه.

وهيأ الله جلّ جلاله كتباً كثيرة عندي في تواريخ الخلفاء والملوك ، وغيرهم من الذين طلبوا سراب الدنيا الزائل، وسوّدوا وجوه العقل والفضل بخسران العاجل والآجل، ورحلوا من الدنيا بأحمال الذنوب وأثقال العيوب، وكانوا كأنهم في أحلام ومنام، وباعوا بتلك الأيام ما لايبيعه ذووالهمم العالية الباهرة من سعادة الدنيا والآخرة.

فاحذرهم على دينك ومولاك فالله الله أن تتقرب إليهم أو تقرب منهم مهما أمكنك ، ففي قربهم السم الناقع والهلاك .

وإنّما ذخرت لك تواريخهم بالله جلّ جلاله لتنظر أول أُمورهم وآخرها، ظواهرها وسرائرها، وترى مافعلوا بنفوسهم، وما رضوا به من نحوسهم وضرهم وبؤسهم بساعات ولذات يسيرة واعمار قصيرة، وكيف خدعهم الشيطان عدوهم وعدو مولاهم وسلبهم دنياهم وأُخراهم.

واعلم يا ولدي محمد أنني كنتُ يوماً انظر في كتاب من التواريخ المذكورة فقال لي قائل: في أي شيء تنظر؟

فقلت: أنا في حياة وبين قبور، أنظر إلى قوم بيناهم في سرور وغرور إذهجم عليهم هادم اللذات، ومفرّق الجماعات، وصاحب الشتاتات، فنقلهم إلى محلة الأموات، وقطعهم عما كانوا فيه من اللذات، وصاروا في ذل الحسرات وأسر الندامات.

وهيأ الله جلّ جلاله ما كنتُ أشرت إليه من الفقه المروي عن جدك سيد المرسلين وأبيك أميرالمؤمنين وعترتها المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، تصنيفاً من شيعتهم وأخياراً كباراً من الكتب وصغاراً، فاشتغل بالقراءة في الفقه بالله جلّ جلاله ولله جلّ جلاله، على رجل صالح ورع من أهل هذا العلم الموهوب، فانني أرجو من رحمة ربي فاتح أبواب المطلوب أن يغنيك بالمدة اليسيرة عن المدّة الكثيرة.

وقد تقدّم شرح الحال في الاشتغال بهذا العلم المذكور، وأنا أُريد في وصف الاشتغال بما يسهل عليك طلب هذه الأمور، فانني اشتغلت بعلم الفقه، وقد سبقني جماعة إلى تعليمه بعدة سنين، فحفظت في نحو سنة ما كان عندهم، وفضلت عليهم بعد ذلك بعناية ربّ العالمين ورحمته لمن يريد جلّ جلاله من ذرية جدك سيد المرسلين صلّى الله عليه وآله.

وقد كنتُ قد ابتدأت بحفظ (الجمل والعقود)، وقصدت معرفة مافيه بغاية المجهود، وكانوا الذين قد سبقوني ما لأحدهم إلّاالكتاب الذي يشتغل فيه، وكان لي عدة كتب في الفقه من كتب جدي ورّام بن أبي فراس قدّس الله سره وزاده من مراضيه، انتقلت إلي من والدتي رضي الله عنها بأسباب شرعية في حياتها، وهي من بقايا ماتفضل الله جلّ جلاله به منها.

فصرتُ أُطالع بالليل كل شيء يقرأ فيه الجماعة الذين تقدموني بالسنين، وانظر كلّما قاله مصنّف عندي، وأعرف مابينهم من الخلاف على عادة المصنّفين، وإذا حضرت مع التلامذه بالنهار أعرف مالايعرفون وأُناظرهم وأنشط في القراءة بسرور الاستظهار.

وفرغت من (الجمل والعقود) وقرأت (النهاية)، فلمّا فرغت من الجزء الأوّل منها استظهرت على العلم بالفقه، حتى كتب شيخي محمد بن نماخطه على الجزء الأوّل ـ وهو عندي الآن ـ بما جرت عادته يكتبه على كتابي من شهادته في اجازته بأُمور من الثناء علي، أُنزّه قلبي عنها؛ لأنّه لايليق ذكر ثنائي على اجتهادي، بل الثناء الحق لله جلّ جلاله مالك دنياي ومعادي والهادي إلى اصداري وايرادي، والملهم لي صواب مايفتحه من مرادي.

فقرأت الجزء الثاني من (النهاية) أيضاً، ومن كتاب (المبسوط)، وقد استغنيت عن القراءة بالكليّة.

وقرأت بعد ذلك كتباً لجماعة بغير شرح، بل للرواية المرضية، وسمعت مايطول ذكر تفصيله، وخط من سمعت منه وقرأت عليه في اجازات وعلى مجلدات، جمّلك الله يا ولدي بمعرفة قلبك هذا العلم قليله وجليله.

واعلم أن الذي حصلته من كتب هذا العلم كثيرة أضعاف ماكان عندي أيام اشتغالي، وحالك إن شاء الله جلّ جلاله أمكن من حالي، بلّغني الله جلّ جلاله به وبك ومنك وله جلّ جلاله أفضل من آمالي، واستجاب ما علّمني لك من خالص دعائي وابتهالي.

وهيأ الله جلّ جلاله كتباً جليلة في تفسير القرآن لمفسرين مختلفي العقائد والأديان.

واعلم يا ولدي محمد دلّك الله جلّ جلاله على مراده منك، وشرّفك بدوام رضاه عنك، أن الناس قد اختلفوا في التفاسير إلى حد ضيّعوا المطالب، وكادوا أن يغيروه ويحيروه في التدبير بما كان محكماً في الآيات ومستغنٍ بنفس تنزيله المقدّس عن الدلالات، فذلك حياة القلوب وسعادة نجاتك من رحمة علاّم الغيوب. وما كان متضمناً للأحكام أولبعض مَن سلف من الأنام، ولم يعرف المراد منها من نفس التنزيل ففيما ثبت في تفسير النبي صلوات الله عليه وآله وعترته، الذين جعلهم مع القرآن لايفترقان في قليل ولا كثير، شفاء للعليل وضياء للدليل، وما

كان فيه من المشتبهات وطريق التحقيق فيه من المشكلات، فكله إلى الله عزّوجل، كما ذكرناه عن أبيك مولانا علي عليه السلام في خطبة كتاب (فتح الجواب الباهر في خلق الكافر) من خطبة له عليه السلام جليلة ضمنّاها إليه.

وفيما كلّف الله جلّ جلاله العباد من مراقبته بعد معرفته، ومن خدمته بعد تعريفهم بنعمته، مايشغل عقول ذوي الألباب عن كثير من علم مالم يكلّفهم إياه ربّ الأرباب.

وهيأ الله جلّ جلاله عندي عدة مجلدات في الدعوات، أكثر من ستين مجلداً، فالله في حفظها والحفظ من أدعيتها، فإنّها من الذخائر التي يتنافس عليها العارفون في حياطتها، وماأعرف عند أحد مثل كثرتها وفائدتها. وهي باب مفتوح بينك وبين مولاك ، وهي سلاح المؤمن، وسبيل إلى سعادة دنياك وأُخراك ، وقد ذكرت في كتاب (المهمات والتتمات) شروط الدعوات فاطلبها من تلك الجهات.

وهيأ الله جلّ جلاله عندي كتباً جليلة من علم أنساب آل أبي طالب، ومنها كتاب (ديوان النسب) ثلاث مجلدات، ليس عند أحد له نسخة، وقد تضمّن شيئاً عظيماً من العجائب والمناقب والمثالب، فلا تبذله لأحد غير أُخوتك وخاصتك، وأستر أعراض ذوي الرحم الأجانب من القوم الذين نسبتهم إلى جدك محمد وأبيك علي عليهما السلام أصل شجرتك. وامنع من اعارته خدمة لله جلّ جلاله وحفظاً لحرمة جدك محمد صلّى الله عليه وآله، ومن يمكن أن يكون من ذريته ويحسن أن يكون عارفاً بما لابد منه من هذه الأنساب، متقرباً بمعرفة ذلك إلى مالك الأسباب، لتوفي كل ذي مقام من العلويين على قدر ماتعرفه من حقه في طهارةِ النسب، أو العلم بمن له سلف الصالحين.

وتعلم من ذلك من يطعن عليه ولا تستولده ولا تزوّجه، ولا تزوج أهلك وذريتك إليه، فإن أنسابكم طاهرة من الأدناس بكل طريق، وقد ذكرت لك طرفاً من ذلك في كتاب (الاصطفاء) من كتب وروايات أهل التوفيق.

وهيأ الله جلّ جلاله من كتب المجاميع والآثار المشتملة على فنون مختلفة قد جرت في الأعصار، مروجة للأسرار، ومذكّرة بالمكارم والايثار وصفات الاختيار، فقف منها ياولدي على مايقرب من المطّلع جلّ جلاله على سريرتك، المحاسب لك على إرادتك، التي أنك مضطر إلى رضاه في دنياك وآخرتك. وإياك أن تنظر فيها مما يشغلك عن مولاك وعن المراقبة لاطلاعه عليك، وذكر حضورك بين يديه وشكر احسانه إليك، فيصير ذلك الاطلاع من الأسقام والأدواء، ويكون ذلك الكتاب من جملة الأعداء.

وهيأ الله جلّ جلاله عندي كتباً في الطب عن الأئمة الطاهرين وعن العلماء المتبحرين، فأعتمد في طب الأبدان على العالم بباطن مايتجدد فيها من النقصان قبل أن تظهر أمراضها إلى الأطباء، وفوّض إليه وتوكّل عليه وسلّم ملكه إليه، تجده طبيباً للأدواء والأسقام، مغنياً لك عن طبيب الأنام.

واستعمل في زوال الأمراض ماروينا عن التربة الشريفة، والدعوات المنيفة، والعوذ المعتبرة عن العترة المطهرة.

وإن احتجت إلى معالجة الأطباء فاعمل فيما يصفونه لك من أسباب الشفاء على الاستخارة والمشاورة لله جلّ جلاله، كما شرحناه في كتاب (فتح الأبواب)، فإنّه جلّ جلاله يعلم مقدار المرض، ومقدار مايحتاج إليه من دواء مفترض، وكم تكون مدة الدواء.

وأما الطبيب من البشر فإنه يعلم ماظهر، ولايعلم مااختفى منه، ولامقدار المرض، ومقدار مايحتاج إليه على صفة لايكون فيها زيادة ولانقيصة عنه، ولايعرف كم يبقى المرض من الزمان. وإنما يداوي بمقدار غلبة ظنه، وكم قتل بغلط ظنونه من انسان، فقد رأينا من سقاه من شربات، فكان الذي سقاه أكثر مما يحتاج إليه في العادات فمات، ومن اشتبه عليه وجه أسقامه فهلك بالمعاني وكانت سبب طول آلامه.

وقد عرفت أن هذا الجسد ومايحتاج إليه ملك الله جلّ جلاله، وبقاؤه لأجله

ولأجل التقرب بالخدمة إليه، وهو أمانة في يد عبده، ويحاسبه عليه إذا وقف بين يديه. فإذا استأذنه في وقت استعمال الدواء ومقداره وكيفية العلاج لتحصيل الشفاء، كنتَ قد أمنت من المخاطرة باتلاف مهجتك، فإنك إذا هوّنت بمشورته فيما تعمد إليه وجرى اتلاف لما ائتمنك عليه، تصير في المعنى كأنك قد قتلت قتيلاً عليه، وأتلفت ماكنت تخدم به من طاعتك بيد اضاعتك، فيكون الدرك عليك، ولايبقى لك عذر صحيح بين يديه.

وهيأ الله جلّ جلاله كتباً في يدي تتضمن مايحتاج إليه طالب علم اللغة الذي يتقرب إليه.

واعلم ياولدي أراك الله جلّ جلاله بعين أنواره ماتحتاج إلى معرفته من أسراره، أنه قد صار مافي أيدي كثير من الذين يدعون العلم -علم اللغة العربية- أصلاً وعياراً عندهم لما في القرآن والسنة المحمدية، وهو غلط من ذوي الألباب، فلقد كان الأليق بالصواب أن يجعلوا كلام الله جلّ جلاله وكلام رسوله صلّى الله عليه وآله، وخاصته ومتقدمي الصحابة من ذوي الطباع العربية المشهور بفصاحته أصلاً وعياراً لما يرد عليهم من اللغات، ويبطلون مايخالفه أو يجعلونه وجهاً آخراً على وجه التأويلات.

وأما ماقد بلغ الأمر إليه أن كلام بدوي جاهل بما ينطق به، وشعره الذي لاحكم له، هو الحجة وبه تعرف المحجة، فشيء عجيب لايرضى به كامل لبيب.

وبيانه أن أكثر من يدّعي سماعه من هذا البدوي قوم لوشهدوا بباقة بقل ماقبل حكم الشريعة شيئاً من شهادتهم، ولامعهم تواتر عن لفظ ذلك البدوي يقتضي تصديق مقالتهم. فتعلّم منه ياولدي مايكون شاهده وعاضده الكتاب والسنة، وكلام الفصحاء والعلماء من سلفك الذين هم الدروع والجنة.

وهيأ الله جلّ جلاله لك كتباً في الأشعار تكفي مايريد الناظر في معرفة تلك الآثار، فانظر فيها واحفظ من معانيها مايدعو إلى الله جلّ جلاله وإلى رضاه، وإلى رسوله صلّى الله عليه وآله ومن ارتضاه، مما يبعث على مكارم الأخلاق وحيازة

قصبات السباق، وطهارة الأعراق.

وإياك وتقليد قوم من المنسوبين إلى علم الأديان، وكونهم قالوا الشعر ومدحوا به ملوك الأزمان، فإنهم مخاطرون بل هالكون أو نادمون إن كانوا ماتابوا منه، ويودّون يوم القيامة أنهم كانوا أخراساً عنه. ولقد تعجبت منهم كيف دوّنوه وحفظوه، وكان يليق بعلومهم أن يذهبوه ويبطلوه أو يرفضوه. أماترى فيه ياولدي مدح مَن الله جلّ جلاله ورسوله وخاصته ذامون لهم وساخطون عليهم، أما في ذلك مفارقة لله جلّ جلاله وكسر حرمة الله جلّ جلاله وأئمتهم الذين هم محتاجون اليهم، فإن فتح الله جلّ جلاله عليك قول الأشعار، فلا تتجاوز به مراد الله جلّ جلاله، ومراد سلفك الأطهار.

وهيأ الله جلّ جلاله لك كتباً جليلة في علم الكيمياء، وأعلم ياولدي أن هذا العلم صحيح، وقد عرفنا أنه علّمه جماعة من العلماء، وروينا في كتاب (الطرائف) أن أباك علي عليه السلام كان عارفاً بهذا العلم المشار إليه، وماروينا أبداً أنه استعمله مدة حياته، ولابلغنا أنه استعمله بعده أحد من عترته بعد وفاته. ولكن يقال: إن تعبه طويل، ولايحصل المراد منه إلاّ لمن يكون معه استاذ ودليل.

ولو أن المجتهد في علم الكيمياء يعطي الله عزّ وجل من اجتهاده بعض ذلك التعب والعناء، كان كرم الله جلّ جلاله فاتحاً عليه من السعادات ذهباً وفضة، وعنايات بدون التعب وتضييع الأوقات، فإن الظفر بالله على اليقين، والظفر بالكيمياء قد جرّبه قوم وخرجوا منه خاسرين خائبين، إذ كان الله جلّ جلاله يجعل في كنوز عقله وذخائر فضله أن الذهب الذي يتعب لأجله مثل الحجر الذي يدوسه برجله، وأن حكم معدنه عنده حكم مالامحل له من التراب.

فقد رأينا مَن شرّفه جلّ جلاله جعل الذهب والفضة عنده أهون من التراب، بل جعله عنده عدواً يفر منه، وإذا حصل له أخرجه عاجلاً أو تباعد عنه، أو كان يجعل له من الأنوار في الأسرار مايكون كاشفاً بجلاله ومتشرفاً باقباله، ومشغولاً عن كل ماعداه من دنياه وأُخراه، فكل هذه المواهب شيء منها جربناه، وشيء

منها عرفناه وسمعناه.

وهيأ الله جلّ جلاله لك كتباً متعلقة بالتحيل الحلال، والطلسمات، والعوذ والرقي، والرمل بالمجربات.

فأما علم الحيل فقد نطق القرآن الشريف أن يوسف عليه السلام جعل الصواع في رحل أخيه ليأخذه بالحيلة من أُخوته، وهو سلاح العدو، فاعرف منه مايتحيّل به من العدو ومكيدته إن كان مما أباح الشرع الشريف النظر في حقيقته.

وأما العوذ والرقي والطلسمات فعندنا منها الآن عدة مجلدات، وقد صنّفت في بعضها كتاباً سميته كتاب (المنتقى)، وضاق وقتي عن تجربة كلما فيه، فجرّبه مما يليق بطاعة الله ومرضاته، فما كان حقّاً فاحفظه، وما كان باطلاً فارفضه.

وأما كتب الرمل فهو أيضاً من الطرق الظنية إلى معرفة ماتعرف به من الأسباب، ومامنع الشرع من تعريفه مالايخالف حكم السنة والكتاب بالظنون إذا تعذر العلم بها بعلم محقق مأمون، وقد رأيناهم تارة يخطئون وتارة يصيبون.

وإن عاملت الله جلّ جلاله بالصدق والتحقيق، جعل قلبك مرآة تنظر بها مايريده هو جلّ جلاله من العلوم من ورآء ستر رقيق، ففي أخبار صاحب الملة: «المؤمن من ينظر بنور الله».

وهيّأ الله جلّ جلاله عندي كتباً في النجوم وغيرها من العلوم، وقد رأيت طالعك الميمون المبارك يتضمن أنك تعلم مايكتب بالأقلام، ويزيدك الله جلّ جلاله في الإلهام والأفهام. وأرجو من رحمته وعنايته تصديق مارأيت وتمام ماتمنيت، فما هو على الله جلّ جلاله بعزيز، جعلك الله جلّ جلاله في حصن حريز.

واعلم أن علم النجوم علم صحيح في أصله، ولكن قد تعذّر المحققون من أهله، وبعد عليهم تحقيقُ معرفة الارصاد، وقل الراغبون فيه، وكثر الطاعنون على من يريده من العباد.

والصحيح منه أن العقل والشرع لايمنع من أن تكون النجوم دلالات وامارات على أُمور متجددات، وقد يكون مثل ذلك في المنامات، والباطل من حديث النجوم قول من يقول: إنها علل موجبات، أو إنها فاعلات مختارات، وهذا من المحالات المحرمات.

وسوف أُصنّف كتاباً أكشف فيه بالله جلّ جلاله مااختلف الناس فيه، وأذكر ماورويت ورأيت من أخبار الائمة الأطهار عليهم السلام في صحة هذا العلم بطرق أهل الاعتبار، وأذكر من صنّف فيه، أو عرفه من شيعة آبائك الطاهرين، و ما تحقق العلماء العقلاء من أُموره، بما يوضحه الطريق على التبيين، ويعرف بذلك مايقرب منه إلى مالك يوم الدّين ومايبعد عن ربّ العالمين.

وهيأ الله جلّ جلاله مافتح على سرائري، وأذن في اظهارها ظواهري، من كتب صنّفتها بقدس تدبيره وشريف تعريفه جلّ جلاله وتذكيره.

منها كتاب (المهمات والتّتمات) وهو يكون إذا تمّ أكثر من عشر مجلدات، يكمل منه بعد هذه الرسالة أحد عشر مجلداً، وقد تم منه خمس مجلدات في قريب من الأوقات، فكم قد اشتمل عليه من الأسرار الكاشفات لأنوار السعادات.

ومنها كتاب (البهجة لثمرة المهجة) يتضمن حال بدايتي ومعرفتي وطلبي الأولاد من مالك رحمتي، وفضل اختياره جلّ جلاله لي ولادتهم من أُمهات الأولاد، وتسليكه جلّ جلاله لي سبيل سعادات الدنيا والمعاد.

ومنها كتاب (الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف)، جليل المقام، وهو من بحار ذلك الانعام.

ومنها كتاب (غياث سلطان الورى لسكان الثرى)، في قضاء الصلوة عن الاموات.

ومنها كتاب (فتح الجواب الباهر في خلق الكافر)، يعرف حقيقة فوائده من تصنيف بالهام موائده.

ومنها كتاب (الملهوف على قتلى الطفوف) في قتل الحسين عليه السلام،

غريب الترتيب والتلفيق، وهو من فضل الله جل جلاله الذي دلني عليه.

ومنها كتاب (ربيع الألباب) قد خرج منه في التأليف ستة مجلدات، تشتمل على روايات و حكايات في معاني مهمات و مرادات.

و منها كتاب (الاصطفاء في تاريخ الملوك والخلفاء) يكون لك ولأخيك، ولا ينظره إلاّ مَن تعلم أنه يحسن ظنه فيك وفي أبيك وبأذن الله جلَّ جلاله بالاستخارة في نظره فيه، فهذا أمانة إنما رجوت بتأليفه أن تنتفع ذريتي بمعانيه.

ومنها كتاب (فتح الأبواب بين ذوي الألباب وبين ربّ الأرباب) في الاستخارة، ما عرفت أنّ أحداً سبقني إلى مثل الذي اشتمل عليه من البشارة.

ومنها كتاب (طرف الأنباء والمناقب في شرف سيد الأنبياء وعترته الأطائب)، يتضمن كشف ما جرت الحال عليه في تعيين النبي صلى الله عليه وآله لأمته مَن يرجعون بعد وفاته إليه من وجوه غريبة ورواية من يعتمد عليه.

ومنها كتاب (مصباح الزائر وجناح المسافر)، في بداية ما شرعت في التأليف، يتضمن الزيارات خالية من الأسرار الربانيات، بل سلكت فيه سبيل العادات.

ومنها كتاب (التوفيق للوفاء بعد التفريق دارالفناء).

وغير ذلك من الكتب المختصرات، ما حضرني ذكرها الآن، وأنا أرجو من صاحب الرحمة والاحسان أن يشرّفك ببقاء مَن يغنيك عن كثير من الكتب المصنفات، وعن الاختلاف في تفسير الآيات، وعن التوسط بين تضاد الروايات، ويقبل الله جلّ جلاله بارشاده وانجاده على حقيقة مراده، ولله در القائل:

والذي بالبين والبعد ابتلاني ... ما جرى ذكر الحمى إلاّ شجاني

حبذا أهل الحمى من جيرة ... شفّني الشوق إليهم وبراني

كلما رمتُ سلواً عنهم ... جذبَ الشوقُ إليهم بعناني

أحسدُ الطيرَ إذا طارتْ إلى ... أرضهم أو أقلعتْ للطيران

أتمنى أنني أصحبها ... نحوهم لو أنني أعطى الأماني

وكــأن الــقــلــب مُــذ فــارقــهــم طــائــرٌ عُــلّــق في رأس ســنــان

ذهــبَ الــعــمــرُ ولــمْ أحظ بهــم وتــقــضــى في تــمــنيهــم زمــاني

لا تــزيــدوني غــرامــاً بــعــدكــم حــلّ بي من بــعــدكــم مــاقــد كــفــاني

يــا خــلــيلّي اذكــرا الــعــهــد الــذي كــنتما قــبــل الــنــوى عــاهــد تــمــاني

واذكــراني مــثــل ذكــري لكــمــا فــمــن الانصــاف أن لا تــنــســيــاني

وبــكــم مــنكــم إلــيــكــم اشــتــكــي فــعــسى مــنــكــم بــكــم أُعطــى الأمــاني

واســئــلا مــن انــا اهــواه على اي جــرم صــدّ عني وجــفــاني

واعلم يا ولدي محمّد حمدالله جلّ جلاله فعالك، وبلغك من سعادة الدنيا والآخرة، أن كتاب (الآداب الدينية) وغيره من كتب الأدعية، قد تضمّنت أدعية عند كثير مما قدمناه من الحركات والسكنات، وقد ذكرت طرفاً جميلاً وأدباً جليلاً في كتاب (المهمات والتتمات).

فلو ذكرت كل تلك الدعوات أو ماأحفظه منها في هذه الأوقات، مما يتعلق بما ذكرته لك في الحركات والسكنات، أو جميع تلك الآداب المذكورات، أطلت في هذا الكتاب وخفت أن تمله، وأن يمنعك كثرته من الانتفاع بما ذكرته فيه من الأسباب. وفيما ذخرته لكِ من كتب الأدعية والآداب كفاية لما تحتاج إليه، وقد دللتك عليه، ومن دلّ فقد قضىٰ ماعليه، وإنما كتابي هذا يتضمن كثيراً مما ليس فيما كنت أشرت إليه.

الفصل الرابع والأربعون والمائة

وسوف أذكر في كل وجه من الوجوه الخمس [من][1] العبادات كلمات نافعات لأهل السعادات، حتى لايخلو هذا الكتاب بالكلية من جملتها في التنبيهات، وقد بسطنا أسرار ذلك في كتاب (المهمات والتتمّات).

فأولها، الصلاة، فاعلم أنها تستدعي لك الحضور بين يدي مالك الأحياء والأموات، فبادر إليها بالتشريف والاستبشار بتلك العنايات، واترك كل شغل لايعذرك الله جلّ جلاله في الاشتغال به عنها، فإنه يصير ذلك الشغل مخالفة على مولاك وتصغيراً لأمره، وتخاطر مخاطرة لا تأمن أنك لا تسلم منها. ولا تلتفت إلى قول من يسهّل عليك تأخيرها عن أوائل الأوقات، وجرّب ذلك القائل لوكلّفك حاجة وأخرتها عن أوائل قدرتك، أفما يكون يلومك ويشهد أنك مستحق للمعاتبات وماتعرف حق المودّات، ولكنّهم جاهلون بالله جلّ جلاله وعظمته ونعمته.

ويريدون منك أن تحترمهم أكثر من احترامك لجلالته، وأن تكون محبّتك ومودتك لهم أكثر من محبته. فإياك أن تقتدي بهم في التهوين بمولاك ، فقبيح

---

١ ـ لم ترد في النسختين الخطيتين.

وعظيم وفظيع أن يساوى العبد بالمولى وخاصة وهو يراك . هذا فعل مَن قد هوّن بالهلاك فأدخل فيها دخول المشتاق إليها، وذوي السباق المنافسين عليها.

وخاطب حياً موجوداً أنت أذل ذليل في حضرته، وعظّم مدحه والثناء عليه فيها أعظم وأبلغ ماتعظّم مدح ملك من ملوك الدنيا عند مشافهته، واذا ركعت وسجدت فكن ذاكراً أنك بين يديه، وأن ذلك الذل والخشوع خدمة له جلّ جلاله ومقرّب إليه، وأن له جلّ جلاله المنة كيف استخدمك كما قدمناه، وأنك لا تطلب منه جزاء عاجلاً وآجلا كما نبهّنا عليه فيما اسلفناه، بل لأنه يستحق الخدمة منك ، فإنه أهل للعبادة الصادرة عنك.

وإذا خرجت من صلاتك فكن على قدم الخوف أن تكون فيها من التقصير مااقتضى ردّها عليك ، فإنك تعلم أنك تعامل بعض بني آدم في حوائجهم بالنشاط والاقبال، أكثر ماتعامل به مالك دنياك وأُخراك المحسن إليك.

الفصل الخامس والأربعون والمائة

وأما حديث الزكاة ياولدي محمد، زكّاك الله جلّ جلاله بتطهيرك من الذنوب والعيوب، وتجميلك بأداء الواجب والمندوب، فإنك تعلم أنك وأباك ، وكل مَن خرج إلى الدنيا من الخلائق كانوا فقراء، وجرى عليهم حكم الفقر المدقع على مقتضى الحقائق، وإنّما تقدّم غناء قوم منهم وتأخر الغناء عن الآخرين، كلهم في كل حال فقراء إلى الله جلّ جلاله ومساكين، ماشركه أحد منهم في خلق الأرض، ولاخلق المعادن التي فيها، ولافي الأموال، وتدبير حامليها وجالبيها.

فإذا بعث إليك جلّ جلاله جدك محمداً صلّى الله عليه وآله بكتاب مقدّس قد كتبه إليك على يديه، يطلب منك زكاة بعض ماله ليذخرها، ويجعلها عناية بك وحرزاً من الآفات، وسبباً إلى أن يخلف عليك في النفقات، فهل يجوز في عقل أو نقل أن تتوقف عن حمل بعض ماله إليه، وترد يد سؤاله عنك فيما يذخره لك؛ أو يد

تقدمه الأشرف المشتمل على العناية بك فارغة عن حقير ماله في يديك، خائبة من مدها إليك!

لا بالله يا ولدي لا تفضحني، ولا تفضح نفسك مع الله جلّ جلاله المنعم عليّ وعليك، ولاتجعلنا معه ومع سلفك الطاهرين. واعتقد المنة لله ربّ العالمين، كيف أكرمك وسلّم ما له إليك، وكيف رضيك مستودعاً وكيف جعلك أهلاً أن يبعث رسوله صلّى الله عليه وآله إليك. فإن العقل قضى أنه إذا كان عندي وديعة لسيدي وأنا عبده وهو جلّ جلاله يقوم بكل ما احتاج إليه وطلبها، أنني أُسلمها إليه، ولاأطلب جزاء منه، ولاأدل بذلك عليه، بل يكون قدخفف عني مؤنة حفظها ورعايتها، وشرّفني بجميل ذكري بتأدية أمانتها.

وإيّاك أن تخالف قولي لا تطلب ثواباً أصلاً؛ لأن من ابتدأك بالاحسان قبل معرفتك به وخدمتك له وجعلك لذلك أهلاً، هل يقبل العقل أنه لايعطيك بعد المعرفة والخدمة جزاء وكرماً وفضلاً؟! بلى والله ليعطين المخلصين له والمؤدين به عطاءً جزيلاً، حتى يروا أن أعمالهم لا تقوم ببعض عطائه، كلا والله كلا.

ولقد كان أبوك علي بن موسى بن جعفر يُخرج في أكثر الأوقات التسعة أعشار التي تحصل له مما تجب فيه الزكاة، ويبقي له ولعياله نحو العشر. وكذا ينبغي للمملوك إذا علم أنه يصير بعد قليل من الأموات، ويأخذ سيده مافي يديه ويسلّمه إلى غيره، ويحاسبه الملكين له عليه.

وإن توقفت نفسك عن مقام الاخلاص في الايثار، فاسمع مايقول لك لسان حال الدرهم والدينار، من كونه قتل فريقاً من البخلاء الممتنعين من بذله، وخرج فريقاً، وحبس فريقاً، وبالغ في غروره وفعله، وقد جاءت نوبتك فلا تكن من جملة الهالكين بعد قتله وختله أو النادمين.

الفصل السادس والأربعون والمائة

وأما حديث الصيام فإنما صورته أنك تصوم بالليل في المنام، فقلب الله جلّ

جلاله تدبير الحال وجعل لك شوقاً وذكراً جميلاً في الأعمال، وصرت تأكل بالليل وتصوم بالنهار، وهو رياضة الأبرار، وبما علّمهم الله جلّ جلاله منه و من غيره امتلأت قلوبهم من الأنوار واطلعوا على ما أراد الله جلّ جلاله اطلاعهم عليه من الأسرار.

فابدأ يا ولدي بصوم العقل والقلب، وعن كل ما يشتغل عن الرب، وعن الافطار بالذنب، وذكّر نفسك أنه لوطلب سلطان مثل ذلك منك، وأن تتقرب إليه وأنت في حضرته وبين يديه بشعار المراقبة بخدمته والامساك عمّا يبعّدك عن حضرته، أما كنت تفرح بهذا التكليف، وتعتقد أنه من التشريف.

فلايكن الله جلّ جلاله عند عقلك دون هذه الحال، فيفتضح العبد بالاقدام على هذا الاهمال، وما يؤمن عليه الحصول في الأهوال.

فإذا صام عقلك وقلبك عن الشواغل، فكلّف جوارحك جميعهاأن تكون صائمة عمايشغل عن مولاك ، على مايليق بك من الصوم الكامل وسوف أشرح تفصيل هذه الأسرار في كتاب سميته كتاب (المضمار) إن شاء الله تعالى، فيكون عملك بالله جلّ جلاله على ما يفتحه جلّ جلاله من الأنوار.

الفصل السابع والأربعون والمائة

وأما الحج إلى الله جلّ جلاله بقصد بيته الحرام، أكرمك الله جلّ جلاله يا ولدي بالحج على التمام إن شاء الله تعالى، فاعلم أن كل مَن قصد الحج لأجل سواه، فقد ضاع قصده وفسد مسراه، وإنّما يقصد كل مقصود بالله جلّ جلاله ولأجل الله جلّ جلاله.

ولقد كنا مرة يا ولدي في طريق مشهد الحسين عليه السلام، وكنا متيممين فنحتاج أن نصلّي بالنوافل والفرائض بحسب ماهدانا الله جلّ جلاله إليه، فصار الرفقاء يستعجلون، فقلت لهم: نحن نقصد الحسين عليه السلام لأجل الله جلّ جلاله، أو نقصد الله جلّ جلاله لأجل الحسين عليه السلام؟ فقالوا:

بل نقصد الحسين لأجل الله تعالى.

فقلت لهم: فإذا ضيّعنا في طريق الله جلّ جلاله الذي نقصد الحسين عليه السلام لأجله، فكيف يكون حالنا عند الحسين عليه السلام، وبأي وجه يلقانا هو، ويلقانا الله جلّ جلاله عند الحسين عليه السلام اذا تعرضنا لفضله؟ فعرفوا أنهم غالطون.

فكل من حج لأُجرة، أو لنفع عاجل أو آجل، أو لطبع، أو صورة غافل أو متغافل، فحجه إما باطل أو غيركامل. وقد شرعت في تأليف كتاب سميته (مسالك المحتاج إلى مناسك الحاج) وسوف أذكر فيه بالله جلّ جلاله، ومن الله جلّ جلاله، ولله جلّ جلاله، ماينبغي إذا حججت إن شاء تعالى تعمل عليه.

وبالجملة فيكون حجك على صفة أنك حججت وحدك ، ولايعلم بك غيرالله جلّ جلاله من البشر، فيعزك في نظر الخلائق إليك ونظرك إليهم. فمتى وجدت نفسك تطالبك بغير نظر مولاك وأطعتها في ذلك الخطر، فاعلم أن الحج فاسد أو ناقص بذلك النظر، فاطلب من الله جلّ جلاله قوة على أن يشغلك بجلاله واقباله عن كل مَن عداه وماعداه، حتى تتوجه منه وبه وإليه وله جلّ جلاله على بساط الذل لعزته والخضوع لهيبته، وهناك تكون المسعود بالحج إليه، فاذكرني ياولدي بين يديه، فقد ذكرتك والله جلّ جلاله عظيماً، وسلّمتك من يدي إليه، ولاعرفت ولاسمعت أن والداً كرر وأكثر من التضرع إلى الله جلّ جلاله لأجل ولد يعز عليه، أبلغ مماخاطبت في طلبك قبل وجودك ، وفي مهما تك للدنيا والآخرة بعد وجودك ، ولما تحتاج إليه ولأجل اقباله عليك واقبالك عليه وقدومك عليه.

الفصل الثامن والأربعون والمائة

وأما الجهاد يا ولدي شرّفك الله جلّ جلاله بمجاهدة نفسك ، وكل من يشغلك عنه، بل قواك قوة تدفع عنك مشقة الاجتهاد حتى تتلذذ بكل مبذول في

القرب منه، فاعلم أنك إن وجب عليك الجهاد بين يدي من تجب طاعته عليك، فهو صلوات الله عليه يعرّفك وظائف الجهاد، ويكفيك ويكفيني أن أكتب ماعرّفني الله جلّ جلاله من ذلك إليك.

وإن ابتليت بجهاد مع غير مَن تجب طاعته: فإن كان فرضاً عاماً يخاف على الاسلام أن تذهب بيضته وتستأصل شأفته، فإنك تعلم أن النفوس والرؤوس، وكل مايعز عليك من الله جلّ جلاله إليك، فأحق مما يذل كل عزيز والدنيا كلّها لواهبها، وأجمل ماأنفقت ذخائر العقول في مراد جالبها، ومَن أحق بالأجساد والأرواح والعقول بكلها في الوجود من الله جلّ جلاله، الذي أنت وما في يدك صادر عن ذلك الجود. فمتى دعاك إليه فإيّاك أن تتوقف عن حمل نفسك ومالك إليه فإنك إن بخلت بها عليه في بذلها، سلبها عزرائيل عليه السلام أو غيره، وضاع منك شرف الخدمة بتسليمها إليه وبذلها في اعزاز دينه الذي يعز عليه.

الفصل التاسع والأربعون والمائة

واعلم يا ولدي ثبتّك الله جلّ جلاله على طريق الاخلاص، واثبت اسمك في ديوان أهل الاختصاص، أنه كان قد غلب التتار على بلاد خراسان، وطمعوا في هذا البلاد، ووصلت سراياه إلى نحو مقاتلة بغداد في زمن الخليفة المستنصر جزاه الله عني بما هو أهله. فكتبت إلى الأمير قشمر، وكان إذذاك مقدّم العساكر خارج بلد بغداد، وهم مبرزون بالخيم والعدد والاستظهار، ويخافون أن تأتيهم عساكر التتار، وقد نودي في باطن البلد بالخروج إلى الجهاد، فقلت له بالمكاتبة:

استأذن لي الخليفة وأعرض رقعتي عليه في أن يأذن لي في التدبير ويكونون حيث أقول يقولون، وحيث أسكت يسكتون، حتى أصلح الحال بالكلام، فقد خيف على بيضة الاسلام، ومايعذر الله جلّ جلاله من يترك الصلح بين الأنام.

وذكرت في المكاتبة: أنني ماأسير بدرع ولاعدة إلّا بعادتي من ثيابي، ولكني أقصد الصلح بكل ما في أيديكم لله جلّ جلاله ولا أبخل بشيء لابد منه، وما أرجع بدون الصلح، فإنه مما يريده الله عزّوجل ويقرّبني منه، فاعتذروا وارادوا غير ما أردناه.

أقول: وقدحضرت عند صديق لنا وكان أُستاذ دار، وقلت له: تستأذن لي الخليفة في أن أخرج أنا وأخي الرضا والآوي محمد بن محمد الأعجمي،

ونأخذ معنا من يعرف لغة التتار، ونلقاهم ونحدثهم بما يفتح الله جلّ جلاله علينا، لعل الله جلّ جلاله يدفعهم بقول أوفعل أو حيلة عن هذه الديار.

فقال: نخاف تكسرون حرمة الديوان، ويعتقدون أنكم رسل من عندنا.

فقلت: تغدوا معنا ديوانية ومن تختارون، ومتى ذكرناكم أو قلنا: إننا عنكم، يحملون رؤوسنا اليكم، فقد أنجاكم ذلك وأنتم معذورون ونحن إنما نقول: إننا أولاد هذه الدعوة النبوية والمملكة المحمدية وقدجئنا نحدّثكم عن ملتناوديننا، فإن قبلتم، وإلاّ فقد أعذرنا إلى الله جلّ جلاله وإلى رسوله صلّى الله عليه وآله.

فقال: اجلس في موضع منفرد أشار إليه، وظاهر الحال أنّه أنهى ذلك إلى المستنصر جزاه الله عني ماهو أهله ثم أطال، وطلبني من الموضع المنفرد وقال ما معناه: اذا دعت الحاجة إلى مثل هذا أذنا لكم؛ لأن القوم الذين قد أغاروا ماهم متقدّم تقصدونه وتخاطبونه، وهؤلاء سرايا متفرقة وغارات غير متفقة.

فقلت لهم: اذا تركتم الاذن لنا في ذلك فقد حصل لنا اخلاص في النية، فنخاف أن تطلبونا وقت الاذن وماكان عندنا هذا الاخلاص، فلا نوافقكم على الخروج اليهم. فلم يأذنوا في ذلك.

وكذا جرى فانني كنت استأذنت الخليفة في زيارة مولانا الرضا عليه التحية والثناء بخراسان، فأذن وتجهزت، ومابقي إلاّ التوجه إلى ذلك المكان، فقال من كان الحديث في الاذن إليه قدرُسم أنك تكون رسولاً إلى بعض الملوك . فاعتذرت وقلت: هذه الرسالة إن نجحت مايتركوني بعدها أتصرّف في نفسي إلاّ لاأزال رسولاً.

وإن جنحت صغر أمري عندكم وانكسرت حرمتي، واعتقدتم أنني ماأعرف القيام بمثل هذا ثم لوتوجهت كان بعدي من الحساد من يقول لكم إنّه يبايع ملك الترك ويجئ به إلى هذه البلاد، وتصدقونه وتصير همتكم في انفاذ من يقتلني بالسم وغيره.

فقال: وما يكون العذر؟

قلت: انني أستخير، واذا جاءت لا تفعل فهو يعلم أنني لاأُخالف الاستخارة أبداً فاستخرت واعتذرت، وقد تقدّم بعض هذا الجواب فيما شرحت.

الفصل الخمسون والمائة

وأُوصيك ياولدي محمد وأخاك ومَن يقف على كتابي هذا، بالصدق في معاملة الله جلّ جلاله ورسوله صلّى الله عليه وآله، وحفظ وصيتهما بمابشرّا به من ظهور مولانا المهدي عليه السلام، فإنني وجدت القول والفعل من كثير من الناس في حديثه عليه السلام مخالفاً للعقيدة من وجوه كثيرة:

منها: أنني وجدت أنه لوذهب من الذي يعتقد إمامته عبدٌ أو فرسٌ أو درهمٌ أو دينارٌ، تعلّق خاطره وظاهره بطلب ذلك الشيءُ المفقود، وبذل في تحصيله غاية المجهود. ومارأيت لتأخر هذا المحتشم العظيم الشأن عن إصلاح الإسلام والايمان، وقطع دابر الكفار وأهل العدوان، مثل تعلق الخاطر بتلك الأشياء المحقرات، فكيف يعتقد من يكون بهذا الصفات أنه عارف بحق الله جلّ جلاله وحق رسوله صلّى الله عليه وآله، ومعتقداً امامته على الوجه الذي يدعي المغالاة والموالاة لشريف معاليه.

ومنها: أنني وجدت من يذكر أنه يعتقد وجوب رئاسته، والضرورة إلى ظهوره وانفاذ أحكام إمامته، لو واصله بعض من يدّعي أنه عدو لإمامته من سلطان، وشمله بأنعامه، كان قد تعلّق خاطره ببقاء هذا السلطان المشار إليه، وشغله ذلك عن طلب المهدي عليه السلام، وعما يجب عليه من التمني لعزل الوالي المنعم عليه.

ومنها: أنني وجدت من يدّعي وجوب السرور بسروره والتكدر بتكدره صلوات الله عليه يقول: إنه يعتقد أن كل ما في الدنيا قد أُخذ من يد المهدي عليه السلام وغصبه الناس والملوك من يديه، ومع هذا لاأراه يتأثر بذلك النهب والسلب كتأثره لوأخذ ذلك السلطان منه درهماً أو ديناراً أو ملكاً أو عقاراً فأين هذا من الوفاء ومعرفة الله جلّ جلاله ورسوله صلّى الله عليه وآله ومعرفة الأوصياء.

ومنها: أنني قلت لبعض من يدّعي الحرص على ظهوره، والوفاء له، والتأسف عليه: ماتقول لو أنفذ إليك المهدي عليه السلام وقال لك: إني قدعرفت من جهة آبائي عليهم السلام عن رسول الله صلّى الله عليه وآله بطريق محقق اعتمدت عليه أنى متى ظهرت الآن فإن ساعة ماتقع عينك عليّ تموت في الحال، ومتى تأخرت عن الظهور عشت عشرين سنة ممتعاً مسروراً بالأهل والولد والمال، أفليس كنت تختار تأخر ظهوره لأجل حياتك الفانية.

ومنها: أنني قلت لبعض من يدّعي مغالياً في موالاته عليه السلام: لو أنفذ إليك وقال لك: إن سلطان بلادك يعطيك بغد هذا اليوم كل يوم ألف دينار، ثم أعطاك السلطان مستمراً على التكرار كل يوم جملة هذا المقدار، وقال عليه السلام: هو لك حلال زمن الغيبة.

ثم أنفذ إليك عليه السلام وقال: أنا قد أُذن لي في الظهور، وهذا العطاء ماكان باذني ولا تستحقه إلّا مع غيبتي فأيما أحب إليك أظهر وأقطع بهذا العطاء، وأُحاسبك على كل مافضل عن مؤنتك، وأجعل هذا الإدرار لبعض من بينك وبينه عداوة دنيوية، ممن منزلته في الظاهر دون منزلتك، فأيما كان أحب إليك أن تطول غيبته وتأخذ العطاء كل يوم ألف دينار، أو يتعجل ظهوره ويحاسبك عليها ويقطعها ويردها إلى عدوك ؟ عرفنا مايكون في قلبك من الاختيار، وأعرف من الوجوه غيرما ذكرته الآن.

وقلت لبعض الاخوان: إن رجال المهدي عليه السلام مَن يريده للوجه الذي

أراده الله جلّ جلالـه له، سواء كان نـافعاً بهذا المراد أو غير نافع في الـعاجلة له، وأن يكون الاختيار فيهم جلّ جلاله وله.

وقد كان سألني بعض من يذكر أنه معتقد لإمامته، فقال: قد عرضت لي شبهة في غيبته.

فقلت: ماهي؟

فقال: أما كـان يمكن أن يلقي أحداً من شيعته، ويزيل الخلاف عنهم في عقائد تتعلق بدين جده محمد صلّى الله عليه وآله وشريعته.

واشترط عليّ أن لاأجيبه بالأجوبة المسطورة في الكتب، وذكر أنه مازال الشبهة منه ماوقف عليه ولا ماسمعه من الأعذار المذكورة.

فقلت له: أيها أقدر على ازالة الخلاف بين العباد، وأيّما أعظم وأبلغ في الرحمة والعدل والارفاد أليس الله جلّ جلاله؟

فقال: بلى.

فقلت له: فما منع الله جلّ جلاله أن يزيل الخلاف بين الأُمم أجمعين وهو أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين، وهو أقدر على تدبير ذلك بطرق لايحيط بها علم الآدميين، أفليس أنّ ذلك لعذر يقتضيه عدله وفضله على اليقين؟

فقال: بلى.

فقلت له: فعذر نائبه عليه السلام هو عذره على التفصيل؛ لأنه مايفعل فعلاً إلّا مايوافق رضاه على التمام.

فوافق وزالت الشبهة، وعرف صدق مـاأورده الله جلّ جلاله على لساني من الكلام.

واعلم: ياولدي محمد زيّن الله جلّ جلاله سرائرك وظواهرك بموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه، أنني كنت لما بلغني ولادتك بمشهد الحسين عليه السلام في زيارة عاشوراء، إلّا أنك ولدت بطالع السعد والاقبال يوم تاسع محرم سنه ثلاث وأربعين وستمائة يوم الثلاثاء، بعد مضي ساعتين وخمس دقائق من ذلك النهار،

كما قدّمناه في خطبة هذه الرسالة.

فقمتُ بين يدي الله جلّ جلاله مقام الذل والانكسار، والشكر لما شرّفني به من ولادتك من المسار والمبار، وجعلتك بأمر الله جلّ جلاله عبد مولانا المهدي عليه السلام ومتعلّقاً عليه. وقداحتجنا - كم مرة عند حوادث حدثت لك - إليه، ورأيناه في عدة مقامات في منامات، وقد تولّى قضاء حوائجك بانعام عظيم في حقنا وحقك لايبلغ وصفي إليه.

فكن في موالاته والوفاء له، وتعلّق الخاطر به على قدر مراد الله جلّ جلاله، ومراد رسوله صلّى الله عليه وآله، ومراد آبائه عليهم السلام، ومراده عليه السلام منك. وقدّم حوائجه على حوائجك عند صلاة الحاجات، كما ذكرناه في كتاب (المهمات والتتمّات)،والصدقة عنه قبل الصدقة عنك وعمن يعزّ عليك، والدعاء له قبل الدعاء لك.

وقدّمه في كل خير يكون وفاء له، ومقتضياً لاقباله عليك واحسانه إليك فأعرض حاجاتك عليه كل يوم الاثنين ويوم الخميس من كل اسبوع، لما يجب له من أدب الخضوع، وقل عند خطابه بعد السلام عليه بما ذكرناه في أواخر الأجزاء من كتاب (المهمات) من الزيارة التي أولها:

سلام الله الكامل يا أيها العزيز، مسّنا وأهلنا الضر، وجئنا ببضاعة مزجاة، فأوفِ لنا الكيل، وتصدّق علينا، إن الله يجزي المتصدقين. تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين، يامولانا استغفر لنا ذنوبنا إنّا كنا خاطئين.

وقل: يا مولانا هذه مقامات أُخوة يوسف مع أخيهم وأبيهم وقد رحماهم بعد تلك الجنايات، فإن كنا غير مرضيين عند الله جلّ جلاله، وعند رسوله صلّى الله عليه وآله، وعند آبائك، وعندك عليكم أفضل الصلوة، فأنت أحق أن تسعنا من رحمتك وحلمك وكرمك وشريف شيمك، بما وسع أُخوة يوسف من تعطفه عليهم ورحمته لهم واحسانه إليهم.

وقل: يا مولانا أنني وجدتُ في النقل أن جدك محمداً صلّى الله عليه وآله

كان له عدو شديد يقال له النضر بن الحارث[١] فقتله، فقالت أُخته تخاطب النبي صلّى الله عليه وآله في أبيات اغيّر[٢] بعض خطابها:

أمحمد ولأنتَ نسلُ نجيبةٍ في قومها والفحلُ فحلٌ مُعْرِقُ
إنْ كانَ يُمكنُ أنْ تَمنَ وَرُبَّما مَنَّ الفتى وَهُوَ المغيظ المُحْنَقُ
والعبدُ أقربُ مَنْ وَصَلْتَ قرابةً وأحَقُّهم إنْ كان عِتْقٌ يُعتقُ[٣]

فقال النبي صلّى الله عليه وآله ما معناه: «لو وصلتني هذه الأبيات قبل قتله

---

١ ـ النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبدمناف، من بني عبدالدار من قريش، صاحب لواء المشركين ببدر. كان من شجعان قريش ووجوهها ومن شياطينها (كما يقول ابن اسحاق)، له اطلاع على كتب الفرس وغيرهم، قرأ تاريخهم في الحيرة، وقيل هو أول من غنّى على العود بألحان الفرس، وهو ابن خالة النبي(ص)، ولما ظهر الإسلام استمر على عقيدة الجاهلية وآذى رسول الله(ص) كثيراً. وكان اذا جلس النبي مجلساً للتذكير بالله والتحذير من مثل ما أصاب الأمم الخالية من نقمة الله، جلس النضر بعده فحدّث قريشاً بأخبار ملوك فارس ورستم واسفنديار ويقول: أنا أحسن منه حديثاً! إنما يأتيكم محمد بأساطير الأولين! وشهد وقعة بدر مع مشركي قريش، فأسره المسلمون وقتلوه بالأثيل قرب المدينة بعد انصرافهم من الوقعة، وهو أبو قُتَيْلَة صاحبة الأبيات المشهورة التي منها:

ما كان ضرك لو مننت وربما مَنّ الفتى وهو المغيظ المحنق

رثته بها قبل اسلامها. وفي الإصابة والبيان والتبيين ما مؤداه: عرضت قتيلة (وسماها الجاحظ: ليلى) للنبي(ص) وهو يطوف بالبيت واستوقفته وجذبت رداءه حتى انكشف منكبه وانشدته أبياتها هذه، فرقّ لها حتى دمعت عيناه وقال: لو بلغني شعرها قبل أن أقتله لوهبته لها. وفي المؤرخين من يقول أنها اخت النضر.

قاله الزركلي في الأعلام ٨: ٣٢ نقلاً عن: الكامل لابن الأثير ٢: ٢٦ زهر الآداب ١: ٣٣، معجم البلدان ١: ١١٢، مطالع البدور ١: ٢٣٢، جهرة الأنساب: ١١٧، نسب قريش: ٢٥٥، البيان والتبيين ٤: ٤٣، نهاية الأرب ١٦: ٢١٩، المحبر: ١٦٠.

٢ ـ في النسخة المطبوعة سابقاً: واعتبر، وما أثبتناه فهو من النسختين الخطيتين، وهو الصحيح؛ لأن المصنّف رحمه الله غيّر بعض الكلمات الواردة في هذه الأبيات.

٣ ـ ذكر هذه الأبيات ابن هشام في السيرة النبوية ٣: ٤٥ بهذا الشكل.

أمحمد ياخير ضنءِ كريمةٍ في قومها والفحلُ فحلٌ مُعْرِقُ
ما كان ضرّكَ لو مَنَنْتَ وربّما مَنّ الفتىٰ وَهُوَ المَغِيظ المُحْنَقُ
فالنضر أقربُ مَنْ أسرتَ قرابةً وأحقّهم إنْ كانَ عِتْقٌ يُعتقُ

لعفوت عن سوء فعله.»[١] وأنت يا مولانا أهل الاقتداء بجميع خصاله.

وقل له: إنني رويت في الحديث أن قارون لما دعى عليه موسى عليه السلام وخسفت به الأرض نادى وارحماه، وكان بينه وبين موسى عليه السلام قرابة ورحم ماسة، فروي أن الله جلّ جلاله أمر الأرض لا تنخسف به، ورعى له حق حرمة هذه الاستغاثة، وأنا أقول: وارحماه.

وقل له غير ذلك ممايجريه الله جلّ جلاله على خاطرك ، وأُذكرله أن أباك قد ذكر لك أنه أوصى بك إليه، وجعلك باذن الله جلّ جلاله عبده، وأنني علّقتك عليه، فإنه يأتيك جوابه صلوات الله وسلامه عليه.

ومما أقول لك يا ولدي محمد ملأ الله جلّ جلاله عقلك وقلبك من التصديق لأهل الصدق والتوفيق في معرفة ا لحق، أن طريق تعريف الله جلّ جلاله لك بجواب مولانا المهدي صلوات الله وسلامه على قدرته جلّ جلاله ورحمته، فمن ذلك مارواه محمدبن يعقوب الكليني في كتاب (الرسائل)[٢] عمن سماه قال: كتبت إلىٰ أبي الحسن عليه السلام: أن الرجل يجب أن يفضي إلى إمامه مايجب أن يفضي به الى ربه قال: فكتب: «إن كانت لك حاجة فحرّك شفتيك ، فإن الجواب يأتيك».[٣]

ومن ذلك مارواه هبة الله بن سعيد الراوندي في كتاب (الخرائج) عن محمد بن الفرج، قال: قال لي علي بن محمد عليهما السلام «إذا أردت أن تسأل مسألة

---

١ ـ انظر: السيرة النبوية لابن هشام ٣:٤٥.

٢ ـ قال الشيخ الطهراني في الذريعة ١٠: ٢٣٩ رقم ٧٦٦: رسائل الأئمة لثقة الإسلام الشيخ أبي جعفر محمدبن يعقوب الكليني المتوفىٰ ببغداد سنة تناثر النجوم وهي ٣٢٩ ذكرها النجاشي. وقد نقل عنه السيد رضي الدين علي بن طاووس في كشف المحجة ص١٥٩ و١٧٣ رسالة أميرالمؤمنين(ع) إلى ولده الحسن(ع) المعروفة بالوصية، وكذا رسالته إلى ولده محمدبن الحنفية، وكذا نقل عنه في اللهوف بعض رسائل الحسين(ع). ويأتي معادن الحكمة في مكاتيب الأئمة(ع) تأليف علم الهدىٰ ابن الفيض الكاشاني، الذي أول مكاتيبه رسالة أميرالمؤمنين(ع) إلى ابنه الحسن(ع) نقلها عن كتاب رسائل الأئمة للكليني، وظاهره النقل عنه بغير واسطة، وعليه فلايبعد وجود الكتاب في بعض المكتبات.

٣ـ نقله عنه المجلسي في البحار ٥٠: ١٥٥ حديث ٤٢.

فاكتبها وضع الكتاب تحت مصلاّك ودعه ساعة ثم أخرجه وانظر فيه»، قال: ففعلت فوجدت جواب ماسألت عنه موقعاً فيه[1].

وقد اقتصرت لك على هذا التنبيه، والطريق مفتوحة إلى إمامك عليه السلام لمن يريد الله جلّ شأنه عنايته به وتمام احسانه إليه.

١ ـ الخرائج والجرائح ١:٤١٩ حديث ٢٢.

الفصل الحادي والخمسون والمائة

واعلم يا ولدي محمد كمّل الله جلّ جلاله بلقائه سعادتك، وشرّف ببقائه وحسن ارادته منزلتك وخاتمتك، أنني لولا آية في كتاب الله المقدّس (يَمْحُوا اللهُ مَا يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ اُمُّ الكِتَابِ)[1]، لكنت قد عرّفتك ووثّقتك أنني أُدرك أيام ظهوره الكامل، وأدخل تحت ظلّه الشامل، فهذا أوان ظهور تلك الشموس، وزوال الضر والبؤس إن شاء الله، فإن تمم الله جلّ جلاله لي ما أُؤمله من هذه الآمال فقد كمّل لي تحف الشرف والاقبال، وإن أراد انتقالي فالأمر إليه جلّ جلاله وله جلّ جلاله في تدبير آمالي.

الفصل الثاني والخمسون والمائة

فإن دعيت أنا إلى لقاء الله جلّ جلاله، وتقدمت قبل الظهور، ولم تشملني عناية أهل الرجعة والحضور، فأوصيك ثم أُوصيك ثم أُوصي مَن يلقاه من ذريّتي وولدي وولد ولدي، وأُشهد الله جلّ جلاله عليكم وملائكته بهذه الوصية: أنكم اذا رأيتموه وتشرّفتم بتلك السعادة الربانية، وأذن لكم في الكلام بين يدي منزلته

---

١ - الرعد: ٣٩.

النبوية أن تقولوا:

إن والدي علياً عبد الطاعة ومملوك الضراعة، يقبل مايرضيك أن تقبله بين يديك، ويسأل تشريفه بالاذن في ابلاغ التسليم والصلوة عليك، ويضرع بين يديك في كل ماهو يحتاج أن يضرع في سؤاله، وفي كل ما أنت صلوات الله وسلامه عليك أهل أن تبلغه من آماله واقباله ويسأل من مراحمك و مكارمك قبول وصيته في هذا العبد المبلغ عنه القائم بين يديك، وأن يكون ممن يعز عليك ويبلغ ماهو محتاج من الله جلّ جلاله ومنك إليه وإليك، صلوات الله وبركاته وتحياته واقباله على آبائك الطاهرين وعليك.

الفصل الثالث والخمسون والمائه

وأُوصيك ياولدي محمد أدام الله جلّ جلاله اقباله عليك، وكمال احسانه إليك، بما أوصاك الله به جلّ جلاله في نفسك والوالدين وذوي الأرحام وسائر وصايا الإسلام، وبالتحنن على أُخوتك وأخواتك وخدمك وحشمك وأهل مودتك. وما أوصاك به جدك محمد صلّى الله عليه وآله، ولسان حال آبائك وعترته الطاهرين. وبما أوصاك به من مواهبه عليك ولديك من المروة والصفاء والوفاء، وجميع صفات أهل الدين، وأن تشركني في خلواتك ودعواتك وصدقاتك، وتذكرني بين يدي الله جلّ جلاله بما يجرى به جلّ جلاله على خاطرك عند مناجاتك، وتبعث إليّ بالسلام أول كل ليلة وأول كل نهار، فإنه روي في الآثار أنه يبلغني ويكون من جملة المسار.

وجمّل ذكري لحفظك جانب الله جلّ جلاله، وسلوك سبيل سلفك الطاهرين، فإنه من صفات المسعودين إذا وجدوا آباءهم وقد بنوا لهم مجداً لايسعوا في نقضه، بل تكون همتهم الاجتهاد في مراعاته وحفظه، وأن يزيدوا على ذلك المجد بغاية الجهد، كما قيل:

لَسْنَا وإنْ كَرُمَتْ أوائِلُنا   يَوماً على الأحسابِ نَتَّكِلُ

نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أوائلُنا تَبْنِي وَنَفْعَلُ مثلَ مافعلوا[1]

وأنت ياولدي وديعة الله جلّ جلاله ووديعة خاصته، وفي حمى حمايته ورعايته، وفي أمان حفظه وحياطته.

والسلام على من يجب تقدّم السلام عليه وعليك في الحياة وبعد الممات، وأن أسأل الله أن تجتمع في دوام العز والاقبال والجاه وكمال النجاة.

أقول: وربما سمعت ياولدي من غير خبير بالأسرار، ولامطلع على وصول الأخبار، أن بني جدك الحسن والحسين عليهما السلام كان الطالبون بهم للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر جاحدين لأئمتك وللمهدي عليهم السلام، وذلك غلط ممن يعتمد عليه.

وقد رويتُ بعدة أسانيد تعزية الصادق عليه السلام للجماعة الذين اتّهموا بطلب الخلافات، وحملوا إلى العراق وحبسوا إلى الممات. وفي تعزية الصادق عليه السلام على حملهم والتعظيم لهم والدعاء لهم دلالة على أنّهم عارفون بأئمة الاسلام، وسأذكر ذلك في الجزء الثاني من كتاب (الاقبال) بالأعمال الحسنة في عمل شهر المحرم إن شاء الله تعالى.

ولقد رويت بعدة أسانيد في كتاب اصل أبي الفرج أبان بن محمد: أن عبد الله بن الحسن، والحسن بن الحسن، وجعفر بن الحسن شهدوا جميعاً أن مولانا المهدي عليه السلام من ذرية الصادق. وسأذكر أيضاً الحديث بأسانيده في الكتاب الذي أشرت إليه.

ورأيت في كتاب سيرة الخلفاء المصريين -وقد طالت خلافتهم كثيراً من السنين- مايدل على معرفتهم بالمهدي عليه السلام، وإنّما كانوا يطلبون الانتصار بشرائع الاسلام. فقال عن المعز الخليفة بمصر ماهذا لفظه: إن القائم منا من أسند ظهره إلى الكعبة البيت الحرام وقام خطيباً للناس فحينئذٍ يقوم بكل ما عنده.

---

١ ـ البيتان لعبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر. انظر: الحيوان ٧: ١٦٠، ذيل الأمالي والنوادر: ١١٧.

أقول: ومع هذا القول من المعز فإن آباءه تسمّوا بالمهدي والقائم، وغيرهم من ذرية النبي صلّى الله عليه وآله وإن كانوا عارفين بالمهدي عليه السلام.

الفصل الرابع والخمسون والمائة

وقد وقع في خاطري أن أختم هذا الكتاب بوصية أبيك أمير المؤمنين عليه السلام -الذي عنده علم الكتاب صلّى الله عليه- إلى ولده العزيز عليه، وبرسالته إلى شيعته وذكر المتقدمين عليه، ورسالته في ذكر الأئمّة من ولده عليهم السلام. ورأيت أن تكون رواية الرسالة إلى ولده عليه السلام بطريق المخالفين والمؤالفين، فهو أجمع على ما تضمنته من سعادة الدنيا والدين.

فقال أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري في كتاب (الزواجر والمواعظ) في الجزء الأول منه، من نسخة تاريخها ذوالقعدة من سنة ثلاث وسبعين واربعمائة ماهذا لفظه:

وصية أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لولده، ولو كان من الحكمة مايجب أن يكتب بالذهب لكانت هذه، وحدّثني بها جماعة فحدّثني علي بن الحسين بن اسماعيل، قال: حدّثنا الحسن بن أبي عثمان الآدمي، قال: أخبرنا أبوحاتم المكتب يحيى بن حاتم بن عكرمة، قال: حدّثني يوسف بن يعقوب بأنطاكية، قال: حدّثني بعض أهل العلم، قال: لماانصرف علي عليه السلام من صفين إلى قنسرين كتب إلى ابنه الحسن بن علي عليه السلام: من الوالد الفان المقر للزمان...

وحدّثنا أحمدبن عبدالعزيز، قال: حدّثنا سليمانبن الربيع النهدي، قال: حدّثنا كادح بن رحمة الزاهد، قال: حدثنا صباح بن يحيى المزني.

وحدّثنا علي بن عبد العزيز الكوفي الكاتب، قال: حدّثنا جعفربن هارون ابن زياد، قال: حدّثنا محمدبن علي بن موسى الرضا، عن أبيه، عن جده جعفر الصادق، عن أبيه، عن جده عليهم السلام: «إن علياً كتب إلى الحسن بن علي...»

وحدّثنا علي بن محمدبن ابراهيم التستري، قال: حدّثنا جعفربن عنبسة، قال: حدّثنا عبّاد بن زياد، قال: حدّثنا عمروبن أبي المقدام، عن أبي جعفر محمدبن علي، قال: كتب أميرالمؤمنين إلى الحسن بن علي عليه السلام...

وحدّثنا محمدبن عليبن زاهر الرازي، قال: حدّثنا محمدبن العباس، قال: حدّثنا عبدالله بن داهر، عن أبيه، عن جعفربن محمد، عن آبائه، عن علي عليه السلام قال: «كتب علي إلى ابنه الحسن...».

كل هؤلاء حدثونا أن أميرالمؤمنين علياً عليه السلام كتب بهذه الرسالة الى ابنه الحسن عليه السلام.

وأخبرني أحمدبن عبد الرحمن بن فضال القاضي، قال: قال حدّثنا الحسن ابن محمد بن أحمد وأحمدبن جعفربن محمدبن زيدبن عليبن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: حدّثنا جعفربن محمد الحسني، قال: حدّثنا الحسن ابن عبدل، قال: حدّثنا الحسن بن طريف بن ناصح، عن الحسن بن علوان، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نباتة المجاشعي، قال: كتب أميرالمؤمنين عليه السلام الى ابنه كذا.

واعلم: ياولدي محمد ضاعف الله جلّ جلاله عنايته بك ورعايته لك، قد روى الشيخ المتفق على ثقته وأمانته، محمدبن يعقوب الكليني تغمده الله جلّ جلاله برحمته، رسالة مولانا أميرالمؤمنين علي عليه السلام إلى جدك الحسن ولده سلام الله جلّ جلاله عليهما.

وروى رسالة أخرى مختصرة عن خط علي عليه السلام إلى ولده محمد بن الحنفية رضوان الله جلّ جلاله عليه، وذكر الرسالتين في كتاب (الرسائل).

ووجدنا في نسخة عتيقة يوشك أن تكون كتابتها في زمان حياة محمد بن يعقوب رحمة الله عليه. وهذا الشيخ محمد بن يعقوب كان حياً في زمن وكلاء المهدي عليه السلام: عثمان بن سعيد العمري، وولده أبي جعفر محمد، وأبي القاسم حسين بن روح، وعلى بن محمد السمّرى. وتوفى محمد بن يعقوب قبل وفاة علي بن محمد السمري؛ لأن علي بن محمد السمري توفّى في شعبان سنة تسع وعشرين وثلثمائة، وهذا محمد بن يعقوب الكليني توفّي ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلثمائة. فتصانيف هذا الشيخ محمد بن يعقوب ورواياته في زمن الوكلاء المذكورين في وقت تجد طريقاً إلى تحقيق منقولاته وتصديق مصنّفاته.

ورأيت ياولدي بين رواية الحسن بن عبدالله العسكرى مصنّف كتاب (الزواجر و المواعظ) الذي قدّمناه، وبين الشيخ محمد بن يعقوب في رسالة أبيك أميرالمؤمنين علي عليه السلام إلى ولده تفاوتاً، فنحن نوردها برواية محمد بن يعقوب الكليني، فهو أجمل وأفضل فيما قصدناه.

فذكر محمد بن يعقوب الكليني في كتاب (الرسائل) باسناده إلى أبي جعفر بن عنبسه، عن عباد بن زياد الأسدي، عن عمر بن أبي المقدام، عن أبي جعفر عليه السلام: «قال لما أقبل أميرالمؤمنين غليه السلام من صفين كتب إلى ابنه الحسن عليه السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

مِنَ ٱلْوَالِدِ ٱلْفَانِ. ٱلْمُقِرِّ لِلزَّمَانِ[2]، ٱلْمُدْبِرِ ٱلْعُمُرِ، ٱلْمُسْتَسْلِمِ لِلدَّهْرِ. ٱلذَّامِّ

---

١ ـ أثبتنا هذه الرسالة ومايتعلق بها من تحريك الكلمات وشرحها من كتاب (نهج البلاغه) شرح الشيخ محمد عبده: ٥٥٣.

٢ ـ المعترف له بالشدة.

لِلدُّنْيَا، ٱلسَّاكِنِ مَسَاكِنَ ٱلْمَوْتَى. وَٱلظَّاعِنِ عَنْهَا غَداً.

إِلَى ٱلْمَوْلُودِ ٱلْمُؤَمِّلِ مَالا يُدْرَكُ [١]، ٱلسَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ، غَرَضِ ٱلْأَسْقَامِ وَرَهِينَةِ ٱلْأَيَّامِ. وَرَمِيَّةِ ٱلْمَصَائِبِ [٢]. وَعَبْدِ ٱلدُّنْيَا. وَتَاجِرِ ٱلْغُرُورِ. وَغَرِيمِ ٱلْمَنَايَا. وَأَسِيرِ ٱلْمَوْتِ. وَحَلِيفِ ٱلْهُمُومِ. وَقَرِينِ ٱلْأَحْزَانِ. وَنُصْبِ ٱلْآفَاتِ [٣]. وَصَرِيعِ ٱلشَّهَوَاتِ، وَخَلِيفَةِ ٱلْأَمْوَاتِ.

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ فِيمَا تَبَيَّنْتُ مِنْ إِدْبَارِ ٱلدُّنْيَا عَنِّي وَجُمُوحِ ٱلدَّهْرِ عَلَيَّ [٤] وَإِقْبَالِ ٱلْآخِرَةِ إِلَيَّ مَا يَزَعُنِي عَنْ ذِكْرِ مَنْ سِوَايَ [٥]، وَٱلِاهْتِمَامِ بِمَا وَرَائِي [٦]، غَيْرَ أَنِّي حَيْثُ تَفَرَّدَ بِي دُونَ هُمُومِ ٱلنَّاسِ هَمُّ نَفْسِي، فَصَدَفَنِي رَأْيِي وَصَرَفَنِي عَنْ هَوَايَ [٧]، وَصَرَّحَ لِي مَحْضُ أَمْرِي فَأَفْضَى بِي إِلَى جِدٍّ لَايَكُونُ فِيهِ لَعِبٌ، وَصِدْقٍ لَايَشُوبُهُ كَذِبٌ. وَوَجَدْتُكَ بَعْضِي بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي حَتَّى كَأَنَّ شَيْئاً لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي، وَكَأَنَّ ٱلْمَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي، فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ [٨] مُسْتَظْهِراً بِهِ إِنْ أَنَا بَقِيتُ لَكَ أَوْ فَنِيتُ.

فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ أَيْ بُنَيَّ وَلُزُومِ أَمْرِهِ، وَعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ، وَٱلِاعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ. وَأَيُّ سَبَبٍ أَوْثَقُ مِنْ سَبَبٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱللهِ إِنْ أَنْتَ أَخَذْتَ بِهِ؟

أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ، وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ، وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ،

---

١ - يؤمل البقاء وهو مما لايدركه أحد.

٢ - هدفها ترمي إليه سهامها. والرهينة المرهونة أي أنه في قبضتها وحكمها. والرمية ما اصابه السهم.

٣ - من قولهم فلان نصب عيني بالضم أي لايفارقني. والصريع: الطريح.

٤ - جموح الدهر: استعصاؤه وتغلبه.

٥ - مامفعول تبينت.

٦ - من أمر الآخرة.

٧ - صدفه: صرفه، والضمير في صرفني للرأي. ومحض الأمر: خالصه.

٨ - مفعول كتب هو قوله فاني أوصيك الخ. وقوله مستظهراً به أي مستعينا بما أكتب اليك على ميل قلبك وهوى نفسك.

وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ ٱلْمَوْتِ، وَقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ[١]، وبَصِّرْهُ فَجَائِعَ ٱلدُّنْيَا، وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ ٱلدَّهْرِ وَفُحْشَ تَقَلُّبِ ٱللَّيَالِي وَٱلأَيَّامِ، وَٱعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ ٱلْمَاضِينَ، وَذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ ٱلأَوَّلِينَ، وَسِرْ فِي دِيَارِهِمْ وَآثَارِهِمْ فَانْظُرْ فِيمَا فَعَلُوا وَعَمَّا ٱنْتَقَلُوا وَأَيْنَ حَلُّوا ونَزَلُوا، فإِنَّكَ تَجِدُهُمْ قَدِ ٱنْتَقَلُوا عَنِ ٱلأَحِبَّةِ، وَحَلُّوا دِيَارَ ٱلْغُرْبَةِ، وكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ. فَأَصْلِحْ مَثْوَاكَ ، وَلاَ تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ . وَدعِ ٱلْقَوْلَ فِيمَا لاَ تَعْرِفُ وَٱلْخِطَابَ فِيمَا لَمْ تُكَلَّفْ. وَأَمْسِكْ عَنْ طَرِيقٍ إِذَا خِفْتَ ضَلاَلَتَهُ فَإِنَّ ٱلْكَفَّ عِنْدَ حَيْرَةِ ٱلضَّلاَلِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ ٱلأَهْوَالِ. وَٱمُرْ بِالْمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ، وَأَنْكِرِ ٱلْمُنْكَرَ بِيَدِكَ وَلِسَانِكَ وَبَايِنْ مَنْ فَعَلَهُ بِجُهْدِكَ[٢]. وَجَاهِدْ فِي ٱللهِ حَقَّ جِهَادِهِ وَلاَ تَأْخُذْكَ فِي ٱللهِ لَوْمَةُ لاَئِمٍ. وَخُضِ ٱلْغَمَرَاتِ لِلْحَقِّ حَيْثُ كَانَ[٣]، وَتَفَقَّهْ فِي ٱلدِّينِ، وَعَوِّدْ نَفْسَكَ ٱلتَّصَبُّرَ عَلَى ٱلْمَكْرُوهِ وَنِعْمَ ٱلْخُلُقُ ٱلتَّصَبُّرُ. وَأَلْجِئْ نَفْسَكَ فِي ٱلأُمُورِ كُلِّهَا إِلَى إِلٰهِكَ فَإِنَّكَ تُلْجِئُهَا إِلَى كَهْفٍ حَرِيزٍ[٤]، وَمَانِعٍ عَزِيزٍ. وَأَخْلِصْ فِي ٱلْمَسْأَلَةِ لِرَبِّكَ فَإِنَّ بِيَدِهِ ٱلْعَطَاءَ وَٱلْحِرْمَانَ، وَأَكْثِرِ الإِسْتِخَارَةَ[٥] وَتَفَهَّمْ وَصِيَّتِي وَلاَ تَذْهَبَنَّ عَنْهَا صَفْحاً[٦] فَإِنَّ خَيْرَ ٱلْقَوْلِ مَانَفَعَ. وَٱعْلَمْ أَنَّهُ لاَخَيْرَ فِي عِلْمٍ لاَيَنْفَعُ، وَلاَيُنْتَفَعُ بِعِلْمٍ لاَ يَحِقُّ تَعَلُّمُهُ[٧].

أَيْ بُنَيَّ إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُنِي قَدْ بَلَغْتُ سِنّاً[٨]، وَرَأَيْتُنِي أَزْدَادُ وَهْناً بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ، وَأَوْرَدْتُ خِصَالاً مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِي أَجَلِي دُونَ أَنْ أُفْضِيَ

---

١ ـ اطلب منه الاقرار بالفناء. وبصره أي اجعله بصيراً بالفجائع جمع فجيعة وهي المصيبة تفزع بحلولها.

٢ ـ باين أي باعد وجانب الذي يفعل المنكر.

٣ ـ الغمرات الشدائد.

٤ ـ الكهف الملجأ. والحريز: الحافظ.

٥ ـ الاستخارة أجالة الرأي في الأمر قبل فعله لاختيار أفضل وجوهه.

٦ ـ صفحا أي جانبا أي لا تعرض عنها.

٧ ـ لايحق بكسر الحاء وضمها أي لايكون من الحق كالسحر ونحوه.

٨ ـ أي وصلت النهاية من جهة السن. والوهن: الضعف.

إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي [١]، وَأَنْ أَنْقُصَ فِي رَأْيِي كَمَا نَقَصْتُ فِي جِسْمِي [٢]، أَوْ يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ ٱلْهَوَى وَفِتَنِ ٱلدُّنْيَا [٣]، فَتَكُونَ كَالصَّعْبِ ٱلنَّفُورِ. وَإِنَّمَا قَلْبُ ٱلْحَدَثِ كَالأَرْضِ ٱلْخَالِيَةِ مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبِلَتْهُ. فَبَادَرْتُكَ بِالأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُوَ قَلْبُكَ وَيَشْتَغِلَ لُبُّكَ لِتَسْتَقْبِلَ بِجِدِّ رَأْيِكَ مِنَ ٱلأَمْرِ مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ ٱلتَّجَارِبِ بُغْيَتَهُ وَتَجْرِبَتَهُ [٤]، فَتَكُونَ قَدْ كُفِيتَ مَؤُونَةَ ٱلطَّلَبِ، وَعُوفِيتَ مِنْ عِلاَجِ ٱلتَّجْرِبَةِ، فَأَتَاكَ مِنْ ذٰلِكَ مَا قَدْ كُنَّا نَأْتِيهِ، وَٱسْتَبَانَ لَكَ مَا رُبَّمَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا مِنْهُ [٥].

أَيْ بُنَيَّ إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي، فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ، وَسِرْتُ فِي آثَارِهِمْ حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ. بَلْ كَأَنِّي بِمَا ٱنْتَهَى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذٰلِكَ مِنْ كَدَرِهِ، وَنَفْعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ، فَٱسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَهُ [٦] وَتَوَخَّيْتُ لَكَ جَمِيلَهُ، وَصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَهُ، وَرَأَيْتُ حَيْثُ عَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِي ٱلْوَالِدَ ٱلشَّفِيقَ وَأَجْمَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَدَبِكَ [٧] أَنْ يَكُونَ [٨] ذٰلِكَ وَأَنْتَ مُقْبِلُ ٱلْعُمُرِ وَمُقْتَبَلُ ٱلدَّهْرِ، ذُو نِيَّةٍ سَلِيمَةٍ وَنَفْسٍ صَافِيَةٍ، وَأَنْ أَبْتَدِئَكَ بِتَعْلِيمِ كِتَابِ ٱللهِ وَتَأْوِيلِهِ، وَشَرَائِعِ ٱلإِسْلاَمِ وَأَحْكَامِهِ، وَحَلاَلِهِ وَحَرَامِهِ، لاَ أُجَاوِزُ ذٰلِكَ بِكَ

---

١ ـ أفضي: ألقي اليك.

٢ ـ وان أنقص عطف على أن يعجل.

٣ ـ أي يسبقني بالاستيلاء على قلبك غلبات الأهواء فلا تتمكن نصيحتي من النفوذ الى فؤادك فتكون كالفرس الصعب غير المذلل. والنفور ضد الآنس.

٤ ـ ليكون جد رأيك أي محققه وثابته مستعداً لقبول الحقائق التي وقف عليها أهل. التجارب وكفوك طلبها. والبغية ـ بالكسر ـ الطلب.

٥ ـ استبان: ظهر إذا انضم رأيه إلى آراء أهل التجارب فربما يظهر له مالم يكن ظهر لهم فان رأيه يأتي بأمر جديد لم يكونوا أتوا به.

٦ ـ النخيل: المختار المصفى. وتوخيت أي تحريت.

٧ ـ أجمعت: عزمت عطف على يعني الوالد.

٨ ـ أن يكون مفعول رأيت.

إِلَى غَيْرِهِ[١]. ثُمَّ أَشْفَقْتُ[٢] أَنْ يَلْتَبِسَ عَلَيْكَ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ مِثْلَ الَّذِي الْتَبَسَ عَلَيْهِمْ[٣]، فَكَانَ إِحْكَامُ ذَلِكَ عَلَى مَا كَرِهْتَ مِنْ تَنْبِيهِكَ لَهُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِكَ إِلَى أَمْرٍ لَا آمَنُ عَلَيْكَ بِهِ الْهَلَكَةَ[٤]. وَرَجَوْتُ أَنْ يُوَفِّقَكَ اللهُ فِيهِ لِرُشْدِكَ، وَأَنْ يَهْدِيَكَ لِقَصْدِكَ، فَعَهِدْتُ إِلَيْكَ وَصِيَّتِي هٰذِهِ.

وَاعْلَمْ يَابُنَيَّ أَنَّ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِي تَقْوَى اللهِ وَالِاقْتِصَارُ عَلَى مَا فَرَضَهُ اللهُ عَلَيْكَ، وَالْأَخْذُ بِمَا مَضَى عَلَيْهِ الْأَوَّلُونَ مِنْ آبَائِكَ، وَالصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَدَعُوا أَنْ نَظَرُوا لِأَنْفُسِهِمْ كَمَا أَنْتَ نَاظِرٌ[٥]، وَفَكَّرُوا كَمَا أَنْتَ مُفَكِّرٌ، ثُمَّ رَدَّهُمْ آخِرُ ذَلِكَ إِلَى الْأَخْذِ بِمَا عَرَفُوا وَالْإِمْسَاكِ عَمَّا لَمْ يُكَلَّفُوا. فَإِنْ أَبَتْ نَفْسُكَ أَنْ تَقْبَلَ ذَلِكَ دُونَ أَنْ تَعْلَمَ كَمَا عَلِمُوا فَلْيَكُنْ طَلَبُكَ ذَلِكَ بِتَفَهُّمٍ وَتَعَلُّمٍ، لَا بِتَوَرُّطِ الشُّبُهَاتِ وَغُلُوِّ الْخُصُومَاتِ. وَابْدَأْ قَبْلَ نَظَرِكَ فِي ذَلِكَ بِالِاسْتِعَانَةِ بِإِلٰهِكَ وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ فِي تَوْفِيقِكَ وَتَرْكِ كُلِّ شَائِبَةٍ أَوْلَجَتْكَ فِي شُبْهَةٍ[٦]، أَوْ أَسْلَمَتْكَ إِلَى ضَلَالَةٍ. فَإِذَا أَيْقَنْتَ أَنْ قَدْ صَفَا قَلْبُكَ فَخَشَعَ، وَتَمَّ رَأْيُكَ فَاجْتَمَعَ، وَكَانَ هَمُّكَ فِي ذَلِكَ هَمّاً وَاحِداً فَانْظُرْ فِيمَا فَسَّرْتُ لَكَ. وَإِنْ أَنْتَ لَمْ يَجْتَمِعْ لَكَ مَا تُحِبُّ مِنْ نَفْسِكَ، وَفَرَاغِ نَظَرِكَ وَفِكْرِكَ فَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا تَخْبِطُ الْعَشْوَاءَ[٧]، وَتَوَرَّطُ الظَّلْمَاءَ. وَلَيْسَ طَالِبُ الدِّينِ مَنْ خَبَطَ أَوْ

---

١ ـ لا أتعدى بك كتاب الله إلى غيره بل أقف بك عنده.

٢ ـ أشفقت أي خشيت وخفت.

٣ ـ مثل صفة لمفعول مطلق محذوف أي التباسا مثل الذي كان لهم.

٤ ـ أي أنك وان كنت تكره أن ينبهك أحد لماذكرت لك فاني أعد اتقان التنبيه على كراهتك له أحب إلي من اسلامك أي القائك إلى أمر تخشى عليك به الهلكة.

٥ ـ لم يتركوا النظر لأنفسهم في أول امرهم بعين لا ترى نقصا ولا تحذر خطراً ثم ردتهم الآم التجربة إلى الأخذ بما عرفوا حسن عاقبته وامساك أنفسهم عن عمل لم يكلفهم الله اتيانه.

٦ ـ الشائبة مايشوب الفكر من شك وحيرة. وأولجتك: أدخلتك.

٧ ـ العشواء الضعيفة البصر أي تخبط خبط عشواء لا تأمن أن تسقط فيما لاخلاص منه. وتورط الأمر: دخل فيه على صعوبة في التخلص منه.

خَلَطٍ، وَٱلْإِمْسَاكُ عَنْ ذَلِكَ أَمْثَلُ[١].

فَتَفَهَّمْ يَابُنَيَّ وَصِيَّتِي، وَٱعْلَمْ أَنَّ مَالِكَ ٱلْمَوْتِ هُوَ مَالِكُ ٱلْحَيَاةِ، وَأَنَّ ٱلْخَالِقَ هُوَ ٱلْمُمِيتُ، وَأَنَّ ٱلْمُفْنِيَ هُوَ ٱلْمُعِيدُ، وَأَنَّ ٱلْمُبْتَلِيَ هُوَ ٱلْمُعَافِي، وَأَنَّ ٱلدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ لِتَسْتَقِرَّ إِلاَّ عَلَى مَا جَعَلَهَا ٱللهُ عَلَيْهِ مِنَ ٱلنَّعْمَاءِ[٢]، وَٱلِابْتِلاَءِ، وَٱلْجَزَاءِ فِي ٱلْمَعَادِ أَوْ مَاشَاءَ مِمَّا لاَ نَعْلَمُ، فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ ذَٰلِكَ فَاحْمِلْهُ عَلَى جَهَالَتِكَ بِهِ فَإِنَّكَ أَوَّلُ مَاخُلِقْتَ خُلِقْتَ جَاهِلاً ثُمَّ عَلِمْتَ. وَمَا أَكْثَرَ مَا تَجْهَلُ مِنَ ٱلْأَمْرِ وَيَتَحَيَّرُ فِيهِ رَأْيُكَ وَيَضِلُّ فِيهِ بَصَرُكَ، ثُمَّ تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَاعْتَصِمْ بِالَّذِي خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ وَسَوَّاكَ، وَلْيَكُنْ لَهُ تَعَبُّدُكَ وَإِلَيْهِ رَغْبَتُكَ وَمِنْهُ شَفَقَتُكَ[٣].

وَٱعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَداً لَمْ يُنْبِئْ عَنِ ٱللهِ كَمَا أَنْبَأَ عَنْهُ ٱلرَّسُولُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. فَارْضَ بِهِ رَائِداً[٤]، وَإِلَى ٱلنَّجَاةِ قَائِداً، فَإِنِّي لَمْ آلُكَ نَصِيحَةً[٥]. وَإِنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ فِي ٱلنَّظَرِ لِنَفْسِكَ -وَإِنِ ٱجْتَهَدْتَ- مَبْلَغَ نَظَرِي لَكَ.

وَٱعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لَأَتَتْكَ رُسُلُهُ، وَلَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَلَعَرَفْتَ أَفْعَالَهُ وَصِفَاتِهِ، وَلٰكِنَّهُ إِلٰهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ. لاَيُضَادُّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ، وَلاَيَزُولُ أَبَداً. وَلَمْ يَزَلْ أَوَّلَ قَبْلَ ٱلْأَشْيَاءِ بِلاَ أَوَّلِيَّةٍ[٦]، وَآخِرَ بَعْدَ ٱلْأَشْيَاءِ بِلاَنِهَايَةٍ. عَظُمَ عَنْ أَنْ تَثْبُتَ رُبُوبِيَّتُهُ بِإِحَاطَةِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ. فَإِذَا عَرَفْتَ ذٰلِكَ فَافْعَلْ كَمَا يَنْبَغِي لِمِثْلِكَ أَنْ يَفْعَلَهُ فِي صِغَرِ خَطَرِهِ[٧]، وَقِلَّةِ مَقْدِرَتِهِ،

---

١ ـ حبس النفس عن الخلط والخبط في الدين أحسن.

٢ ـ لا تثبت الدنيا إلا على ماأودع الله في طبيعتها من التلون بالنعماء تارة والاختيار بالبلاء تارة واعقابها للجزاء في المعاد يوم القيامة على الخير خيراً وعلى الشر شراً.

٣ ـ شفقتك أي خوفك.

٤ ـ الرائد من ترسله في طلب الكلأ ليتعرف موقعه. والرسول قد عرف عن الله وأخبرنا فهو رائد سعادتنا.

٥ ـ لم أقصر في نصيحتك.

٦ ـ فهو أول بالنسبة إلى الأشياء لكونه قبلها إلا انه لاأولية أي لاابتداء له.

٧ ـ خطره أي قدره.

وَكَثْرَةِ عَجْزِهِ؛ وَعَظِيمِ حاجَتِهِ إلَى رَبِّهِ فِي طَلَبِ طَاعَتِهِ، وَٱلرَّهْبَةِ مِنْ عُقُوبَتِهِ، وَٱلشَّفَقَةِ مِنْ سُخْطِهِ. فَإِنَّهُ لَمْ يَأْمُرْكَ إلاّ بِحَسَنٍ وَلَمْ يَنْهَكَ إلاّ عَنْ قَبِيحٍ.

يَابُنَيَّ إنِّي قَدْ أَنْبَأْتُكَ عَنِ ٱلدُّنْيَا وَحَالِهَاوَزَوَالِهَا وَٱنْتِقَالِهَا، وَأَنْبَأْتُكَ عَنِ الآخِرَةِ وَمَا أُعِدَّ لأَهْلِهَا فِيهَا، وَضَرَبْتُ لَكَ فِيهِمَا ٱلأَمْثَالَ لِتَعْتَبِرَ بِهَا وَتَحْذُوَ عَلَيْهَا. إنَّما مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيَا[1] كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفْرٍ نَبَا بِهِمْ مَنْزِلٌ جَدِيبٌ فَأَمُّوا مَنْزِلاً خصيباً وَجَناباً مَرِيعاً، فاحْتَمَلُوا وَعْثَاءَ ٱلطَّرِيقِ[2] وَفِرَاقَ ٱلصَّدِيقِ، وَخُشُونَةَ ٱلسَّفَرِ، وَجُشُوبَةَ ٱلمَطْعَمِ لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ وَمَنْزِلَ قَرَارِهِم، فَلَيْسَ يَجِدُونَ لِشَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ أَلَماً، وَلاَ يَرَوْنَ نَفَقَةً مَغْرَماً، وَلاَشَيْءَ أَحَبُّ إلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ، وَأَدْنَاهُمْ مِنْ مَحَلِّهِمْ.

وَمَثَلُ مَنِ ٱغْتَرَّ بِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا بِمَنْزِلٍ خَصِيبٍ فَنَبَا بِهِمْ إلَى مَنْزِلٍ جَدِيبٍ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إلَيْهِمْ وَلاَ أَفْظَعَ عِنْدَهُمْ مِنْ مُفَارَقَةِ مَا كَانُوافِيهِإلَى مَا يَهْجُمُونَ عَلَيْهِ[3] وَيَصِيرُونَ إلَيْهِ.

يَا بُنَيَّ ٱجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ، فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَٱكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، وَلاَ تَظْلِمْ كَمَا لاَ تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إلَيْكَ. وَٱسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُ مِنْ غَيْرِكَ، وَٱرْضَ مِنَ ٱلنَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ[4]. وَلاَ تَقُلْ مَالاَ تَعْلَمُ وَإنْ قَلَّ مَا تَعْلَمُ، وَلاَ تَقُلْ مَا لاَ تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ.

---

١ ـ خبر الدنيا: عرفها كما هي بامتحان أحوالها. والسفر ـ فتح فسكون ـ المسافرون. ونبا المنزل بأهله: لم يوافقهم المقام فيه لوخامته. والجديب: المقحط لاخير فيه. وأموا: قصدوا. والجناب: الناحية. والمريع ـ بفتح فكسر ـ كثير العشب.

٢ ـ وعثاء السفر: مشقته. والجشوبة ـ بضم الجيم ـ: الغلظ، أو كون الطعام بلا أدم.

٣ ـ هجم عليه: انتهى اليه بغتة.

٤ ـ اذا عاملوك بمثل ماتعاملهم فارض بذلك ولا تطلب منهم أزيد مما تقدم لهم.

وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلإِعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ وَآفَةُ ٱلأَلْبَابِ[١]. فَاسْعَ فِي كَدْحِكَ[٢] وَلاَ تَكُنْ خَازِناً لِغَيْرِكَ[٣]. وَإِذَا أَنْتَ هُدِيتَ لِقَصْدِكَ فَكُنْ أَخْشَعَ مَاتَكُونُ لِرَبِّكَ.

وَٱعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ طَرِيقاً ذَا مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ[٤] وَمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ. وَأَنَّهُ لاَغِنَى لَكَ فِيهِ عَنْ حُسْنِ الاِرْتِيَادِ[٥]. قَدِّرْ بَلاَغَكَ مِنَ ٱلزَّادِ مَعَ خِفَّةِ ٱلظَّهْرِ. فَلاَ تَحْمِلَنَّ عَلَى ظَهْرِكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ فَيَكُونَ ثِقْلُ ذٰلِكَ وَبَالاً عَلَيْكَ. وَإِذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ ٱلْفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ فَيُوَافِيكَ بِهِ غَداً حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَاغْتَنِمْهُ وَحَمِّلْهُ إِيَّاهُ[٦]. وَأَكْثِرْ مِنْ تَزْوِيدِهِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلاَ تَجِدُهُ وَاغْتَنِمْ مَنِ ٱسْتَقْرَضَكَ فِي حَالِ غِنَاكَ لِيَجْعَلَ قَضَاءَهُ لَكَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِكَ.

وَٱعْلَمْ أَنَّ أَمامك عقبةً كَؤُوداً[٧]، ٱلْمُخِفُّ فِيهَا أَحْسَنُ حَالاً مِنَ ٱلْمُثْقِلِ، وَٱلْمُبْطِئُ عَلَيْهَا أَقْبَحُ حَالاً مِنَ ٱلْمُسْرِعِ، وَأَنَّ مَهْبِطَكَ بِهَا لاَمَحَالَةَ عَلَى جَنَّةٍ أَوْ عَلَى نَارٍ. فَارْتَدْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ نُزُولِكَ[٨] وَوَطِّئِ ٱلْمَنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِكَ، فَلَيْسَ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ[٩]، وَلاَ إِلَى ٱلدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ. وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي ٱلدُّعَاءِ وَتَكَفَّلَ لَكَ بِالإِجَابَةِ، وَأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ وَتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُهُ عَنْكَ،

---

١ ـ الاعجاب: استحسان مايصدر عن النفس مطلقاً وهو خلق من أعظم الأخلاق مصيبة على صاحبه، ومن أشد الآفات ضرراً لقلبه.

٢ ـ الكدح: أشد السعي.

٣ ـ لاتحرص على جمع المال ليأخذه الوارثون بعدك بل انفق فيما يجلب رضاء الله عنك.

٤ ـ هو طريق السعادة الأبدية.

٥ ـ الارتياد: الطلب. وحسنه: اتيانه من وجهه. والبلاغ ـ بالفتح ـ: الكفاية.

٦ ـ الفاقة: الفقر، واذا أسعفت الفقراء بالمال كان أجر الاسعاف وثوابه ذخيرة تنالها في القيامة، فكأنهم حملوا عنك زاداً يبلغك موطن سعادتك يؤدونه اليك وقت الحاجة. وهذا الكلام من أفصح ماقيل في الحث على الصدقة.

٧ ـ صعبة المرتقى. والمخف ـ بضم فكسر ـ: الذي خفف حمله، والمثقل بعكسه، وهو من أثقل ظهره بالأوزار.

٨ ـ أبعث رائداً من طيبات الأعمال توقفك الثقة به على جودة المنزل.

٩ ـ المستعتب والمنصرف مصدران، والاستعتاب: الاسترضاء، والانصراف إلى الدنيا بعد الموت حتى يمكن استرضاء الله بعد اغضابه باستئناف العمل.

وَلَمْ يُلْجِئْكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَمْنَعْكَ إِنْ أَسَأْتَ مِنَ ٱلتَّوْبَةِ، وَلَمْ يُعَاجِلْكَ بِالنِّقْمَةِ، وَلَمْ يُعَيِّرْكَ بِالإِنَابَةِ[١] وَلَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ ٱلْفَضِيحَةُ بِكَ أَوْلَى، وَلَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَبُولِ ٱلإِنَابَةِ، وَلَمْ يُنَاقِشْكَ بِالْجَرِيمَةِ، وَلَمْ يُؤْيِسْكَ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ. بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ عَنِ ٱلذَّنْبِ حَسَنَةً[٢]، وَحَسَبَ سَيِّئَتَكَ وَاحِدَةً، وَحَسَبَ حَسَنَتَكَ عَشْراً، وَفَتَحَ لَكَ بَابَ ٱلْمَتَابِ. فَإِذَا نَادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاءَكَ، وَإِذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ[٣] فَأَفْضَيْتَ إِلَيْهِ بِحَاجَتِكَ[٤]، وَأَبْثَثْتَهُ ذَاتَ نَفْسِكَ، وَشَكَوْتَ إِلَيْهِ هُمُومَكَ، وَٱسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبَكَ[٥]، وَٱسْتَعَنْتَهُ عَلَى أُمُورِكَ، وَسَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لاَ يَقْدِرُ عَلَى إِعْطَائِهِ غَيْرُهُ مِنْ زِيَادَةِ ٱلأَعْمَارِ وَصِحَّةِ ٱلأَبْدَانِ وَسَعَةِ ٱلأَرْزَاقِ. ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ بِمَا أَذِنَ لَكَ مِنْ مَسْأَلَتِهِ، فَمَتَى شِئْتَ ٱسْتَفْتَحْتَ بِالدُّعَاءِ أَبْوَابَ نِعْمَتِهِ، وَٱسْتَمْطَرْتَ شَآبِيبَ رَحْمَتِهِ[٦]. فَلاَ يُقَنِّطَنَّكَ إِبْطَاءُ إِجَابَتِهِ[٧] فَإِنَّ ٱلْعَطِيَّةَ عَلَى قَدْرِ ٱلنِّيَّةِ. وَرُبَّمَا أُخِّرَتْ عَنْكَ ٱلإِجَابَةُ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَعْظَمَ لأَجْرِ ٱلسَّائِلِ وَأَجْزَلَ لِعَطَاءِ ٱلآمِلِ. وَرُبَّمَا سَأَلْتَ ٱلشَّيْءَ فَلاَ تُؤْتَاهُ وَأُوتِيتَ خَيْراً مِنْهُ عَاجِلاً أَوْ آجِلاً، أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ. فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلاَكُ دِينِكَ لَوْ أُوتِيتَهُ. فَلْتَكُنْ مَسْأَلَتُكَ فِيمَا يَبْقَى لَكَ جَمَالُهُ وَيُنْفَى عَنْكَ وَبَالُهُ. فَالْمَالُ لاَ يَبْقَى لَكَ وَلاَ تَبْقَى لَهُ.

وَٱعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلآخِرَةِ لاَ لِلدُّنْيَا، وَلِلْفَنَاءِ لاَ لِلْبَقَاءِ، وَلِلْمَوْتِ لاَ لِلْحَيَاةِ، وَأَنَّكَ فِي مَنْزِلِ قُلْعَةٍ[٨]، وَدَارِ بُلْغَةٍ، وَطَرِيقٍ إِلَى ٱلآخِرَةِ، وَأَنَّكَ طَرِيدُ

١ - الانابة: الرجوع إلى الله، يعير الراجع إليه برجوعه.

٢ - نزوعك: رجوعك.

٣ - المناجاة: المكالمة سراً. والله يعلم السر كما يعلم العلن.

٤ - أفضيت: ألقيت. وأبثثته: كاشفته. وذات النفس: حالتها.

٥ - طلبت كشفها.

٦ - الشؤبوب -بالضم-: الدفعة من المطر، وماأشبه رحمة الله بالمطر ينزل على الأرض الموات فيحييها، وماأشبه نوباتها بدفعات المطر.

٧ - القنوط: اليأس.

٨ - قلعة -بضم القاف وسكون اللام، وبضمتين، وبضم ففتح، يقال منزل قلعة أي لايملك لنازله، أولايدري ←

ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِي لاَيَنْجُو مِنْهُ هَارِبُهُ، وَلاَبُدَّ أَنَّهُ مُدْرِكُهُ، فَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ أَنْ يُدْرِكَكَ وَأَنْتَ عَلَى حَالٍ سَيِّئَةٍ قَدْكُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مِنْهَا بِالتَّوْبَةِ فَيَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذٰلِكَ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ.

يَابُنَيَّ أَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ ٱلْمَوْتِ وَذِكْرِ مَاتَهْجُمُ عَلَيْهِ وَتُفْضِي بَعْدَ ٱلْمَوْتِ إِلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَكَ وَقَدْ أَخَذْتَ مِنْهُ حِذْرَكَ [١]، وَشَدَدْتَ لَهُ أَزْرَكَ، وَلاَ يَأْتِيكَ بَغْتَةً فَيَبْهَرَكَ [٢]. وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ إِخْلاَدِ أَهْلِ ٱلدُّنْيَا إِلَيْهَا [٣]، وَتَكَالُبِهِمْ عَلَيْهَا، فَقَدْنَبَّأَكَ ٱللهُ عَنْهَا، وَنَعَتْ لَكَ نَفْسَهَا [٤]، وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا، فَإِنَّمَا أَهْلُهَا كِلاَبٌ عَاوِيَةٌ، وَسِبَاعٌ ضَارِيَةٌ، يَهِرُّ بَعْضُهَا بَعْضاً [٥]، وَيَأْكُلُ عَزِيزُهَا ذَلِيلَهَا، وَيَقْهَرُ كَبِيرُهَا صَغِيرَهَا. نَعَمٌ مُعَقَّلَةٌ [٦]، وَأُخْرَى مُهْمَلَةٌ قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَهَا [٧] وَرَكِبَتْ مَجْهُولَهَا، سُرُوحُ عَاهَةٍ [٨] بِوَادٍ وَعْثٍ. لَيْسَ لَهَا رَاعٍ يُقِيمُهَا، وَلاَيُسِيمُهَا [٩]. سَلَكَتْ بِهِمُ ٱلدُّنْيَا طَرِيقَ ٱلْعَمَى، وَأَخَذَتْ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْ مَنَارِ ٱلْهُدَى، فَتَاهُوا فِي حَيْرَتِهَا، وَغَرِقُوا فِي نِعْمَتِهَا، وَٱتَّخَذُوهَا رَبّاً فَلَعِبَتْ بِهِمْ وَلَعِبُوا بِهَا وَنَسُوا مَاوَرَاءَهَا.

رُوَيْداً يُسْفِرُ ٱلظَّلاَمَ [١٠]! كَأَنْ قَدْ وَرَدَتِ ٱلْأَظْعَانُ [١١]. يُوشِكُ مَنْ أَسْرَعَ أَنْ

متى ينتقل عنه. والبلغة: الكناية أي دار تؤخذ منها الكفاية للآخرة.

١ - الحذر - بالكسر - الاحتراز والاحتراس. والازر - بالفتح -: القوة.

٢ - بهر - كمنع - غلب، أي يغلبك على أمرك.

٣ - إخلاد أهل الدنيا: سكونهم اليها. والتكالب: التواثب.

٤ - نعاه: أخبر بموته. والدنيا تخبر بحالها عن فنائها.

٥ - ضارية: مولعة بالافتراس. يهر - بكسر الهاء وضمها -: أي يمقت ويكره بعضها بعضاً.

٦ - عقل البعير - بالتشديد -: شد وظيفه الى ذراعه. والنعم - بالتحريك - الابل، أي ابل منعها عن الشر عقالها وهم الضعفاء، وأخرى مهملة تأتي من السوء ماتشاء وهم الأقوياء.

٧ - أضلت: أضاعت عقولها وركبت طريقها المجهول لها.

٨ - السروح - الضم -: جمع سرح بفتح فسكون وهو المال السائم من ابل ونحوها. والعاهة: الآفة، أي أنهم يسرحون لرعي الآفات وادي المتاعب. والوعث: الرخو يصعب السير فيه.

٩ - أسام الدابة: سرحها إلى المرعى.

١٠ - يسفر أي يكشف ظلام الجهل عما خفي من الحقيقة عند انجلاء الغفلة بحلول المنية.

١١ - الأظعان - جمع ظعينة -: وهو الهودج تركب فيه المرأة، عبّر به عن المسافرين في طريق الدنيا الى الآخرة كأن

يَلْحَق. وَٱعْلَمْ أَنَّ مَنْ كَانَتْ مَطِيَّتُهُ ٱللَّيلَ وَٱلنَّهارَ فَإنَّهُ يُسارُ بِهِ وَإِنْ كَانَ وَاقِفاً، وَيَقْطَعُ ٱلْمَسَافَةَ وَإِنْ كَانَ مُقِيماً وَادِعاً[١].

وَٱعْلَمْ يَقِيناً أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمَلَكَ وَلَنْ تَعْدُوَ أَجَلَكَ، وَأَنَّكَ فِي سَبِيلِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ. فَخَفِّضْ فِي ٱلطَّلَبِ[٢]، وَأَجْمِلْ فِي ٱلْمُكْتَسَبِ فَإِنَّهُ رُبَّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلَى حَرَبٍ[٣]. فَلَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمَرْزُوقٍ، وَلاَ كُلُّ مُجْمِلٍ بِمَحْرُومٍ. وَأَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ وَإِنْ سَاقَتْكَ إِلَى ٱلرَّغَائِبِ فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبْذُلُ مِنْ نَفْسِكَ عِوَضاً[٤]، وَلاَ تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللهُ حُرّاً. وَمَا خَيْرُ خَيْرٍ لاَيُنَالُ إِلاَّ بِشَرٍّ[٥]، وَيُسْرٍ لاَيُنَالُ إِلاَّ بِعُسْرٍ[٦].

وَإِيَّاكَ أَنْ تُوجِفَ بِكَ مَطَايَا ٱلطَّمَعِ[٧]، فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ ٱلْهَلَكَةِ. وَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَنْ لاَيَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ ذُو نِعْمَةٍ فَافْعَلْ. فَإِنَّكَ مُدْرِكٌ قِسْمَكَ وَآخِذٌ سَهْمَكَ. وَإِنَّ ٱلْيَسِيرَ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ أَعْظَمُ وَأَكْرَمُ مِنَ ٱلْكَثِيرِ مِنْ خَلْقِهِ وَإِنْ كَانَ كُلٌّ مِنْهُ.

وَتَلاَفِيكَ مَا فَرَطَ مِنْ صَمْتِكَ أَيْسَرُ مِنْ إِدْرَاكِكَ مَا فَاتَ مِنْ مَنْطِقِكَ[٨]،

حالهم أن وردوا على غاية سيرهم.

١ ـ الوادع: الساكن المستريح.

٢ ـ خفض: أمر من خفض ـ بالتشديد ـ أي رفق. وأجمل في كسبه، أي سعى سعياً جيلاً لايحرص فيمنع الحق ولايطمع فيتناول ماليس بحق.

٣ ـ الحرب ـ بالتحريك ـ: سلب المال.

٤ ـ ان رغائب المال انما تطلب لصون النفس عن الابتذال، فلو بذل باذل نفسه لتحصيل المال فقد ضيع ما هو المقصود من المال فكان جمع المال عبثا ولاعوض لماضيع.

٥ ـ يريد أي خير في شئ سماه الناس خيراً وهو مما لايناله الانسان الا بالشر، فان كان طريقه شراً فكيف يكون هو خيراً.

٦ ـ ان العسر الذي يخشاه الانسان هو مايضطره لرذيل الفعال فهو يسعى كل جهده ليتحامى الوقوع فيه فان جعل الرذائل وسيلة لكسب اليسر أي السعة فقد وقع أول الأمر فيا يهرب منه فا الفائدة في يسره وهو لايحميه من النقيصة.

٧ ـ توجف: تسرع. والمناهل ماترده الابل ونحوها للشرب.

٨ ـ التلافي: التدارك لاصلاح مافسد أو كاد. وما فرط أي قصر عن افادة الغرض أو انالة الوطر. وادراك ما

وحِفظُ مَافي ٱلْوِعَاءِ بِشَدِّ ٱلْوِكَاءِ. وَحِفظُ مَا فِي يَدَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ طَلَبِ مَا فِي يَدِ غَيْرِكَ [١]. وَمَرَارَةُ ٱلْيَأْس خَيْرٌ مِنَ ٱلطَّلَبِ إِلَى ٱلنَّاسِ. وَٱلْحِرْفَةُ مَعَ ٱلْعِفَّةِ خَيْرٌ مِنَ ٱلْغِنَى مَعَ ٱلْفُجُورِ. وَٱلْمَرْءُ أَحْفَظُ لِسِرِّهِ [٢]. وَرُبَّ سَاعٍ فِيمَا يَضُرُّهُ [٣]. مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ [٤]. وَمَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ. قَارِنْ أَهْلَ ٱلْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ. وَبَايِنْ أَهْلَ ٱلشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ. بِئْسَ ٱلطَّعَامُ ٱلْحَرَامُ. وَظُلْمُ ٱلضَّعِيفِ أَفْحَشُ ٱلظُّلْمِ. إِذَا كَانَ ٱلرِّفْقُ خُرْقاً كَانَ ٱلْخُرْقُ رِفْقاً [٥]. رُبَّمَا كَانَ ٱلدَّوَاءُ دَاءً. وَرُبَّمَا نَصَحَ غَيْرُ ٱلنَّاصِحِ وَغَشَّ ٱلْمُسْتَنْصَحُ [٦]. وَإِيَّاكَ وَٱتِّكَالَكَ عَلَى ٱلْمُنَى فَإِنَّهَا بَضَائِعُ ٱلْمَوْتَى [٧]، وَٱلْعَقْلُ حِفْظُ ٱلتَّجَارِبِ. وَخَيْرُ مَا جَرَّبْتَ مَا وَعَظَكَ [٨]. بَادِرِ ٱلْفُرْصَةَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ غُصَّةً. لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ يُصِيبُ، وَلاَ كُلُّ غَائِبٍ يَؤُوبُ. وَمِنَ ٱلْفَسَادِ إِضَاعَةُ ٱلزَّادِ [٩] وَمَفْسَدَةُ ٱلْمَعَادِ. وَلِكُلِّ أَمْرٍ عَاقِبَةٌ. سَوْفَ يَأْتِيكَ مَاقُدِّرَ لَكَ. ٱلتَّاجِرُ مُخَاطِرٌ. وَرُبَّ يَسِيرٍ أَنْمَى مِنْ كَثِيرٍ. لاَخَيْرَ فِي مُعِينٍ مَهِينٍ [١٠] وَلاَفِي صَدِيقٍ

فات هو اللحاق به لأجل استرجاعه، وفات أي سبق إلى غير صواب وسابق الكلام لايدرك فيسترجع بخلاف مقصر السكوت فسهل تداركه، وإنّما يحفظ الماء في القربة مثلا بشد وكائها أي رباطها، وإن لم يشد الوكاء صب ما في الوعاء ولم يكن إرجاعه فكذلك اللسان.

١ ـ ارشاد للاقتصاد في المال.

٢ ـ فالأولى عدم اباحته لشخص آخر والا فشا.

٣ ـ قد يسعى الانسان بقصد فائدته فينقلب سعيه بالضرر عليه لجهله أو سوء قصده.

٤ ـ أهجر إهجاراً وهجراً بالضم: هذا في كلامه. وكثير الكلام لايخلو من الاهجار.

٥ ـ إذا كان المقام يلزمه العنف فيكون إبداله بالرفق عنفاً ويكون العنف من الرفق، وذلك كمقام التأديب وإجراء الحدود مثلا. والخرق ـ بالضم ـ: العنف.

٦ ـ المستنصح ـ اسم مفعول ـ المطلوب منه النصح فيلزم التفكر والتروي في جميع الأحوال لئلا يروج غش أو تنبذ نصيحة.

٧ ـ المنى: جمع منية ـ بضم فسكون ـ مايتمناه الشخص لنفسه ويعلل نفسه باحتمال الوصول إليه، وهي بضائع الموتى لأن المتجر بها يموت ولايصل إلى شئ، فان تمنيت فاعمل لأمنيتك.

٨ ـ أفضل التجربة مازجرت عن سيئة وحملت على حسنة وذلك الموعظة.

٩ ـ زاد الصالحات والتقوى، أو المراد إضاعة المال مع مفسدة المعاد بالاسراف في الشهوات وهو أظهر.

١٠ ـ مهين إما بفتح الميم بمعنى حقير فان الحقير لايصلح لأن يكون معينا، أو بضمها بمعنى فاعل الاهانة فيعينك ويهينك فيفسد مايصلح. والظنين بالظاء. المتهم: وبالضاد البخيل.

ظَنِين. سَاهِلِ ٱلدَّهْرَ مَا ذَلَّ لَكَ قَعُودُهُ[١]. وَلاَ تُخَاطِرْ بِشَيْءٍ رَجَاءَ أَكْثَرَ مِنْهُ. وَإِيَّاكَ أَنْ تَجْمَحَ بِكَ مَطِيَّةُ ٱللَّجَاجِ[٢]. ٱحْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ عِنْدَ صَرْمِهِ عَلَى ٱلصِّلَةِ[٣]، وَعِنْدَ صُدُودِهِ عَلَى ٱللُّطْفِ وَٱلْمُقَارَبَةِ، وَعِنْدَ جُمُودِهِ عَلَى ٱلْبَذْلِ[٤]، وَعِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَى ٱلدُّنُوِّ، وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَى ٱللِّينِ، وَعِنْدَ جُرْمِهِ عَلَى ٱلْعُذْرِ حَتَّى كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ وَكَأَنَّهُ ذُو نِعْمَةٍ عَلَيْكَ. وَإِيَّاكَ أَنْ تَضَعَ ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ أَوْ أَنْ تَفْعَلَهُ بِغَيْرِ أَهْلِهِ. لاَ تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقِكَ صَدِيقاً فَتُعَادِيَ صَدِيقَكَ. وَٱمْحَضْ أَخَاكَ ٱلنَّصِيحَةَ حَسَنَةً كَانَتْ أَوْ قَبِيحَة. وَتَجَرَّعِ ٱلْغَيْظَ فَإِنِّي لَمْ أَرَ جُرْعَةً أَحْلَى مِنْهَا عَاقِبَةً وَلاَ أَلَذَّ مَغَبَّةً[٥]. وَلِمَنْ غَالَظَكَ[٦] فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَلِينَ لَكَ. وَخُذْ عَلَى عَدُوِّكَ بِالْفَضْلِ فَإِنَّهُ أَحْلَى ٱلظَّفَرَيْنِ[٧] وَإِنْ أَرَدْتَ قَطِيعَةَ أَخِيكَ فَاسْتَبْقِ لَهُ مِنْ نَفْسِكَ بَقِيَّةً تَرْجِعُ إِلَيْهَا إِنْ بَدَا لَهُ ذَلِكَ يَوْماً ما[٨]. وَمَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْراً فَصَدِّقْ ظَنَّهُ[٩]. وَلاَ تُضِيعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ ٱتِّكَالاً عَلَى مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّهُ وَلاَ يَكُنْ أَهْلُكَ أَشْقَى ٱلْخَلْقِ بِكَ. وَلاَ تَرْغَبَنَّ فِيمَنْ زَهِدَ فِيكَ. وَلاَ يَكُونَنَّ أَخُوكَ أَقْوى عَلَى قَطِيعَتِكَ مِنْكَ عَلَى صِلَتِهِ[١٠] وَلاَ تَكُونَنَّ عَلَى ٱلْإِسَاءَةِ أَقْوى مِنْكَ عَلَى ٱلْإِحْسَانِ، وَلاَ يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ ظُلْمُ مَنْ ظَلَمَكَ فَإِنَّهُ

---

١ - القعود بالفتح من الابل مايقتعده الراعي في كل حاجته، ويقال للبكر إلى أن يثني وللفصيل، أي ساهل الدهر مادام منقاداً وخذ حظك من قياده.

٢ - اللجاج -بالفتح-: الخصومة أي أحذرك من أن تغلبك الخصومات فلا تملك نفسك من الوقوع في مضارها.

٣ - صرمه: قطيعته، أي الزم نفسك بصلة صديقك إذا قطعك الخ.

٤ - جموده: بخله.

٥ - المغبة -بفتحتين ثم باء مشددة- بمعنى العاقبة، وكظم الغيظ وإن صعب على النفس في وقته إلا أنها تجد لذته عند الافاقة من الغيظ، فللعفو لذة إن كان في محله، وللخلاص من الضرر المعقب لفعل الغضب لذة أخرى.

٦ - لن أمر من اللين ضد الغلظ والخشونة.

٧ - ظفر الانتقام التملك بالاحسان، والثاني أحلى وأربح فائدة.

٨ - بقية من الصلة يسهل لك معها الرجوع إليه إذا ظهر له حسن العودة.

٩ - صدقه بلزوم ماظن بك من الخير.

١٠ - مراده إذا أتى أخوك بأسباب القطيعة فقابلها بموجبات الصلة حتى تغلبه ولا يصح أن يكون أقدر على مايوجب القطيعة منك على مايوجب الصلة، وهذا أبلغ قول في لزوم حفظ الصداقة.

يَسْعَى فِي مَضَرَّتِهِ وَنَفعِكَ. وَلَيْسَ جَزَاءُ مَنْ سَرَّكَ أَنْ تَسُوءَهُ.

وَٱعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ ٱلرِّزْقَ رِزْقَانِ: رِزْقٌ تَطْلُبُهُ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ. مَا أَقْبَحَ ٱلْخُضُوعَ عِنْدَ ٱلْحَاجَةِ وَٱلْجَفَاءَ عِنْدَ ٱلْغِنَى؟ إِنَّ لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ مَا أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْوَاكَ [١]. وَإِنْ جَزِعْتَ عَلَى مَا تَفَلَّتَ مِنْ يَدَيْكَ [٢] فَاجْزَعْ عَلَى كُلِّ مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ. اسْتَدِلَّ عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ بِمَا قَدْ كَانَ. فَإِنَّ ٱلْأُمُورَ أَشْبَاهٌ. وَلَا تَكُونَنَّ مِمَّنْ لَا تَنْفَعُهُ ٱلْعِظَةُ إِلَّا إِذَا بَالَغْتَ فِي إِيلَامِهِ، فَإِنَّ ٱلْعَاقِلَ يَتَّعِظُ بِالْآدَابِ وَٱلْبَهَائِمَ لَا تَتَّعِظُ إِلَّا بِالضَّرْبِ. اطْرَحْ عَنْكَ وَارِدَاتِ ٱلْهُمُومِ بِعَزَائِمِ ٱلصَّبْرِ وَحُسْنِ ٱلْيَقِينِ. مَنْ تَرَكَ ٱلْقَصْدَ جَارَ [٣] وَٱلصَّاحِبُ مُنَاسِبٌ [٤] وَٱلصَّدِيقُ مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ [٥]. وَٱلْهَوَى شَرِيكُ ٱلْعَنَاءِ [٦] * رُبَّ قَرِيبٍ أَبْعَدُ مِنْ بَعِيدٍ، وَرُبَّ بَعِيدٍ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ. وَٱلْغَرِيبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَبِيبٌ. مَنْ تَعَدَّى ٱلْحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ. وَمَنِ ٱقْتَصَرَ عَلَى قَدْرِهِ كَانَ أَبْقَى لَهُ. وَأَوْثَقُ سَبَبٍ أَخَذْتَ بِهِ سَبَبٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ. وَمَنْ لَمْ يُبَالِكَ فَهُوَ عَدُوُّكَ [٧] قَدْ يَكُونُ ٱلْيَأْسُ إِدْرَاكاً إِذَا كَانَ ٱلطَّمَعُ هَلَاكاً. لَيْسَ كُلُّ عَوْرَةٍ تَظْهَرُ وَلَا كُلُّ فُرْصَةٍ تُصَابُ. وَرُبَّمَا أَخْطَأَ ٱلْبَصِيرُ قَصْدَهُ وَأَصَابَ ٱلْأَعْمَى رُشْدَهُ. أَخِّرِ ٱلشَّرَّ فَإِنَّكَ إِذَا شِئْتَ تَعَجَّلْتَهُ [٨]. وَقَطِيعَةُ ٱلْجَاهِلِ تَعْدِلُ صِلَةَ ٱلْعَاقِلِ. مَنْ أَمِنَ ٱلزَّمَانَ خَانَهُ، وَمَنْ أَعْظَمَهُ أَهَانَهُ [٩].

---

١ ـ منزلتك من الكرامة في الدنيا والآخرة.

٢ ـ تفلت ـبتشديد اللام ـ أي تملص من اليد فلم تحفظه، فالذي يجزع على مافاته كالذي يجزع على ما لم يصله، والثاني لايحصر فينال فالجزع عليه غير لائق فكذا الأول.

٣ ـ القصد: الاعتدال. وجار: مال عن الصواب.

٤ ـ يراعي فيما يراعي في قرابة النسب.

٥ ـ الغيب: ضد الحضور أي من حفظ لك حقك وهو غائب عنك.

٦ ـ الهوى شهوة غير منضبطة ولا مملوكة بسلطان الشرع والأدب. والعناء الشقاء.

* ـ وفي نسخة: والهوى شريك العمى.

٧ ـ لم يبالك أي لم يهتم بأمرك. باليته وباليت به أي راعيت واعتنيت به.

٨ ـ لأن فرص الشر لا تنقضي لكثرة طرقه، وطريق الخير واحد وهوا لحق.

٩ ـ من هاب شيئا سلطه على نفسه.

لَيسَ كُلُّ مَنْ رَمَى أَصَابَ. إِذَا تَغَيَّرَ ٱلسُّلْطَانُ تَغَيَّـرَ ٱلزَّمَانُ. سَلْ عَنِ ٱلرَّفِيقِ قَبْلَ ٱلطَّرِيقِ، وَعَنِ ٱلْجَارِ قَبْلَ ٱلدَّارِ. إِيَّاكَ أَنْ تَذْكُرَ فِي ٱلْكَلَامِ مَا يَكُونُ مُضْحِكاً وَإِنْ حَكَيْتَ ذَلِكَ عَنْ غَيْرِكَ. وَإِيَّاكَ وَمُشَاوَرَةَ ٱلنِّسَاءِ فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى أَفْنٍ وَعَزْمَهُنَّ إِلَى وَهْنٍ[١]. واكْفُفْ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ فَإِنَّ شِدَّةَ ٱلْحِجَابِ أَبْقَى عَلَيْهِنَّ، وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مِنْ إِدْخَالِكَ مَنْ لَا يُوثَقُ بِهِ عَلَيْهِنَّ[٢]، وَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَعْرِفْنَ غَيْرَكَ فَافْعَلْ. وَلَا تُمَلِّكِ ٱلْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا فَإِنَّ ٱلْمَرْأَةَ رَيْحَانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَةٍ[٣] وَلَا تَعْدُ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا، وَلَا تُطْمِعْهَا فِي أَنْ تَشْفَعَ بِغَيْرِهَا. وَإِيَّاكَ وَٱلتَّغَايُرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ غَيْرَةٍ[٤] فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو ٱلصَّحِيحَةَ إِلَى ٱلسُّقْمِ وَٱلْبَرِيئَةَ إِلَى ٱلرِّيَبِ. وَٱجْعَلْ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ خَدَمِكَ عَمَلاً تَأْخُذُهُ بِهِ فَإِنَّهُ أَحرَى أَنْ لَا يَتَوَاكَلُوا فِي خِدْمَتِكَ[٥]. وأَكْرِمْ عَشِيرَتَكَ فَإِنَّهُمْ جَنَاحُكَ ٱلَّذِي بِهِ تَطِيرُ، وَأَصْلُكَ ٱلَّذِي إِلَيْهِ تَصِيرُ، وَيَدُكَ ٱلَّتِي بِهَا تَصُولُ. أَسْتَوْدِعُ الله دينك ودُنياك، وَاساله خَير القضاء لَك في العاجِلَة والآجِلَة والدُّنيا والآخِرَة والسَّلام.

---

١ ـ الأفن ـ بالتحريك ـ: ضعف الرأي. والوهن: الضعف.

٢ ـ أي إذا أدخلت على النساء من لا يوثق بأمانته فكأنك أخرجتهن إلى مختلط العامة فأي فرق بينهما؟

٣ ـ القهرمان الذي يحكم في الأمور ويتصرف فيها بأمره. ولا تعد ـ بفتح فسكون ـ أي لا تتجاوز بإكرامها نفسها فتكرم غيرها بشفاعتها. أين هذه الوصية من حال الذين يصرفون النساء في مصالح الأمة، بل ومن يختص بخدمتهن كرامة لهن.

٤ ـ التغاير: اظهار الغيرة على المرأة بسوء الظن في حالها من غير موجب.

٥ ـ يتواكلوا: يتكل بعضهم على بعض.

الفصل الخامس والخمسون والمائة

واعلم ياولدي محمد كمّل الله جلّ جلاله هدايتك وفضّل ولايتك، أنني رويت من طرق كثيرة واضحات قد ذكرت بعضها في الجزء الأول من كتاب (المهمات والتتمات)، جميع ما صنفه الشيخ محمد بن يعقوب الكليني ورواه رضي الله عنه وارضاه في هذا الكتاب (الرسائل) رسالة اخرى من أبيك علي عليه السلام إلى شيعته وإلى من يعز عليه، في ذكر المتقدمين في الخلاف عليه، وهي في المعنى رسالة إليك، كما أن رسالته إلى أبيك الحسن عليه السلام كأنّها منها إليك فانظر بعين المنة عليك.

قال محمدبن يعقوب في كتاب الرسائل: عن علي بن ابراهيم باسناده قال: كتب أميرالمؤمنين عليه السلام كتاباً بعد منصرفه من النهروان وأمر أن يقرأ على الناس، وذلك أن الناس سألوه عن أبي بكر و عمر وعثمان، فغضب عليه السلام وقال: «قد تفرغتم للسؤال عمالا يعنيكم وهذه مصر قد انفتحت وقتل معاوية ابن خديج ومحمدبن أبي بكر، فيالها من مصيبة ماأعظمها بمصيبتي بمحمّد، فوالله ماكان إلّا كبعض بني، سبحان الله بينا نحن نرجو أن نغلب القوم على مافي أيديهم إذ غلبونا على ما في أيدينا، وأنا كاتب لكم كتابا فيه تصريح ماسألتم إن شاء الله تعالى.

فدعا كاتبه عبيدالله بن أبي رافع فقال له «ادخل علي عشرة من ثقاتي».

فقال: سمهم لي يا أميرالمؤمنين.

فقال: «ادخل اصبغ بن نباتة، وأباالطفيل عامربن واثلة الكناني، ورزين بن حبيش الأسدى، وجويرية بن مسهر الغبدي، وخندف بن زهير الأسدى، وحارثة بن مضرب الهمداني، والحارث بن عبدالله الأعور الهمدانى، ومصباح النخعي، وعلقمة بن قيس، وكميل بن زياد، وعميربن زرارة» فدخلوا عليه فقال لهم: «خذوا هذا الكتاب، وليقرأه عبيدالله بن أبي رافع وأنتم شهود كل يوم جمعة، فإن شغب شاغب عليكم فانصفوه بكتاب الله بينكم وبينه»:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ[1]

مِنْ عَبْدِ اللهِ عَلِيٍّ أَمِيْرِالْمُؤْمِنِيْنَ، إِلٰى شِيْعَتِهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ ٱللهَ يَقُولُ: «وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْراهِيمَ» [٨٣ الصافات: ٣٧] وَهُوَ اسْمٌ شَرَّفَهُ اللهُ تَعالٰى فِي ٱلْكِتابِ، وَأَنْتُمْ شِيْعَةُ ٱلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، كَما أَنَّ مِنْ شِيْعَتِهِ ابْراهِيْمُ، إِسْمٌ غَيْرُ مُخْتَصٍّ؛ وَأَمْرٌ غَيْرُ مُبْتَدَعٍ، وَسَلامُ اللهِ عَلَيْكُمْ، وَٱللهُ هُوَ ٱلسَّلامُ ٱلْمُؤْمِنُ أَوْلِياءَهُ مِنَ ٱلْعَذابِ ٱلْمُهِيْنِ، الْحاكِمُ عَلَيْكُمْ بِعَدْلِهِ.

[أَمّا بَعْدُ فَإِنَّ اللهَ تَعالٰى][2] بَعَثَ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَنْتُمْ مَعاشِرَ الْعَرَبِ عَلٰى شَرِّ حالٍ، يَغْذُوْ أَحَدُكُمْ كلبهُ، وَيَقْتُلُ وُلْدَهُ، وَيُغِيْرُ عَلٰى غَيْرِهِ فَيَرْجِعُ وَقَدْ أُغِيْرَ عَلَيْهِ، تَأْكُلُوْنَ الْعَلْهَزَ وَالْهَبِيْدَ[3] وَالْمِيْتَةَ وَالدمَ، تُنِيْخُوْنَ عَلٰى أَحْجارٍ

---

١ ـ اثبتنا هذا الكتاب ومايتعلّق به من تحريك الكلمات و شرحها من كتاب (نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة) للشيخ محمد باقر المحمودي ٥:١٩٦.

٢ ـ بين المعقوفين مما سقط من نسخة كشف المحجّة والبحار، وهو مما لابد منه، ويدل عليه ثبوته في رواية الثقفي(ره) وابن قتيبة.

٣ ـ العلهز ـ كزبرج ـ: طعام كانوا يتخذونه من الدم، ووبر البعير، في سني القحط والمجاعة. و الهبيد: ـ واهبد. على زنة العبيد والعبد ـ: الحنظل أو حبه.

خُشْنٍ وَأَوْثانٍ مُضِلَّةٍ[١] وَتَأْكُلُونَ الطَّعامَ الْجَشِبَ، وَتَشْرَبُونَ الْماءَ الْآجِنَ[٢] تُسافِكُونَ دِماءَكُمْ وَيَسْبِي بَعْضُكُمْ بَعْضاً، وَقَدْ خَصَّ اللهُ قُرَيْشاً بِثَلاثِ آياتٍ وَعَمَّ الْعَرَبَ بِآيَةٍ، فَأَمَّا الْآياتُ اللَّواتِي فِي قُرَيْشٍ فَهُوَ [كذا] قَوْلُهُ تَعالىٰ: «واذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النّاسُ فَآواكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» [٢٦ الأنفال: ٨].

وَالثّانِيَةُ: «وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَما اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ» (٥٥ النور: ٢٤).

وَالثّالِثَةُ قَوْلُ قُرَيْشٍ لِنَبِيِّ اللهِ تَعالىٰ حِينَ دَعاهُمْ إِلَى الْإِسْلامِ وَالْهِجْرَةِ، فَقالُوا: «إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنا» فَقالَ اللهُ تَعالىٰ: «أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبىٰ إِلَيْهِ ثَمَراتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِنْ لَدُنّا، وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ» (٥٧ القصص: ٢٨).

وَأَمَّا الْآيَةُ الَّتِي عَمَّ بِها الْعَرَبَ فَهُوَ قَوْلُهُ تَعالىٰ: «وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً وَكُنْتُمْ عَلىٰ شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها، كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» (١٠٣ آل عمران: ٣).

فَيا لَها مِنْ نِعْمَةٍ ما أَعْظَمَها إِنْ لَمْ تَخْرُجُوا مِنْها إِلىٰ غَيْرِها، وَيا لَها مِنْ

---

١ ـ تنيخون مأخوذ من قولهم: «اناخ فلان بالمكان اناخة»: اقام به، ويقال: «هذا مناخ سوء» للمكان اذا كان غير مرضي. والخشن ـ كالقفل ـ: جمع خشناء، من الخشونة ضد «لان».

٢ ـ يقال: «جشب ـ وجشب ـ جشبا، وجشب ـ جشابة» الطعام: غلظ. فهو (جشب أوجشب وجشيب ومجشاب ومجشوب) والآجن: المتغير اللون والطعم، المنتن، من قولهم: اجن الماء ـ من باب نصر، وضرب، وعلم ـ اجناً وأجنا وأجونا ـ كفلسا وفرسا وفلوسا ـ: تغير لونه وطعمه.

اقول: ومثل هذا الصدر، ماذكره عنه عليه السلام السيد الرضي (ره) فى المختار (٢٥، او ٢٦) من الباب الأول من نهج البلاغة، ورواه عنه (ع) ايضا في المختار (٦٢، او ٦٦) من الباب الثاني منه، ولكل واحد منها مزايا خاصة وطراوة وحلاوة ليست فى الآخر، وقد جمع (ع) في وصف حالهم وبيان ماكانوا عليه قبل الاسلام بين فساد العقيدة، وكساد المعيشة، وذهاب الهدوء والامان، وقساوة القلوب والروية.

مُصيبَةٍ ما أَعْظَمَها إنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِها وَتَرْغَبُوا عَنْها.[١]

فَمَضى نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَقَدْ بَلَّغَ ما أُرْسِلَ بِهِ، فَيالَها مُصِيبَةً خَصَّتِ الْأَقْرَبِينَ، وَعَمَّتِ الْمُؤْمِنِينَ، لَنْ تُصابُوا بِمِثْلِها، وَلَنْ تُعايِنُوا بَعْدَها مِثْلَها[١] فَمَضى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِسَبِيلِهِ(ظ) وَتَرَكَ كِتابَ اللهِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ إمامَيْنِ لايَخْتَلِفانِ، وَأَخَوَيْنِ لايَتَخاذَلانِ، وَمُجْتَمِعَيْنِ لايَتَفَرَّقانِ[٢].

وَلَقَدْ قَبَضَ اللهُ مُحَمَّداً نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَأَنَا أَوْلَى النّاسِ بِهِ مِنِّي بِقَمِيصِي هٰذا[٣] وَما أُلْقِيَ فِي رُوْعِي[٤] وَلاَ عَرَضَ فِي رَأْيِي أَنَّ وَجْهَ النّاسِ إلى غَيْرِي، فَلَمّا أَبْطَأُوا عَنِّي بِالْوِلايَةِ لِهِمَمِهِمْ[٥] وَتَثَبَّطَ الْأَنْصارُ ـ وَهُمْ أَنْصارُ اللهِ ـ

---

١ ـ وروى العياشي(ره) عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: ان عليا عليه السلام، لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «انا لله وانا اليه راجعون، يالها من مصيبة خصت الاقربين، وعمت المؤمنين، لم يصابوا بمثلها قط، ولاعاينوا مثلها». الحديث الثاني من تفسير الآية (١٨٥) من سورة آل عمران، من تفسير البرهان: ج١، ص٣٢٩.

وفي الباب العاشر من اثبات الهداة: ج٤ ص٢٥٧، عن كتاب المجموع الرائق، عن أم أيمن قالت: سمعت في الليلة التي بويع فيها أبوبكر هاتفا يقول:

لقد ضعضع الاسلام فقدان احمد	وابكى عليه فيكم كل مسلم
واحزنه حزنا تمالؤ عصبة الـ	ـغواة على الهادي الوصي المكرم
وصي رسول الله اوّل مسلم	واعلم من صلى وزكى بدرهم

٢ ـ لله دره من تعبير ما أجله وأعظمه، وجميع ما ندعيه معاشر الشيعة الامامية في ائمة اهل البيت عليهم السلام، منطوى في ضمن هذا الكلام المعاضد بالقرائن التفصيلية، من الأخبار الواردة عن النبي واهل بيته صلّى الله عليهم، منها قوله صلّى الله عليه وآله ـ المتواتر بين المسلمين ـ: «اني تارك فيكم الثقلين ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا كتاب الله وعترتي اهل بيتي» الخ.

٣ ـ كذا في النسخة، وفي البحار ومعادن الحكمة: «ولانا أولى بالناس مني بقميصي هذا» وهو أظهر.

٤ ـ الروع ـ بضم الراء على زنة الروح ـ: القلب، او موضع الروع ـ بفتح الراء ـ منه، والروع ـ بالفتح ـ: الفزع. وكانه كناية عن أنه(ع) لم يكن مظنة أن يعاملوا معه هذا المعاملة، لما اجتمع فيه من توصية رسول الله(ص) ولما تحلى به من الفضائل والفواضل والسوابق، ولما كان مخالفوه عليه، في أيام رسول الله(ص) من اظهار الانقياد لله تعالى، وتظاهرهم من انهم خاضعون لرسول الله(ص) مؤتمرون بأوامره ونواهيه، ومتعبدون بشريعته.

٥ ـ كذا في النسخة، ولعله جمع الهمة ـ كعلة ـ وهو العزم القوي. أي فلما أبطأوا وتخلفوا عني لعزمتهم القوية، وجدّ جلّهم على صرف الأمر عني وتقميصه لغيرى لزمت بيتي.

وكَتِيبَةُ الإسْلامِ. [وَ] قالُوا: «أمَّا إذا لَمْ تُسَلِّمُوها لِعَلِيٍّ فَصاحِبُنا أحَقُّ بِها مِنْ غَيْرِهِ»[١].

فَوَاللهِ ما أدْرِي إلى مَنْ أشْكُو فإمّا أنْ يَكُونَ الأنْصارُ ظُلِمَتْ حَقَّها، وَإمّا أنْ يَكُونُوا ظَلَمُونِي حَقِّي، بَلْ حَقِّيَ المَأخُوذُ وَأنا المَظْلُومُ، فَقالَ قائِلُ قُرَيْشٍ: «ألأئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ». فَدَفَعُوا الأنْصارَ عَنْ دَعْوَتِها وَمَنَعُونِي حَقِّي مِنْها[٢].

---

١ ـ وحول الكلام بحث يمر عليك تحت الرقم (٢٤) من هذه التعليقات.

٢ ـ وهذا الكلام مما صدر عنه(ع) في مقامات كثيرة بصور مختلفة، ففي المختار (٢٨) من كتب نهج البلاغة ط مصر: «ولما احتج المهاجرون على الانصار يوم السقيفة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلجوا عليهم، فان يكن الفلج به فالحق لنا دونكم، وان يكن بغيره فالانصار على دعواهم»!.

وقريب منه معنى فى كتاب التعجب ص١٣، وقال: انّه(ع) كتبه الى معاوية.

وهذا المعني ممانفث به غير واحد من الائمة المعصومين من ولده(ع).

قال في نزهة الناظر، ص٣٠ ط ١، قيل: مر المنذر بن الجارود على الحسين(ع) فقال: كيف اصبحت جعلني الله فداك يابن رسول الله. فقال(ع): اصبحت العرب تعتد على العجم بأن محمدا صلّى الله عليه وآله وسلم منها. واصبحت العجم مقرة لها بذلك. واصبحنا واصبحت قريش يعرفون فضلنا ولايرون ذلك لنا، ومن البلاء على هذه الامة انا اذا دعوناهم لم يجيبونا، واذا تركناهم لم يهتدوا بغيرنا. وفى البحار: ج١٥، القسم الثالث منه ص٢٤٧ س٥ عكسا، عن المنهال قال: دخلت على علي بن الحسين(ع) فقلت: السلام عليك كيف اصبحتم رحمكم الله. قال: أنت تزعم أنك لنا شيعة ولا تعرف لنا صباحنا ومساءنا، اصبحنا في قومنا بمنزلة بني اسرائيل فى آل فرعون يذبحون الابناء ويستحيون النساء، واصبح خير البرية بعد نبيّنا(ص) يلعن على المنابر، ويعطى الفضل والأموال على شتمة وأصبح من يحبنا منقوصا بحقه على حبه ايانا، وأصبحت قريش تفضل على جميع العرب بان محمدا(ص) منهم، يطلبون بحقنا ولايعرفون لنا حقا، فهذا صباحنا ومساؤنا. وفي اعيان الشّيعة: ج٤ ص٢٣١ عن كشف الغمّة عن نثرالدرر (انه) قيل له يوما: كيف اصبحت؟ قال: اصبحنا خائفين برسول الله، واصبح جميع اهل الاسلام آمنين به. وفى ترجمته(ع) من تاريخ دمشق: ج٣٦ ص٤٧ مسند عن المنهال قال: دخلت على علي بن الحسين فقلت له: كيف اصبحت اصلحك الله. فقال: ما كنت أرى شيخنا من اهل المصر لايدري كيف اصبحنا، فأما اذا لم تدرولم تعلم فأنا أخبرك، أصبحنا في قومنا بمنزلة بني إسرائيل في آل عمران كانوا يذبحون ابناءهم ويستحيون نساءهم وأصبحنا (و) شيخنا وسيّدنا يتقرّب الى عدونا بشتمه وسبه على المنابر، واصبحت قريش تعد أن لها الفضل على العرب، لان محمدا منها لايعدّ لها الفضل الا به، واصبحت العرب مقرة لهم بذلك، وأصبحت العرب تعدّ لها الفضل على العجم، لان محمداً منها، لا تعدّ لها الفضل الا به، واصبحت العجم (ظ) مقرة لهم بذلك، فلئن كانت العرب صدقت ان لها الفضل على العجم، وصدقت قريش ان كان لها الفضل على العرب لان محمدا منها، فان (ظ) لنا أهل البيت الفضل على قريش لان محمدا منا، فأصبحوا لايعرفون لنا حقا،

فَأَتَانِي رَهْطٌ يَعْرِضُونَ عَلَيَّ النَّصْرَ، مِنْهُمْ ابْنَا (مِنْهُمْ أَبْنَاءُ «خ») سَعِيدٍ[1] وَالْمِقْدَادُ بْنُ الأَسْوَدِ، وَأَبُوذَرٍّ الْغِفَارِيُّ، وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، وَسَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَالْبَرَاءُ بن عَازِبٍ، فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ عِنْدِي مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَهْداً، وَلَهُ إِلَيَّ وَصِيَّةٌ لَسْتُ أُخَالِفُهُ عَمَّا أَمَرَنِي بِهِ[2] فَوَاللهِ لَوْ خَزَمُونِي

فهكذا أصبحنا أذا لم تعلم كيف أصبحنا. قال المنهال: فظننت أنه أراد أن يسمع من في البيت. وقريب منه في محاجة ابن عباس مع معاوية كما في الباب (٢٨) من الملاحم والفتن ٩٥.

وقريب منه ايضا معنعنا في الحديث السابع من الجزء السادس من أمالي الشيخ ص٩٥ عن الامام الباقر(ع).

١ ـ وهما خالدبن سعيدبن العاص، وأبان ـ أو عمربن سعيدبن العاص، أوهم جيما على تقدير كون «ابناء» جمالا مثنى. والرهط ـ كفلس وفرس ـ: الجماعة والعدة، هو جمع لاواحد له من لفظه أي أتاني علة ونفر من خيار اصحاب رسول الله(ص) مظهرين لي نصرهم للقيام بحقي، وباذلين لي جهدهم لاخذ ماغصبوه مني من القيام بأمور المسلمين، و احقاق الحقوق واجراء الحدود على طبق علمي النافذ، وعملي الواضح التابع للكتاب والسنة.

اقول: هؤلاء الذين عرضوا بذل جهدهم لامير المؤمنين عليه السلام: والقيام برد حقه اليه عن نية صحيحة واخلاص، قد أنهى عددهم في بعض الاخبار ورفعه الى اربعين نفرا مصرحا بأسماء جلهم، منهم خالدبن سعيدبن العاص، واما اخوه أو اخوته ـ بناء على كون لفظة «ابنا» جمعا ـ فليس ببالي الآن التصريح باسمه ـ او بأسمائهم ـ وليعلم ان هؤلاء الاربعين لم يكونوا في بدء الامر، وقبل احكام بيعة أبي بكر مجتمعين لبذل نصرهم وجهدهم له عليه السلام اذ: بعضهم ـ كخالد بن سعيد وغيره ـ لم يكن حاضرا والحاضرون منهم أيضاً لم يعرضوا مظاهرتهم في زمان واحد، بل في ازمنة مختلفة ونوب متفرقة، نعم الباذلون جهدهم لامير المؤمنين عليه السلام بعد يوم السقيفة فورا: هم سلمان وأبوذر والمقداد وعمار والزبير و جماعة قليلة اخر من بني هاشم لم يتجاوز عددهم عدد الاصابع، وأما البقية من الرهط ـ الذين أنهاهم في بعض الاخبار الى اربعين رجلا ـ فكان عرضهم النصر متدرجا ومتأخرا عن يوم السقيفة، نعم كان هوى اكثر الانصار الى امير المؤمنين عليه السلام ووصوله الى حقه، ولكن استولت عليهم محبة الرئاسة و الراحة، ومخافة تلف النفس والبضاعة، والابتلاء بالظلماء والمجاعة، وهذا صنيع اكثر الناس في أكثر الازمنة، حيث انهم يحبون تقدم المحقين وتفوقهم، ولكن بشرط ان لاينالهم في سبيل الحق ظما ولامخمصة، ولسان حالهم وفعالهم ـ كلسان مقال بني اسرائيل ـ يقول لصاحب الحق: فأذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون، فان ظفرتم وغلبتم انا معكم.

٢ ـ وقد بينه عليه السلام في مقامات اخر، وهو أنه لو وجدت انصارا فانهض لاخذ حقك وطرد المبطلين، والا فتحفظ على نفسك وعترة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

بِأَنفِيْ لَأَقْرَرْتُ لِلّٰهِ تَعَالىٰ سَمْعاً وَطَاعَةً[١] فَلَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ قَدِ انْثَالُوْا عَلىٰ أَبِي بَكْرٍ لِلْبَيْعَةِ، (بِالْبَيعَةِ «خ م») أَمْسَكْتُ يَدِيْ وَظَنَنْتُ أَنِّي أَوْلىٰ وَأَحَقُّ بِمَقَامِ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ مِنْهُ وَمن غَيْرِهِ [٢] وَقَدْ كَانَ نَبِيُّ اللهِ أَمَّرَ أُسَامَةَ بن زَيْدٍ علىٰ جَيْشٍ وَجَعَلَهُما فِيْ جَيْشِهِ[٣] وَمَازَالَ النَّبِيُّ إِلىٰ أَنْ فَاضَتْ نَفْسُهُ يَقُولُ: «أَنْفِذُوا جَيْشَ أُسَامَةَ، أَنْفِذُوا جَيْشَ أُسَامَةَ» فَمَضىٰ جَيْشُهُ إِلىٰ الشَّامِ حَتّىٰ انْتَهَوْا إِلىٰ أَذْرُعَاتٍ فَلَقِيَ جَيْشاً (جَمْعاً «خ ل») مِنَ الرُّوْمِ فَهَزَمُوْهُمْ (فَهَزَمَهُمْ «خ ل») وَغَنِمَهُمُ اللهُ أَمْوَالَهُمْ.

فَلَمَّا رَأَيْتُ رَاجِعَةً مِنَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنْ الْإِسلامِ تَدْعُوا إِلىٰ مَحْوِ (مَحْقِ «خ») دِيْنِ مُحَمَّدٍ وَمِلَّةِ إِبْراهِيْمَ (عَلَيْهِما السَّلامُ «خ») خَشِيْتُ إِنْ أَنَا لَمْ أَنْصُرِ الْإِسْلامَ وَأَهْلَهُ أَرىٰ فِيهِ ثَلْماً وَهَدْماً تَكُوْنُ الْمُصِيْبَةُ عَلَيَّ فِيْهِ أَعْظَمُ مِنْ فَوْتِ وَلَايَةِ أُمُورِكُمْ الَّتِيْ إِنَّما هِيَ مَتَاعُ أَيَّامٍ قَلائِلَ، ثُمَّ تَزُوْلُ وَتَنْقَشِعُ كَما يَزُوْلُ وَيَنْقَشِعُ السَّحَابُ[٤] فَنَهَضْتُ مَعَ الْقَوْمِ فِيْ تِلْكَ الْأَحْداثِ حَتّىٰ زَهَقَ الْبَاطِلُ، وَكَانَتْ كَلِمَةُ

---

١ - اي لوسخروني وذللوني كالبعير المسخر بالخزامة، لاقررت لله تعالى بسمع أمره وطاعته من ترك القيام لاخذ حقي بلا معين وظهير. يقال: خزم أنف فلان -من باب ضرب- وخزم البعير: جعل فى جانب منخره الخزام -أو الخزامة، بكسر الخاء فيهما- وهي حلقة يشد فيها الزمام. ويقال: «خزم أنف فلان» و «جعل فى أنفه الخزامة»: اذله وسخره.

٢ - «قد انثالوا»: قد انصبوا واندفعوا (خوفا وطمعا) لان يبايعوا ابابكر. و «ظننت» أي ايقنت. كما فى قوله تعالى: «وذاالنون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه» الخ وورود الظن بمعنى العلم واليقين شائع فى كلام البلغاء والآيات والروايات كما فى الآية (١١٧) من سورة التوبة، والآية (٥٣) من سورة الكهف، وغيرها. أو المعنى: أني ظننت ان الناس يروني اولى واحق ويساعدوني على استنقاذ حقي حتى ورد مااغتصبوه عني اليّ. وعلى المعنى الأول فالاولوية تعيينية.

٣ - الضمير في قوله(ع): «وجعلهما» عائد الى أبي بكر وعمر، اما كون عمر فى جند أسامة، وتأمير أسامة عليه في تلك السرية، فما اتفق عليه الجميع، وانما الكلام والاختلاف فى أبي بكر، والصحيح انه كان فى الجيش قال ابن أبي الحديد -فى اواسط الطعن الرابع من مطاعن أبي بكر، من شرح المختار (٦٢) من كتب النهج، ج١٧، ص١٨٣- وكثير من المحدثين يقولون: بل كان (ابوبكر ايضا) فى جيشه.

وللكلام بقية وشواهد تقف عليها فى أول التذييلات الآتية.

٤ - «المحو والمحق» بمعنى واحد، وهو ابطال الشيء واضمحلاله. «والثلم» -على زنة الضرب-: الخلل والخرق

اللهِ هِيَ الْعُلْيا وَإنْ رَغِمَ الْكافِرُوْنَ[١].

وَلَقَدْ كانَ سَعْدٌ لَمّا رَأى النّاسَ يُبايِعُوْنَ أبابَكْرٍ، نادىٰ أيُّهَا النّاسُ إنّي وَاللهِ ما أرَدْتُها حتّىٰ رَأيْتُكُمْ تَصْرِفُونَها عَنْ عَليٍّ، وَلاَ اُبايِعُكُمْ حَتّىٰ يُبايِعَ عَليٌّ، وَلَعَلّي لاأفْعَلُ وَإنْ بايَعَ[٢].

و«الهدم» ـ كالضرب ـ: النقض والسقوط. و«انقشع السحاب»: انكشف وزال. و«انقشع القوم عن أماكنهم»: ابتعدوا عنه.

١ ـ «نهضت»: قمت، والنهوض: القيام بالشيْ والاسراع اليه. و «الاحداث» ـ جمع الحدث كفرس وهو ـ: الامر المنكر الذي ليس معتادا ولامعروفا فى السنة، وهو البدعة فى الدين. و«زهق الباطل». خرجت روحه ومات. و «رغم الشيْ رغما» ـ كضرب ونصر ومنع ـ: كرهه. والمصدر على زنة الفلس والفرس.

٢ ـ هذا الكلام وماتقدم آنفا من قوله عليه السلام: «وتثبط الانصار ـ وهم انصار الله وكتيبة الاسلام ـ وقالوا: أما أذا لم تسلموها لعلي فصاحبنا احق بها من غيره» دالان على أن الانصار ورئيسهم سعد، لم يتجاسروا على ادعاء الخلافة والامارة، الا بعدما رأوا أنها مصروفة عن الوصي عليه السلام ومنهوبة عنه باغارة أهل الشره، ووثوب المنهمكين فى الحرص والطمع، فخافوا من الاضغان الجاهلية، ودوائر السوء عليهم، فادعوها لانفسهم، ومثل هذا الكلام ما رواه فى الدرجات الرفيعة ص٣٢٦ فى ترجمة سعد، من انه قال: «لو بايعوا علياً لكنت اوّل من بايع».

وروي أيضا عن محمد بن جرير الطبري، عن ابي علقمة، قال قلت لسعد بن عبادة وقد مال الناس لبيعة ابي بكر: تدخل فيما دخل فيه المسلمون. قال: اليك عني فوالله لقد سمعت رسول(ص) يقول: «اذا أنامت تضل الاهواء، ويرجع الناس على اعقابهم، فالحق يومئذ مع علي، وكتاب الله بيده» لانبايع لاحد غيره. فقلت له: هل سمع هذا الخبر غيرك من رسول الله. فقال: سمعه اناس فى قلوبهم احقاد وضغائن. قلت: بل نازعتك نفسك ان يكون هذا الامر لك دون الناس كلّهم. فحلف انه لم يهم بها، لم يردها، وانّهم لو بايعوا عليا كان أول من بايع سعد. اقول ورواه فى الحديث (٤٤١) فى الفصل (٤١) من الباب العاشر، من اثبات الهداة: ٤، ١٥٦، عن أربعين محمد طاهر القمي، قال: وروى اصحابنا عن كتاب ابن جرير الطبري، عن سعد بن عبادة أنّه قال الخ. ومما يدل على أن اوّل من اقدم على نهب الخلافة وابتزازها، هم الشيخان واتباعهم دون سعد، ماذكره امير المؤمنين عليه السلام فى خطبته الوسيلة، من قوله: «الا وان اوّل شهادة زور وقعت فى الاسلام شهادتهم ان صاحبهم مستخلف رسول الله، فلما كان من امر سعد بن عبادة ماكان رجعوا عن ذلك الخ. وما رواه البخاري ومسلم فى صحيحيهما، والحميدي فى الجمع بين الصحيحين، و ابن هشام فى سيرته، وأبوحاتم: محمد بن التيمي البستي في كتاب «الثقات» وابن حجر فى الصواعق، والسيوطي فى تاريخ الخلفاء، و الطبري فى تاريخه: ج٢، ٤٤٦ ـ واللفظ له ـ قال عمر: «بلغني ان قائلا منكم يقول: لومات عمر بايعت فلانا. فلايغرن امرءان يقول: ان بيعة أبي بكر كانت فلتة، فقد كان كذلك غير أن الله وقي شرها، وانه كان من خبرنا حين توفى الله نبيه(ص) ان عليا والزبير ومن معهما تخلفوا عنا فى بيت فاطمة، وتخلفت عنا الانصار باسرها» الخ فان هذا الكلام صريح أن الانصار تخلفوا

ثُمَّ رَكِبَ دابَّتَهُ وَأَتـى حَوْران وَأَقامَ فِي خانٍ [فِي عِنان «خ»] حتـى هَلَكَ وَلَمْ يُبايِعْ ١.

وَقامَ فَرْوَةُ بْنُ عَمْرو الأَنْصارِيُّ ٢ وَكان يَقُودُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَرَسَيْنِ، وَيَصْرِمُ أَلْفَ وَسَقٍ مِنْ تَمْرٍ فَيَتَصَدَّقُ بِهِ عَلى الْمَساكِيْن ـ فَنادى يامَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَخْبِرُوْنِي هَل فِيْكُمْ رَجُلٌ تَحِلُّ لَهُ الْخِلافَةُ وَفِيْهِ ما فِيْ عَلِيٍّ. فقال قَيْسُ بنُ مُخْرِمَةَ الزُّهْرِيُّ: لَيْسَ فِينا مَنْ فِيهِ مافي عَلِيٍّ. فَقالَ: صَدَقْتَ، فَهَلْ فِيْ عَلِيٍّ ماليَس فِيْ أَحَدٍ مِنْكُمْ. قالَ: نَعَمْ. قالَ: فَما

كتخلف علي واتباعه، ومما يدل ايضا على شهامة الشيخين وأتباعهم، وانهم كانوا اوّل من تصدى للتقمص بالخلافة، ما كتبه ـ مروج اساس القوم وحافظ دعائمهم ـ معاوية، الى محمدبن ابي بكر فى كتاب طويل، وفيه: «فقد كنا ـ وابوك فينا ـ نعرف فضل ابن أبي طالب و حقه لازما لنا مبرورا، فلما اختار الله لنبيه ما عنده وقبضه اليه، فكان ابوك وفاروقه اوّل من ابتزه حقه، وخالفه على امره» الخ وهذا الكتاب وان استحيى الطبرى من ذكره معتذرا بانه مما يكرهه العامة، ولكن الله لايستحيي من الحق، ولايخاف من كراهة العامة، فاظهر الحق بنقل المسعودي فى مروج الذهب: ج٣ ص١٢، وبراوية نصر فى كتاب صفين ص١١٨، و ابن ابي الحديد فى شرح المختار (٤٦) من خطب نهج البلاغه ج٣ ص١٩٠.

١ ـ قال فى باب الحاء بعدها الواو، من معجم البلدان: ج٣ ص٣٦٠ ط مصر،: «حوران» بالفتح يجوز ان يكون من حار يحور حورا. و «نعوذ بالله من الحور بعد الكور» اي من النقصان بعد الزيادة. وحوران كورة واسعة من اعمال دمشق من جهة القبلة، ذات قرى كثيرة و مزارع و حرار، ومازالت منازل العرب، وذكرها فى اشعارهم كثير، وقصبتها بصرى الخ. وقال فى باب العين بعدها النون من ج٦ ص٢٣٠: «عنان» ـ بالكسر وآخره نون اخرى ـ: واد في ديار بني عامر، معترض فى بلادهم، اعلاه لبني جعدة، واسفله لبني قشير.

٢ ـ قال ابن ابي الحديد ـ فى شرح المختار (٦٦) من خطب نهج البلاغه: ج٦ ص٢٨ ـ: وكان فروة بن عمرو ممن تخلف عن بيعة ابي بكر، وكان ممن جاهد مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وقادفرسين فى سبيل الله، وكان يتصدق من نخله بالف وسق فى كل عام، وكان سيدا وهو من أصحاب علي، وممن شهد معه يوم الجمل الخ الخ وأيضا قال ابن ابي ا لحديد ـ فى شرح المختار المتقدم ص٢١ ـ: وروى الزبيربن بكار، قال: روى محمد بن اسحاق ان ابابكر لما بويع افتخرت تيم بن مرة، قال: وكان عامة المهاجرين وجل الانصار لايشكون ان عليا هو صاحب الأمر بعده(ص) فقال الفضل بن العباس: «يامعشر قريش وخصوصا يابني تيم انكم انما اخذتم الخلافة بالنبوة، ونحن اهلها دونكم، ولوطلبنا هذا الأمر الذي نحن اهله لكانت كراهة الناس لنا أعظم من كراهتهم لغيرنا، حسدا منهم لنا وحقدا علينا، وانا لنعلم ان عند صاحبنا عهدا هو ينتهي اليه.

صَدَّكُمْ عَنْهُ. قَالَ: اجتِماعُ [اجْماعُ «خ»] النّاسِ عَلىٰ أَبِي بَكْرٍ. قَالَ: أَمَا وَاللهِ لَئِنْ أَصَبْتُمْ [أَخْيَيْتُمْ «خ ل»] سُنَّتَكُمْ لَقَدْ أَخطَأتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ جَعَلْتُمُوهَا فِي أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ لأَكَلْتُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ[١].

فَوَلِّيَ أَبُوبَكرٍ فَقارَبَ وَاقْتَصَدَ[٢] فَصَحِبْتُهُ مُناصِحاً وَأَطَعْتُهُ فِيما أَطاعَ اللهَ فِيهِ جاهِداً[٣] حَتّىٰ إِذا احْتُضِرَ قُلْتُ فِي نَفْسِي لَيْسَ يَعْدِلُ بِهذا الأَمْرِ عَنِّي، وَلَوْلا خاصَّةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عُمَرَ، وَأَمْرٌ كانا رَضِياهُ بَيْنَهُما[٤] لَظَنَنْتُ أَنَّهُ لايَعْدِلُهُ عَنِّي وَقَدْ سَمِعَ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِبُرَيْدَةَ الأَسْلَمِيِّ -حِينَ بَعَثَنِي وَخالِدَ [ابنَ «ظ»] الْوَلِيدِ إِلى الْيَمَنِ؛ وَقَالَ: إِذا افْتَرَقْتُما فَكُلُّ واحِدٍ مِنْكُما عَلىٰ حِيالِهِ[٥] وَإِذا اجْتَمَعْتُما فَعَلِيٌّ عَلَيْكُمْ جَمِيعاً فَغَزَوْنا وَأَصَبْنا سَبْياً فِيهِمْ خَوْلَةُ بِنْتُ جَعْفَرٍ جارِ الصَّفا[٦] فَأَخَذْتُ الْحَنَفِيَّةَ خَوْلَةَ، وَاغْتَنَمَها خالِدٌ مِنِّي، وَبَعَثَ بُرَيْدَةَ إِلىٰ رَسُولِ اللهِ مُحَرِّشاً عَلَيَّ[٧] فَأَخْبَرَهُ بِما كانَ مِنْ أَخْذِي خَوْلَةَ فَقالَ: «يابُرَيْدَةُ حَظُّهُ فِي

---

١ ـ وقال ابوذر: اصبتم قباحة وتركتم قرابة لوجعلتم هذا الأمر فى اهل بيت نبيّكم لما اختلف عليكم اثنان. وقال سلمان: اصبتم ذا السن منكم واخطأتم اهل بيت نبيكم اما لوجعلتموها فيهم ما اختلف منكم اثنان ولأكلتموها رغدا.

٢ ـ اي ترك الغلو. ولم يبالغ فى الانحراف كل المبالغة، كالذين قاموا بالأمر بعده وجلسوا مجلسه ولقبوا بلقبه.

٣ ـ «جاهدا» حال من فاعل «اطاع الله» او عن الضمير المنصوب او المرفوع فى «اطعته» والأول كانه اظهر.

٤ ـ «ولولا خاصة» اي خلطة اومحبّة مخصوصة، او خصوصيّة ذاتية تكوينية من اجلها يحن كل شخص الى مجانسه ويوافق كل شن طبقه، ويؤيد الاخير مواخاة النبي صلّى الله عليه وآله بينها، و حديث: «ان النفوس ـ اوالارواح ـ جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وماتنا كر منها اختلف».

واما الأمر الذي كانا رضيا بينهما فهو تعاهدهما على ان يبايع ابابكر، ليرد عليه ابوبكر بعده، ولذا قال له امير المؤمنين(ع): «احلب حلبا لك شطره، اشدد له اليوم أمره ليرد عليك غدا». وفى معادن الحكمة: «وامر كانا ربصاه».

٥ ـ اي على انفراده، اي فى صورة الانفراد كل واحد منكم امير على جنده الخ.

٦ ـ وفى البحار نقلا عن كشف المحجة: «خويلة بنت جعفر جار الصفا، ـوانما سمي جار الصفا من حسنه ـ فأخذت الحنفية:خولة» الخ و الظاهر ان «خويلة» من غلط ا لنساخ، كما أن قوله: «وانما سمي جار الصفا من حسنه» من كلام السيد ابن طاوس ـ او الكليني او من تقدمهما من الرواة ـ فادرجه الكتاب سهواً أو جهلاً فى كلامه(ع).

٧ ـ التحريش: الاغراء بين القوم. والافساد بينهم بالسعاية والنميمة.

الْخُمسِ أَكْثَرُ مِمّا أَخَذَ، إِنَّهُ وَلِيُّكُمْ بَعْدِيْ» سَمِعَها أَبُوبَكْرٍ وَعُمَرُ، وهٰذا بُرَيْدَةُ حَيٌّ لَمْ يَمُتْ[١] فَهَلْ بَعْدَ هٰذا مَقالٌ لِقائِلٍ.

فَبايَعَ عُمَرُ دُوْنَ الْمَشُوْرَةِ، فَكانَ مَرْضِيَّ السِّيْرَةِ مِنَ النّاسِ عِنْدَهُمْ[٢] حَتّىٰ إِذا احْتُضِرَ قُلْتُ فِيْ نَفْسِيْ لَيْسَ يَعْدِلُ بِهٰذا الْأَمْرِ عَنِّيْ لِلَّذِيْ قَدْ رَآى مِنِّيْ فِي الْمَواطِنِ، وَسَمِعَ مِنْ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ، فَجَعَلَنِي سادِسَ سِتَّةٍ وأَمَرَ صُهَيْباً أَنْ يُصَلِّيَ بِالنّاسِ، وَدَعا أَباطَلْحَةَ زَيْدَبْنَ سَعْدٍ الْأَنْصارِيَّ فَقالَ لَهُ: «كُنْ فِي خَمْسِيْنَ رَجُلاً مِنْ قَوْمِكَ فاقْتُلْ مَنْ أَبىٰ أَنْ يَرْضىٰ مِنْ هٰؤُلاءِ السِّتَّةِ».

فَالْعَجَبُ مِنِ اخْتِلافِ الْقَوْمِ[٣]، إِذْ زَعَمُوا أَنَّ أَبا بَكْرٍ اسْتَخْلَفَهُ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ؛ فَلَوْ كانَ هٰذا حَقّاً لَمْ يَخْفَ عَلَى الْأَنْصارِ، فَبايَعَهُ النّاسُ عَلىٰ شُوْرىٰ ثُمَّ جَعَلَها أَبُوبَكْرٍ لِعُمَرَ بِرَأْيِهِ خاصَّةً، ثُمَّ جَعَلَها عُمَرُ بِرَأْيِهِ شُوْرىٰ بَيْنَ سِتَّةٍ، فَهٰذا الْعَجَبُ مِنِ اخْتِلافِهِمْ[٤] وَالدَّلِيْلُ عَلىٰ ما لاأُحِبُّ أَنْ أَذْكُرَ[هُ] قَوْلُهُ (ظ): «هٰؤُلاءِ الرَّهْطُ الَّذِيْنَ قُبِضَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ (كذا) وَهُوَ عَنْهُمْ راضٍ». فَكَيْفَ يَأْمُرُ بِقَتْلِ قَوْمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَسُوْلُهُ، إِنَّ هٰذا لَأَمْرٌ عَجِيْبٌ، وَلَمْ يَكُوْنُوا لِوِلايَةِ أَحَدٍ مِنْهُمْ أَكْرَهَ مِنْهُمْ لِوِلايَتِيْ، كانُوا يَسْمَعُوْنَ وَأَنا أُحاجُّ أَبا بَكْرٍ وَأَقُوْلُ (ظ): يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَنا أَحَقُّ بِهٰذا الْأَمْرِ مِنْكُمْ ما كانَ مِنْكُمْ مَن يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَعْرِفُ السُّنَّةَ وَيَدِيْنُ بِدِيْنِ اللهِ الْحَقِّ[٥] وَإِنَّما

---

١ ـ وقوله(ص): «انه وليكم بعدي» ـ كحديث يوم الدار، وحديث الغدير، والثقلين، والسفينة ومايجرى مجراها ـ يدل على استخلافه(ص) اياه بعده بلافصل على جميع المسلمين كائناً من كان، والادلة بتكاثرها كل واحدة منها متواترة.

وأما بريدة فانّه توفي سنة (٦٣هـ) بمرو، وقيل: مات سنة(٦٢).

٢ ـ اي لابحسب الواقع و نفس الامر و عند الله تبارك وتعالى.

٣ ـ وفى معادن الحكمة والجواهر: «فالعجب من خلاف القوم».

٤ ـ وفى معادن الحكمة: «فهذا العجب واختلافهم».

٥ ـ هذا هو الظاهر، وفى النسخة: «ويدين دين الله الحق» وفى البحار، ومعادن الحكمة: «ويدين دين الحق» والمعنى: انكم ان كنتم من اهل القرآن والسنة ودين الحق فخلوا بيني وبين الخلافة، لان القرآن والسنة ودين الحق حاكم باني احق واولى بالخلافة منكم. ويحتمل ان يراد من الكلام انه ما دام في الوجود مسلم ←

حُجَّتِي أَنِّي وَلِيُّ هٰذا الْأَمْرِ مِنْ دُونِ قُرَيْشٍ، إنْ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قالَ: «الوَلاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ» فَجاءَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِعِتْقِ الرِّقابِ مِنَ النّارِ، وَأَعْتَقَها مِنَ الرِّقِّ، فَكانَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وِلاءُ هٰذِهِ الْأُمَّةِ.

وَكانَ لِي بَعْدَهُ ما كانَ لَهُ[1] فَما جازَ لِقُرَيْشٍ مِنْ فَضْلِها عَلَيْها بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ جازَ لِبَنِي هاشِمٍ عَلى قُرَيْشٍ، وَجازَ لِي عَلى بَنِي هاشِمٍ بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ» إلّا أَنْ تَدَّعِي قُرَيْشٌ فَضْلَها عَلَى الْعَرَبِ بِغَيْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَإنْ شاؤُوا فَلْيَقُولُوا ذٰلِكَ.

فَخَشِيَ الْقَوْمُ إنْ أَنا وُلِّيتُ عَلَيْهِمْ أَنْ آخُذَ بِأَنْفاسِهِمْ وَأَعْتَرِضَ فِي حُلُوقِهِمْ وَلا يَكُونَ لَهُمْ فِي الْأَمْرِ نَصِيبٌ[2] فَأَجْمَعُوا عَلَيَّ إجْماعَ رَجُلٍ واحِدٍ مِنْهُمْ حَتّى صَرَفُوا الْوِلايَةَ عَنِّي إلى عُثْمانَ رَجاءَ أَنْ يَنالُوها وَيَتَداوَلُوها فِي ما بَيْنَهُمْ، فَبَيْناهُمْ كَذٰلِكَ إذْ نادى مُنادٍ لا يُدْرى مَنْ هُوَ[3] فَأَسْمَعَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ لَيْلَةَ بايَعُوا عُثْمانَ

و معتقد بالشريعة، فانا اولى بالامارة والخلافة عليه.

وفي بعض الروايات الواردة فى احتجاجه(ع) يوم السقيفة على أبي بكر انه قال: «ونحن احق بهذا الامر منكم ما كان فينا القارئ لكتاب الله» الخ.

١ ـ الاستدلال بقوله: «الولاء لمن اعتق» بضميمة ما يأتي بعد ذلك من قوله(ص): «من كنت مولاه فعلي مولاه» و من قوله(ص) له(ع): «يابن ابي طالب لك ولاء امتي، فان ولوك فى عافية واجمعوا عليك بالرضا فقم بامرهم، وان اختلفوا عليك فدعهم وماهم فيه» الخ. وروى الكليني(ره) فى الحديث الخامس من الباب الثامن، من كتاب الجهاد، من الكافي: ج٥، ص٢٨، عن علي بن ابراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «بعثني رسول الله صلّى الله عليه وآله الى اليمن، وقال لي: يا علي لا تقاتلن احدا حتى تدعوه، وأيم الله لان يهدي الله على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت، ولك ولاؤه يا علي».

٢ ـ وهذا المعنى مما نطق به القوم فى كثير من المقامات، ورواه عنهم انصارهم ـ وقد تقدم نقل شرذمة منه فى باب الخطب ـ وقد سار بسيرتهم فى كل عصر كثير من المبطلين، فنازعوا الحق أهله فضلوا وأضلوا عن سواء الصراط.

٣ ـ ثم ان في النسخة هكذا: «اذ نادى مناد لا يدري من هو، واظنه جنيا» وهو من كلام بعض الرواة اقحم فى المتن.

فَقَالَ:

يَا نَاعِيَ الْإِسْلَامِ قُمْ فَانْعِهِ | قَدْ مَاتَ عُرْفٌ وَبَدَا مُنْكَرٌ
مَا لِقُرَيْشٍ لَاعَلَى كَعْبُهَا[١] | مَنْ قَدَّمُوا الْيَوْمَ وَمَنْ أَخَّرُوا
إِنَّ عَلِيّاً هُوَ أَوْلَى بِهِ | مِنْهُ فَوَلُّوهُ وَلَا تُنْكِرُوا

فَدَعَوْنِي إِلَى بَيْعَةِ عُثْمَانَ فَبَايَعْتُ مُسْتَكْرَهاً وَصَبَرْتُ مُحْتَسِباً، وَعَلَّمْتُ أَهْلَ الْقُنُوطِ أَنْ يَقُولُوا: أَللّٰهُمَّ لَكَ أَخْلَصَتِ الْقُلُوبُ، وَإِلَيْكَ شَخَصَتِ الْأَبْصَارُ، وَأَنْتَ دُعِيتَ بِالْأَلْسُنِ، وَإِلَيْكَ تُحُوكِمَ [نَجْواهُمْ «م»] فِي الْأَعْمَالِ، فَافْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ.

أَللّٰهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ غَيْبَةَ [فَقْدَ «خ ل»] نَبِيِّنَا وَكَثْرَةَ عَدُوِّنَا، وَقِلَّةَ عَدَدِنَا، وَهَوَانَنَا عَلَى النَّاسِ، وَشِدَّةَ الزَّمَانِ وَوُقُوعَ الْفِتَنِ بِنَا، أَللّٰهُمَّ فَفَرِّجْ ذٰلِكَ بِعَدْلٍ تُظْهِرُهُ، وَسُلْطَانِ حَقٍّ تَعْرِفُهُ.

فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَانِ بْنِ عَوْفٍ: «يَابْنَ أَبِي طَالِبٍ إِنَّكَ عَلَى هٰذَا الْأَمْرِ

---

١ ـ النعي: خبر الموت. وجملة: «لاعلى كعبها» دعائية، قال في النهاية:
وفي حديث قيله: «لايزال كعبك عالياً» هو دعاء لها بالشرف والعلو. وفي ترجمة عمار من الدرجات الرفيعة ص٢٦٢ وقريب منه في مروج الذهب: ٢٤٣/٢ـ قال: وروى الجوهري. قال: قام عمار يوم بويع عثمان، فنادى يامعشر المسلمين انا قد كنا وماكنا نستطيع الكلام قلة وذلة فأعزنا الله بدينه واكرمنا برسوله، فالحمد لله ربّ العالمين، يا معشر قريش الى متى تصرفون هذا الامر عن اهل بيت نبيكم تحولونه هاهنا مرة وههنا مرة، ما انا آمن ان ينزعه الله منكم ويضعه في غيركم كما نزعتموه من اهله ووضعتموه في غير اهله. فقال هشام بن المغيرة: يابن سمية لقد عدوت طورك، وماعرفت قدرك، ماأنت ومارمت قريش لانفسها، انك لست في شيء من أمرها وامارتها فتنح عنها. وتكلمت قريش باجمعها فصاحوا بعمار فانتهروه فقال: الحمد لله رب العالمين، مازال اعوان الحق اذلاء، ثم قام فانصرف.

قال الشعبي: واقبل عمار ينادي ذلك اليوم:

يا ناعي الاسلام قم فانعه | قد مات عرف وبدا منكر

امّا والله لوأن لي اعوانا لقاتلتهم، والله لان قاتلهم واحد لاكونن له ثانيا. فقال علي(ع): يا ابا اليقظان والله لا اجد عليهم اعوانا، ولااحب ان اعرضكم لما لا تطيقون.

اقول: وذكر في ترجمة نعمان بن زيد الانصاري من اعيان الشيعة ج٥ ص٩: انه انشد الاشعار يوم السقيفة، وفيها زيادة غير مذكورة هنا.

لَحَرِيْصٌ» فَقُلْتُ: لَسْتُ عَلَيْهِ حَرِيْصاً وَإِنَّمَا أَطْلُبُ مِيْرَاثَ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَحَقَّهُ وَأَنَّ وِلاءَ أُمَّتِهِ لِيْ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَنْتُمْ أَحْرَصُ عَلَيْهِ مِنِّيْ إِذْ تَحُوْلُوْنَ بَيْنِيْ وَبَيْنَهُ، وَتَصْرِفُوْنَ [وَتَضْرِبُوْنَ «خ ل»] وَجْهِيْ دُوْنَهُ بِالسَّيْفِ[1].

أَللّٰهُمَّ إِنِّيْ أَسْتَعْدِيْكَ عَلَىٰ قُرَيْشٍ فَإِنَّهُمْ قَطَعُوْا رَحِمِيْ وَأَضَاعُوْا أَيَّامِيْ[2] وَدَفَعُوْا حَقِّيْ وَصَغَّرُوْا قَدْرِيْ وَعَظِيْمَ مَنْزِلَتِيْ وَأَجْمَعُوْا عَلَىٰ مُنَازَعَتِيْ حَقّاً كُنْتُ أَوْلَىٰ بِهِ مِنْهُمْ[3] فَاسْتَلَبُوْنِيْهِ، ثُمَّ قَالُوا: «اصْبِرْ مَغْمُوماً أَوْمُتْ مُتَأَسِّفاً»[4] وَأَيْمُ اللهِ لَوِاسْتَطَاعُوْا أَنْ يَدْفَعُوا قَرَابَتِيْ كَمَا قَطَعُوا سَبَبِي فَعَلُوْا وَلٰكِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا إِلَىٰ ذٰلِكَ سَبِيْلاً[5].

[وَ] إِنَّمَا حَقِّيْ عَلَىٰ هٰذِهِ الْأُمَّةِ كَرَجُلٍ لَهُ حَق عَلَىٰ قَوْمٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مَعْلُوْمٍ، فَإِنْ أَحْسَنُوا وَعَجَّلُوْا لَهُ حَقَّهُ قَبِلَهُ حَامِداً، وَإِنْ أَخَّرُوْهُ إِلَىٰ أَجَلِهِ أَخَذَهُ غَيْرَ حَامِدٍ، وَلَيْسَ يُعَابُ الْمَرْءُ بِتَأْخِيْرِ حَقِّهِ، إِنَّمَا يُعَابُ مَنْ أَخَذَ مَالَيْسَ لَهُ[6] وَقَدْ كَانَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَهِدَ إِلَيَّ عَهْداً فَقَالَ: «يَابْنَ أَبِيْ طَالِبٍ لَكَ وِلاءُ أُمَّتِيْ فَإِنْ وَلَّوْكَ فِيْ عَافِيَةٍ وَأَجْمَعُوا عَلَيْكَ بِالرِّضَا[7] فَقُمْ بِأَمْرِهِمْ، وَإِنِ

---

١ ـ ولهذا الدعاء صور كثيرة صدرت عنه(ع) فى مختلف المقامات، وذكرنا بعض صوره فى الباب الرابع من كتابنا هذا فراجع، وصورة منه ذكرها السيد(ره) فى المختار (١٥، أو ١٦) من كتب نهج البلاغه.

٢ ـ وقريب منه جدا فى المختار (١٦٧، أو ١٧٠) من خطب نهج البلاغه.

ومعنى استعديك: استعين بك واشكو اليك واستنصرك عليهم لاخذ ظلامتي منهم، حيث انهم قطعوا رحمي عن رسول الله(ص) ولم يصلوه، واضاعوا ايامي المشهورة التي نصرت فيها الدين، وخصائصي التى اوجبت لي ولاية المسلمين.

٣ ـ والاولوية هنا تعيينية، كما فى قوله تعالى: «واولو الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله» ويدل عليه امور كثيرة منها قوله(ع) فى المختار (١٧٠) من خطب النهج: «واجمعوا على منازعتي امرا هولي» الخ. وقريب منها جدا فى المختار (٢١٤) من خطب النهج ايضا.

٤ ـ اى انهم لم يكتفوا بغصب حق فقط، بل زادوا عليه التعيير والتقريع.

٥ ـ هذا هو الظاهر، وفى النسخة: «ولكنهم لايجدون الى ذلك سبيلا».

٦ ـ وهذا مثل قوله عليه السلام ـ فى المختار (٢٨) من كتب نهج البلاغة ـ: «وما على المسلم من غضاضة فى ان يكون مظلوما ما لم يكن شاكاً فى دينه، ولا مرتابا بيقينه» الخ.

٧ ـ اي الامامة والولاية ثابتتان لك اجمعوا عليك بالرضا وطيب النفس ام لا، وأما القيام بأمر واعباء الامامة ←

اخْتَلَفُوا عَلَيْكَ فَدَعْهُمْ وَمَاهُمْ فِيهِ فَإِنَّ اللهَ سَيَجْعَلُ لَكَ مَخْرَجاً».

فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ وَلَامَعِي مُسَاعِدٌ إِلاَّ أَهْلَ بَيْتِي فَضَنَنْتُ[١] بِهِمْ عَنِ الْهَلَاكِ؛ وَلَوْ كَانَ لِي بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَمِّي حَمْزَةُ وَأَخِي جَعْفَرٌ لَمْ اُبَايِعْ كُرْهاً [مُكْرَهاً «خ»] وَلٰكِنَّنِي بُلِيتُ[٢] بِرَجُلَيْنِ ـ حَدِيثَيْ عَهْدٍ بِالإِسْلَامِ ـ الْعَبَّاسِ وَعَقِيلٍ، فَضَنَنْتُ بِأَهْلِ بَيْتِي عَنِ الْهَلَاكِ، فَأَغْضَيْتُ عَيْنِي عَلَى الْقَذَىٰ، وَتَجَرَّعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجَىٰ وَصَبَرْتُ عَلَىٰ أَمَرَّ مِنَ الْعَلْقَمِ، وَآلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ حَزِّ الشِّفَارِ[٣].

وَأَمَّا أَمْرُ عُثْمَانَ فَكَأَنَّهُ عِلْمٌ مِنَ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَايَضِلُّ رَبِّي وَلَايَنْسَىٰ[٤] خَذَلَهُ أَهْلُ بَدْرٍ.

فهو معلق على اجماعهم عليك ورضاهم بك، فان اجمعوا ورضوا بك فقم بامرهم، والا فدعهم.

١ ـ الرافد: المعين والمساعد. وضننت بهم ـ من باب علم ونفع ـ: بخلت بهم واحتفظت عليهم كما يبخل بالنفائس ويتحفظ عليها. وماهنا قريب جدا مما فى المختار (٢٥ و ٢١٤) من خطب النهج، وماذكره عليه السلام من خوفه على استيصاله واستيصال اهل بيته لو لم يبايع القوم، قد تواتر عنه عليه السلام والقرائن القطعية شاهدة له، قال عبد الرحمان بن عوف يوم بايع عثمان: يا علي فلاتجعل الى نفسك سبيلا فانه السيف لاغير. الامامة والسياسية ٢٧. وان تعمقت فى وصية عمر، أو ماجرى يوم السقيفة لترى الأمر جليا.

٢ ـ وفي نسخة البحار: «ولكني منيت» وهما بمعنى واحد، وماذكره عليه السلام بالنسبة الى العباس وعقيل جلي لمن تأمل فى سيرتهما فى بدء الاسلام الى زمان وفاتهما، وكذا الكلام بالنظر الى سيرة حمزة وجعفر(رض) فلو كانا حيين لمااغتنم اصحاب السقيفة اشتغال الوصي بتجهيز الرسول(ص) غنيمة باردة لنهب الخلافة، ولهابوهم هيبة الثعلب من الاسد، ولماوقع الوصي بين المحذورين: من اجتياح العترة وعود الكفر ـ لوقام لاحقاق حقه ودفع مخاصميه ـ ومن غصب حقه لو سكت.

٣ ـ «اغضيت عيني القذى» أي غمضتها عليه.

والاغضاء: غمض جفني العين وتطبيقهما حتى لايرى شيئا. والقذى: مايقع في العين من تبن ونحوه. والشجى: مااعترض فى الحلق من عظم ونحوه. والعلقم: شجر مر بالغ المرارة. ويطلقه العرب على كل مرّ. والحز: الوجع والالم. والشفار: جمع الشفرة كضربة: السكاكين العظيمة العريضة. قال محمد عبده: «وكل هذا تمثيل للصبر والاختناق على المضض الذي آلم به من حرمانه حقه وتألب القوم عليه».

٤ ـ لعل المراد ان امره كان شبيها بأمور وقعت على القرون الاولى التي لم تكونوا شاهدي اعمالهم لتعلموا حسن عاقبتهم او شناعتها، فعلمها عند الله الذي لاينسى، ولايضل، ولايعزب عنه شيء، وعلم الحوادث قبل

وَ قتلهُ أهلُ مِصْرَ، واللهِ ماأمَرْتُ وَلانَهَيْت، وَلَوْ أنّني أمَرْتُ كُنْتُ قاتِلاً، وَلَوْ أنّني نَهَيْتُ كُنْتُ ناصِراً، وَكانَ الأمْرُ لايَنْفَعُ فيْهِ العِيانُ، وَلايَشْفِي مِنْهُ الخَبَرُ،[1] غَيْرَ أنْ مَنْ نَصرَهُ لايَسْتَطِيْعُ أنْ يَقُوْلَ: هُوَ: «خَذَلَهُ مَنْ أنا خَيْرٌ مِنْهُ»

وقوعها فاثبتها فى اللوح المحفوظ.

ويمكن ان يريد(ع) من قوله: «فى كتاب» القرآن، فالمراد ان حاله يستعلم من القرآن، فان كان فى اعماله خائفا فله جنتان، وان كان ظالما غيرمبال بالله تعالى، فهو ممن يعض على يديه ويقول: ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا، ليتني لم اتخذ فلانا خليلا. ولعل هذا المعنى اوفق بقوله: «خذله اهل بدر» اذ اتباع معاوية وانصاره يروون عنه(ص) مامعناه: ان الله اطلع على اهل بدر فقال: اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم. وكذا يروون عنه(ص) قوله: اصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم. ولاخلاف ان جمهور البدريين من المهاجرين والانصار خذلوا عثمان، بل رؤساؤهم كطلحة والزبير كانوا ممن البوا على عثمان.

١ ـ لعل المعنى ان امره كان مشتبها على من عاين الامر، وعلى من سمع خبره، فلايعلم كيف وقع. او المعنى ان قتله شبه على اكثر الناس، فما علموا انه قتل حقا او باطلا. وقريب منه قول رسوله الى معاوية: «ان امر عثمان اشكل على من حضره، المخبر عنه كالاعمى، والسميع كالاصم» الخ. الامامة والسياسة ٨٣.

ثم ليعلم ان قوله(ع) هنا: «ولو انني امرت كنت قاتلا» الى قوله: «والله يحكم بينكم و بينه» رواه فى المختار (٣٠) من باب خطب نهج البلاغة، باختلاف طفيف في بعض الفاظه. وقطعة منه رواه البلاذري فى انساب الاشراف: ٩٨/٥ و ١٠١. ورواه ايضا فى ترجمة عثمان من تاريخ دمشق ج٢٥ ص١٥٩. وماقبلها بمغايرة طفيفة فى بعض الالفاظ، وبأسانيد عديدة فى بعض الفقرات.

وفي ترجمة كعب بن مالك الأنصاري من كتاب الأغاني: ١٦، ٢٣٣ ط مصر، وأخبرني أحمدبن عبيدالله بن عمار قال: حدثنا أبوجعفر محمد ابن منصور الربعي، وذكر أنه اسناد شآم، هكذا: قال: قال ابن عمار في الخبر وذكر حديثاً فيه طول لحسان بن ثابت والنعمان بن بشير، وكعب بن مالك، فذكرت ما كان لكعب فيه، قال: لما بويع لعلي بن أبي طالب عليه السلام بلغه عن حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، والنعمان بن بشير ـ وكانوا عثمانية ـ أنهم يقدمون بني أمية على بني هاشم، ويقولون: الشام خير من المدينة، واتصل بهم ان ذلك قد بلغه، فدخلوا عليه، فقال له كعب بن مالك: ياأميرالمؤمنين أخبرنا عن عثمان: اقتل ظالماً فنقول بقولك، أم قتل مظلوماً فنقول بقولنا ونكلك الى الشبهة فيه، فالعجب من تيقننا وشكك، وقد زعمت العرب أن عندك علم مااختلفنا فيه فهاته نعرفه، ثم قال:

كف يديه ثم اغلق بابه	وأيقن ان الله ليس بغافل
وقال لمن في داره لاتقاتلوا	عفا الله عن كل امريء لم يقاتل
فكيف رأيت الله صب عليهم الـ	ـعداوة والبغضاء بعد التواصل
وكيف رأيت الخير أدبر عنهم	وولى كادبار النعام الجوافل

فقال لهم علي عليه السلام: لكم عندي ثلاثة أشياء: استأثرعثمان فأساء الاثرة، وجزعتم فأسأتم الجزع،

وَلايَسْتَطِيعُ مَنْ خَذَلَهُ أَنْ يَقُولَ: «نَصَرَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي».

وَأَنا جامِعٌ أَمْرَهُ: إسْتَأْثَرَ فَأَساءَ الْأَثَرَةَ وَجَزِعْتُمْ فَأَسَأْتُمُ الْجَزَعَ، وَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ [بَيْنَنا «خ»] وَبَيْنَهُ، وَاللهِ مايَلْزَمُنِي فِي دَمِ عُثْمانَ تُهَمَةٌ [ثُلْمَةٌ «خ»] ماكُنْتُ إلّا رَجُلاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْمُهاجِرِينَ فِي بَيْتِي (كذا) فَلَمّا قَتَلْتُمُوهُ أَتَيْتُمُونِي تُبايِعُونِي فَأَبَيْتُ عَلَيْكُمْ وَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ، فَقَبَضْتُ يَدِي فَبَسَطْتُمُوها، وَبَسَطْتُها فَمَدَدْتُمُوها ثُمَّ تَداكَكْتُمْ عَلَيَّ تَداكَّ الْإِبِلِ الْهِيمِ عَلى حِياضِها يَوْمَ وُرُودِها[1] حَتّى ظَنَنْتُ أَنَّكُمْ قاتِلِيَّ وَأَنَّ بَعْضَكُمْ قاتِلُ بَعْضٍ، حَتّى انْقَطَعَتِ النَّعْلُ وَسَقَطَ الرِّداءُ، وَوُطِئَ الضَّعِيفُ وَبَلَغَ مِنْ سُرُورِ النّاسِ بِبَيْعَتِهِمْ إيّايَ أَنْ حُمِلَ إلَيْها الصَّغِيرُ وَهَدَجَ إلَيْها الْكَبِيرُ وَتَحامَلَ إلَيْها الْعَلِيلُ وَحَسَرَتْ لَها الْكِعابُ[2].

وعند الله ماتختلفون فيه الى يوم القيامة.

اقول ونقله عنه ابن عساكر في ترجمة كعب من تاريخ دمشق: ج٤٦ ص١٥٥٣، الّا أنه قال: «وذكر له أسناداً شامياً». وهو أظهر.

١ ـ التداك والتداكك: التدافع الذي يقع بين المتزاحمين الواردين على شيء واحد، فان كل واحد منهم يدك الآخر بمقاديم بدنه ليدفعه ويستقل هو بالمورود، والهيم: العطاش. وجمعه هياء ـ كعين وعيناء ـ. والورود: النزول. ومثله في المختار (٢٢٤، أو ٢٢٦) من خطب النهج، وكذا في المختار (٥٣) منها: «يوم وردها» وهو أيضاً يعطي معناه، اذ «الورد» يستعمل في الاشراف على الماء. وفي العطش. وفي الماء الذي يورد. وفي النصيب منه. وفي يوم شرب الماء.

٢ ـ وهذا قريب جداً مما في المختار (٢٢٤، أو ٢٢٦) من خطب نهج البلاغة، الا أن فيها: «ان ابتهج بها الصغير» وماهنا أبلغ، اذ حمل الصغار لبيعته(ع) يكشف عن فرط رغبة أوليائهم لبيعته، وتبركهم بها، ولهذا حملوا أولادهم معهم لبيعته(ع).

واما تفسير ألفاظه(ع) فيقال: «هدج ـ هدجاً» الظليم: مشى في ارتعاش. وهدجت الناقة: حنت على ولدها. والفعل من باب ضرب. وتحامل في الأمر وبالأمر والى الأمر: تكلفه على مشقة. و«وحسر كمه عن ذراعه» ـ من باب ضرب ونصر ـ: رفعه وكشفه. و«حسرت الجارية خمارها عن وجهها»: أسفرت وأبرزت وجهها برفع الخمار. و«الكعاب» ـ كحساب وكتاب ـ جمع الكعب ـ كفلس ـ وهو كل مفصل للعظام. ويراد منه هنا: الركبة أو الساق لمجاورته الركبة والعظمان الناشزان من جانبي القدم، فانها أيضاً يطلق عليها الكعب. و«الكعاب» ـ كسحاب وسراب ـ: الجارية حين يبدو ثديها للنهود، وهي الكاعب ـ بلاهاء ـ أي أن الجواري كشفت عن وجهها متوجهة الى بيعته عليه السلام لتعقدها بلااستحياء، لشدة

فَقالُوا: بايِعْنا عَلى ما بُويِعَ عَلَيْهِ أَبُوبَكْرٍ وَعُمَرُ، فَإِنّا لانَجِدُ غَيْرَكَ وَلانَرْضى إِلّا بِكَ، بايِعْنا لانَفْتَرِقُ وَلانَخْتَلِفُ. فَبايَعْتُكُمْ عَلى كِتابِ اللهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ[١] دَعَوْتُ النّاسَ إِلى بَيْعَتي فَمَنْ بايَعَني طائِعاً قَبِلْتُ مِنْهُ، وَمَنْ أَبى تَرَكْتُهُ، فَكانَ أَوَّلَ مَنْ بايَعَني طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ، فَقالا: «نُبايِعُكَ عَلى أَنّا شُرَكاؤُكَ فِي الْأَمْرِ». فَقُلْتُ: لا وَلكِنَّكُما شُرَكائي فِي الْقُوَّةِ وَعَوْناي فِي الْعَجْزِ[٢] فَبايَعاني عَلى هذا الْأَمْرِ، وَلَوْ أَبَيا لَمْ أُكْرِهْهُما كَما لَمْ أُكْرِهْ غَيْرَهُما.

وَكانَ طَلْحَةُ يَرْجُو الْيَمَنَ، وَالزُّبَيْرُ يَرْجُو الْعِراقَ، فَلَمّا عَلِما أَنّي غَيْرُ مُوَلِّيهِما

الرغبة والحرص على اتمام الأمر لأميرالمؤمنين عليه السلام. كذا أفاد الاستاذ محمد عبده في تعليقه على نهج البلاغة، وهذا المعنى على ماأختاره من ضبط «الكعاب» على زنة سحاب، وأما بناء على كونه على زنة الكتاب والحساب، فالمعنى أن الناس -رجالاً ونساء صغاراً وكباراً- لغاية فرحهم ونهاية عنايتهم وفرط شعفهم بخلافة أميرالمؤمنين عليه السلام كشفوا عن ساقهم وشمروا ذيلهم مسرعين اليه(ع) - كمن يعدو الى محبوبه الذي قد تألم بفراقه في برهة وآيس من حياته ووصاله ثم بشر بمجيئه وانه على شرف اللقاء -ليكونوا أول فائز بهذه المكرمة، ليتموه أو ليحكموه قبل سريان الفساد، وفوات الوقت، وعليه فـ«حسرت» مبني للمفعول. وغرضه عليه السلام من الكلام ان الامة بايعته مختارة مشتاقة من غير استدعاء منه عليه السلام. وماأقرب كلام ابن عم عدي بن حاتم لما وصف بيعته عليه السلام بالشام لمعاوية، لماذكره(ع) هنا، قال ابن عم عدي: «ثم تهافت الناس على علي بالبيعة تهافت الفراش حتى ضلت النعل، وسقط الرداء، ووطئ الشيخ - الى أن قال: - فحملوا اليه الصبي، ودبت اليه العجوز، وخرجت اليه العروس فرحاً به وسروراً وشوقاً اليه» الخ.

١ - لاعلى مابويع عليه أبوبكر وعمر، فان كتاب الله وسنة رسول الله غير محتاجين الى موافقتها ولامشترطان بهما، كما صرح هو عليه السلام بذلك لما قال له ابن عوف: أبايعك على أن تسير فينا بكتاب الله وسنة رسول الله وسيرة الشيخين. كما في تاريخ الطبري والكامل واليعقوبي - واللفظ له - فقال عليه السلام: ان كتاب الله وسنة نبيه لايحتاج معهما الى أجيري أحد، انت مجتهد أن تزوي هذا الأمر عني.

٢ - وفي المختار (٢٠٢) من قصار نهج البلاغة: «نبايعك على أنا شركاؤك في هذا الأمر. قال: لا ولكنكما شريكان في القوة والاستعانة، وعونان على العجز والاود. والاود - كفرس -: الاعوجاج. والكد والتعب وبلوغ الانسان مجهوده من ثقل الأمر ومشقته.

روى ابن أبي الحديد في شرح المختار (١٩٨) من خطب النهج: ج١٠ ص١٦، عن شيخه أبي عثمان أن طلحة والزبير أرسلا محمدبن طلحة الى أميرالمؤمنين عليه السلام وقالا له: قل لعلي: ولّ أحدنا البصرة والآخر الكوفة. فقال عليه السلام: لاها الله! اذا يحلم الاديم، ويستشرى الفساد، وتنتقض علي البلاد من أقطارها، والله انّي لاآمنها وهما عندي بالمدينة، فكيف آمنها وقد وليتها العراقين الخ.

اسْتَأْذَنانِي لِلْعُمْرَةِ يُرِيدانِ الْغَدْرَ، فَاتَّبَعا [فَأَتَيا «خ»] عائِشَةَ وَاسْتَخَفّاها ـ مَعَ كُلِّ شَيْءٍ فِي نَفْسِها عَلَيَّ [١] ـ وَالنِّساءُ نَواقِصُ الإيمانِ، نَواقِصُ الْعُقُولِ؛ نَواقِصُ الْحُظُوظِ، فَأَمّا نُقْصانُ إيمانِهِنَّ فَقُعُودُهُنَّ عَنِ الصَّلاةِ والصِّيامِ فِي أَيّامِ حَيْضِهِنَّ، وأَمّا نُقْصانُ عُقُولِهِنَّ فَلاشَهادَةَ لَهُنَّ إلاّ في الدَّيْنِ، وَشَهادَةُ امْرَأَتَيْنِ بِرَجُلٍ، وَأَمّا نُقْصانُ حُظُوظِهِنَّ فَمَوارِيثُهُنَّ عَلَى الأَنْصافِ مِنْ مَوارِيثِ الرِّجالِ [٢].

وَقادَهُما عَبْدُ اللهِ بْنُ عامِرٍ إِلَى الْبَصْرَةِ، وَضَمِنَ لَهُما الأَمْوالَ وَالرِّجالَ، فَبَيْناهُما يَقُودانِها إِذْ هِيَ تَقُودُهُما (كذا) فَاتَّخَذاها فِئَةً يُقاتِلانِ دُونَها [٣] فَأَيُّ خَطِيئَةٍ أَعْظَمُ مِمّا أَتَيا، أَخْرَجا [٤] زَوْجَةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ بَيْتِها

---

١ ـ يقال: استخف زيد عمراً: أزاله عن الحق والصواب. حمله على الخلاعة. واستخف به: استهان به. وفي المختار (١٥١، أو ١٥٤) من خطب نهج البلاغة: «وأما فلانة فادركها رأي النساء، وضغن غلى في صدرها كمرجل القين، ولودعيت لتنال من غيري ماأتت إلي لم تفعل، ولها بعد حرمتها الأولى والحساب على الله». قال محمد عبده مفتي الديار المصرية ـ في تعليقة على هذا المقام ـ: المرجل: القدر. والقين ـ بالفتح ـ: الحدادة، أي ان ضغينتها وحقدها كانا دائمي الغليان كقدر الحداد ـ فانه يغلي مادام يصنع ـ ولو دعاها أحد لتصيب من غيري غرضاً من الاساءة والعدوان مثل ماأتت اليّ ـ أي فعلت بي ـ لم تفعل لان حقدها كان علي خاصة.

وروى الشيخ المفيد(ره) في كتاب الجمل ٨١، عن عايشة انها كانت تقول: «لم يزل بيني وبين علي من التباعد مايكون بين بنت الاحماء». وروى عنها أيضاً أنها قالت: «لاجرم انّي لاأحب علياً أبداً».

٢ ـ ومن قوله عليه السلام: «والنساء نواقص الإيمان ـ الى قوله ـ: على الانصاف من مواريث الرجال» رواه السيد الرضي(ره) في المختار(٧٧) من خطب نهج البلاغة، وقال: خطبها عليه السلام بعد حرب الجمل، ورواه أيضاً السبط ابن الجوزي مع المختار (١٣) و(١٤) من الباب الأول من النهج، وحكاه السيد عبدالزهراء الخطيب (حفظه الله وزاد في توفيقه) عن كتاب قوت القلوب لأبي طالب المكي المتوفى سنة (٣٨٢) ج١، ص٢٨٢.

٣ـ كذا في النسخة، وفي محاجة ابن عباس مع عبدالله بن الزبير التي ذكرها ابن أبي الحديد، في شرح المختار (٤٥٨) من قصار نهج البلاغة: ج٢٠ ص١٣٠: «فانطلق أبوك وخالك الى حجاب مده الله عليها، فهتكاه عنها ثم اتخذاها فتنة يقاتلان دونها، وصانا حلائلهما في بيوتهما، فاانصفا الله ولامحمداً من انفسهما أن أبرزا زوجة نبيه وصانا حلائلهما» الخ.

٤ ـ هذا هو الظاهر، وفي المخطوطة من معادن الحكمة والمطبوع من كشف المحجة والبحار: «اخراجها زوجة رسول الله» الخ ويحتمل بعيداً صحة النسخة، وكون لفظة «اخراجها» بدلاً من قوله: «ماأتيا» أي أي خطيئة أعظم من اخراجها زوجة رسول الله وكشفها عنها حجاباً ضربه الله عليها.

فَكَشَفَا عَنْهَا حِجَاباً سَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهَا وَصَانَا حَلائِلَهُمَا فِي بُيُوتِهِمَا، وَلا أَنْصَفَا اللهَ وَلا رَسُولَهُ مِنْ أَنْفُسِهِمَا[1] ثَلاثَ [بِثَلاثِ «م»] خِصَالٍ مَرْجِعُهَا عَلَى النَّاسِ -[فِي كِتَابِ اللهِ-]: البَغْيُ وَالْمَكْرُ وَالنَّكْثُ[2].

قَالَ اللهُ تَعَالَى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ»[3] وَقَالَ: «وَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ»[4] وَقَالَ: «وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ»[5] فَقَدْ بَغَيَا عَلَيَّ وَنَكَثَا بَيْعَتِي وَمَكَرَانِي [وَمَكَرَا بِي «خ»] فَمُنِيتُ بِأَطْوَعِ النَّاسِ فِي النَّاسِ عَائِشَةَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ[6] وَبِأَشْجَعِ [وَبِأَنْجَعِ «خ ل»] النَّاسِ الزُّبَيْرِ، وَبِأَخْصَمِ النَّاسِ طَلْحَةَ بْنِ

١- ومثله في احتجاج عبدالله بن عباس مع عبدالله بن الزبير، كما في شرح المختار (٤٥٨) من قصار النهج من ابن أبي الحديد، وفي ج٣ من الطبري ص٤٨٢ ماتلخيصه: وخرج غلام شاب من بني سعيد الى طلحة والزبير، فقال: أرى أمكما معكما فهل جئتما بنسائكما. قالا: لا. قال: فأنا منكما في شيء فأعتزلهما وقال:

صنتم حلائلكم وقدتم أمكم ... هذا لعمرك قلة الانصاف
أمرت بجر ذيولها في بيتها ... فهوت تشق البيد بالايجاف
غرضاً يقاتل دونها أبناؤها ... بالنبل والخطي والأسياف
هتكت بطلحة والزبير ستورها ... هذا المخبر عنهم والكافي

٢- بين المعقوفين مأخوذ من تفسير علي بن ابراهيم(ره) -على مارواه عنه في البحار: ٨، ٤١٤- والسياق في حاجة اليه، والمراد من كتاب الله أما القرآن الكريم أو حكم الله، أي ان الخصال الثلاثة أولها ومرجعها والابتلاء بلوازمها الكريهة الى الناس - وهو فاعل هذه الخصال - في القرآن، أي ان في القرآن ثابت ومذكور أن من أتى بهذه الخصال فهو بنفسه يقع في نتائجها السيئة. أو ان الثابت في حكم الله وقضائه هو ابتلاء الباغي والماكر والناكث ببغيه ومكره ونكثه.

ومن كلام بعض الحكماء: «ثلاثة من كنّ فيه لم يفلح: البغي والمكر السيّء والنكث. ونقل ابن أبي الحديد - في آخر شرحه للمختار (٤١) من خطب نهج البلاغة، ج٢ ص٢١٧ ط مصر- عن أبي بكر أنه قال: «ثلاث من كنّ فيه كن عليه: البغي النكث والمكر» ثم ذكر الآيات الثلاث. أقول: أقرأ قوله هذا، وتأمل فيما صنع هو وصاحبه مع أهل البيت(ع)، ونعم ماقال الشاعر:

فلا تسعى على أحد ببغي ... فإنّ البغي مصرعه وخيم

وقال العتابي:

بغيت فلم تقع الا صريعاً ... كذاك البغي يصرع كل باغ

٣و٤و٥ - الآية (٢٣) من سورة يونس: ١٠، الآية العاشرة من سورة الفتح: ٤٨، والآية الثالثة والأربعون من سورة فاطر: ٣٥.

٦- منيت: أبتليت. وفي بعض المقامات قد عبر(ع) بلفظ «بليت» ومعنى كونها أطوع الناس - على ماقاله

عُبَيْدِ اللهِ، وَأَعانَهُمْ عَلَيَّ يَعْلى بْنُ مُنْيَةَ بِـأَصْوَعِ الدَّنانِيْرِ، وَاللهِ لَئِـنْ اسْتَقامَ أَمْرِيْ لَأَجْعَلَنَّ مالَهُ فَيْئاً لِلْمُسْلِمِيْنَ[١].

ثُمَّ أَتَوا الْبَصْرَةَ وَأَهْلُها مُجْتَمِعُوْنَ عَلى بَيْعَتِيْ وَطاعَتِيْ وَبها شِيْعَتِيْ: خُزّانُ بَيْتِ مالِ اللهِ وَمالِ الْمُسْلِمِيْنَ فَدَعَوُا النّاسَ إِلى مَعْصِيَتِيْ وَإِلى نَقْضِ بَيْعَتِيْ وَطاعَتِيْ، فَمَنْ أَطاعَهُمْ أَكْفَرُوْهُ وَمَنْ عَصاهُمْ قَتَلُوْهُ.[٢] فَناجَزَهُمْ حَكِيْمُ بْنُ

المجلسي الوجيه(ره)- أنها لقلة عقلها كانت تطيع الناس في كل باطل مما يختلقون على أهل البيت(ع). أو على بناء المفعول، أي كان الناس يطيعونها في كل ماتريد، والأول أظهر لفظاً، والثاني أظهر معنى.

١- وفي ترجمة عبدالله بن عامر، من تاريخ دمشق: ج٣٠، انه قال عليه السلام: «أتدرون من حاربت (حاربت) أمجد الناس - أو أنجد الناس- يعني ابن عامر، وأشجع الناس - يعني الزبير - وأدهى الناس طلحة بن عبيدالله. وفي أنساب السمعاني: ج١، ص٢١٦، في لفظ الأسدي تحت الرقم ١٣٧، ط الهند: وكان علي رضى الله عنه يقول: «بليت بأطوع الناس وأشجع الناس» أراد بالأول عايشة، وبالثاني الزبير. وفي وقعة الجمل من «العقد الفريد: ج٣ ص١٠٢، ط٢: وكان علي بن أبي طالب يقول: «بليت بأنض الناس (ظ) وانطق الناس، وأطوع الناس في الناس، وفي ترجمة «يعلى» من المعارف لابن قتيبة: «فقال علي حين بلغه قدومهم البصرة: بليت بأشجع الناس -يعني الزبير- وأبين الناس - يعني طلحة - وأطوع الناس للناس - يعني عائشة - وانض الناس - أي أكثرهم مالا، يعني يعلى بن منية». ومثله معنى في أنساب الأشراف.

٢- «اكفروه» أي حملوه على عصياني وكفران نعمتي، او صيروه كافراً.

وفي كتاب الجمل ١٦٤،: فلما فرغ (طلحة) من كلامه قام عظيم من عظماء عبدالقيس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس أنه قد كان والي هذا الأمر وقوامه المهاجرون والانصار بالمدينة، ولم يكن لأحد من أهل الأمصار أن ينقضوا ماأبرموا ولايبرموا مانقضوا، فكانوا اذا رأوا رأياً كتبوا به الى الأمصار، فسمعوا لهم وأطاعوا وان عائشة وطلحة والزبير كانوا أشد الناس على عثمان حتى قتل وبايع الناس علياً، وبايعه في جملتهم طلحة والزبير، فجاءنا نبأهما ببيعتها له فبايعناه، فوالله لانخلع خليفتنا ولاننقض بيعتنا. فصاح عليه طلحة والزبير، وأمرا بقرض لحيته فنتفوها حتى لم يبق منها شيء.

قال الشيخ المفيد - وقريب منه في تاريخ الطبري: ج٣ ص٤٨٠-: وقام رجل من بني جشم، فقال: أيها الناس أنا فلان بن فلان فاعرفوني - وانما انتسب لهم ليعلموا ان له عشيرة تمنعه فلايعجل عليه من لايوافقه كلامه - أيها الناس انّ هؤلاء القوم ان كانوا جاؤكم بدم عثمان، فوالله ماقتلنا عثمان، وان كانوا جاؤكم خائفين فوالله ماجاؤا الّا من حيث يأمن الطير، فلا تغتروا بهم، واسمعوا قولي وأطيعوا أمري وردوا هؤلاء القوم الى مكانهم الذي منه أقبلوا، وأقيموا على بيعتكم لإمامكم، وأطيعوا لأميركم.

فصاح عليه الناس من جوانب المسجد، وقذفوه بالحصى.

ثم قام رجل آخر من متقدمي عبد القيس، فقال: أيها الناس أنصتوا حتى أتكلم. فقال له عبد الله بن

جَبَلَة[١] فقتَلُوهُ فِي سَبْعِينَ رَجُلاً مِنْ عُبَّادِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَمُخْبِتِيهِمْ يُسَمُّونَ الْمُثَفَّنِينَ كَأَنَّ راحَ أَكُفِّهِمْ ثَفِنَاتُ ابِلٍ[٢].

وَأَبى أَنْ يُبَايِعَهُمْ يَزِيدُ بْنُ الْحارِثِ الْيَشْكُرِيُّ، فَقَالَ: «اتَّقِيَا اللهَ، إِنَّ أَوَّلَكُمْ قَادَنَا إِلَى الْجَنَّةِ فَلَايَقُودُنَا آخِرُكُمْ إِلَى النَّارِ، فَلا تكَلِّفُونَا أَنْ نُصَدِّقَ الْمُدَّعِيَ وَنَقْضِيَ عَلَى الْغَائِبِ، أَمَّا يَمِينِي فَشَغَلَهاعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بِبَيْعَتِي إِيَّاهُ وَهٰذِهِ شِمالِيْ فَارِغَةٌ فَخُذاها إِنْ شِئْتُما». فَخُنِقَ حَتَّى مَاتَ رَحِمَهُ اللهُ.

وقَامَ عَبْدُ اللهِ بْنُ حَكِيمٍ التَّمِيمِيُّ فَقَالَ: «يَاطَلْحَةُ هَلْ تَعْرِفُ هٰذا الْكِتَابَ. قَالَ: نَعَمْ هٰذا كِتَابِيْ إِلَيْكَ. قَالَ: هَلْ تَدْرِيْ مَافِيهِ؟ قَالَ: اقْرَأهُ عَلَيَّ. [فَقَرَأَه]

الزبير: ويلك مالك وللكلام. فقال مالي وله، أنا والله للكلام و به وفيه، ثم حمد الله وأثنى عليه وذكر النبي فصلى عليه وقال: يا معشر المهاجرين كنتم أول الناس اسلاماً، بعث الله محمداً نبيه بينكم فدعاكم فأسلمتم، وأسلمنا لإسلامكم، فكنتم القادة ونحن لكم تبع، ثم توفي رسول الله فبايعتم رجلاً منكم لم تستأذنونا في ذلك فسلمنا لكم، ثم ان ذلك الرجل توفي واستخلف عمر بن الخطاب، فوالله ما استشارنا في ذلك، فما رضيتم وسلمنا، ثم ان عمر جعلها شورى في ستة نفر، فاخترتم منهم واحداً فسلمنا لكم واتبعناكم، ثم ان الرجل أحدث احداثاً أنكرتموها فحصرتموه وخلعتموه وقتلتموه، ومااستشرتمونا في ذلك، ثم بايعتم علي بن أبي طالب ومااستشرتمونا في بيعته فرضينا وسلمنا وكنّا لكم تبعاً، فوالله ماندري بماذا نقضتم عليه هل استأثر بمال، أوحكم بغير ما أنزل الله، أو أحدث منكراً، فحدثونا به نكن معكم، فوالله مانراكم الا قد ضللتم بخلافكم له.

فقال له ابن الزبير: ماأنت وذاك. وأراد أهل البصرة أن يثبوا عليه فمنعته عشيرته، قال الطبري ـ في ج٣ ص٤٨٦ ـ فلما كان الغد وثبوا عليه وعلى من كان معه فقتلوا سبعين رجلاً.

١ ـ ضبطه ابن حجر تحت الرقم (١٩٩٤) من الاصابة: ج١، ٣٧٩ ط مصر، مصغراً، وعقد له ترجمة حسنة أبوعمر في أواسط حرف الحاء من الاستيعاب بهامش الاصابة: ج١، ص٣٢٣، وفيها شواهد لما هنا.

٢ ـ «المخبتي»: جمع المخبت ـ وحذف النون للاضافة ـ وهو من قولهم: «أخبت الى الله»: اطمأن اليه تعالى وسكنت قلوبهم ونفوسهم اليه، وتخشعوا وتواضعوا له، ومنه قوله تعالى في الآية (٢٣) من سورة هود: «ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم أولئك أصحاب الجنة». والآية (٣٤) من سورة الحج: «فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين». و«المثفنين»: جمع المثفن: صاحب الثفنة ـ بفتح الثاء المثلثة، وكسر الفاء ـ: ماغلظ لكثرة السجود من الجبهة والركبة وباطن الأكف، ومن أجلها سمي الإمام زين العابدين(ع) بذي الثفنات.

ثم ان قتل سبعين نفراً مع حكيم بن جبلة مما صرح به الطبري في تأريخه: ٢، ٤٩١، وعبارة تأريخ الكامل: ٣، ١١٢، ظاهرة فيه.

فَإذاً فِيهِ عَيْبُ عُثْمانَ، وَدُعاؤُهُ إلىٰ قَتْلِهِ»[١] فَسَيَّرُوهُ مِنَ الْبَصْرَةِ وَأَخَذُوا عامِلِي عُثْمانَ بْنَ حُنَيْفٍ الأَنْصارِي غَدْراً فَمَثَّلُوا بِهِ كُلَّ الْمُثْلَةِ، وَنَتَفُوا كُلَّ شَعْرَةٍ فِي رأسِهِ وَوَجْهِهِ[٢].

وَقَتَلُوا شِيْعَتِي طائِفَةً صَبْراً وَطائِفَةً غَدْراً، وَطائِفَةٌ عَضُّوا بِأَسْيافِهِمْ حَتّىٰ لَقُوا اللهَ[٣] فَوَاللهِ لَوْ لَمْ يَقْتُلُوا مِنْهُمْ إلّا رَجُلاً واحِداً لَحَلَّ لِي بِهِ دِماؤُهُمْ وَدِماءُ ذٰلِكَ

---

١ ـ وذكره وصرح باسمه في وقعة الجمل من انساب الاشراف ص٣٤٩، وفي كتاب الجمل ص١٦٣، والامامة والسياسة ص٦٨: مايعضد هذا المضمون، في الثاني: فبيناهم كذلك ـ: أي فمن قائل صدقت عايشة فيما قالت، ومن قائل: كذبت، حتى ضرب بعضهم وجوه بعض ـ اذ أتاهم رجل من أشراف البصرة بكتاب كان كتبه طلحة في التأليب على قتل عثمان، فقال لطلحة: هل تعرف هذا الكتاب؟ قال: نعم، قال فاردك على ماكنت عليه، وكنت أمس تكتب إلينا تؤلبنا على قتل عثمان، واليوم تدعونا الى الطلب بدمه، وقد زعمتما انّ علياً دعاكما الى أن تكون البيعة لكما قبله، اذ كنتما أسن منه، فأبيتما الاّ أن تقدماه لقرابته وسابقته فبايعتماه، فكيف تنكثان بيعتكما بعد الذي عرض عليكما. قال طلحة: دعانا الى البيعة بعد أن اغتصبها وبايعه الناس، فعلمنا حين عرض علينا انه غير فاعل، ولو فعل أبي ذلك المهاجرون والإنصار، وخفنا ان نرد بيعته فنقتل فبايعناه كارهين. قال: فابدا لكما في عثمان. قال ذكرنا ماكان من طعننا عليه وخذلاننا إياه فلم نجد من ذلك مخرجاً الاّ الطلب بدمه، قال: فاتأمرانني به. قال: بايعنا على قتال علي ونقض بيعته. قال: أرأيتما ان أتانا بعدكما من يدعونا الى ماتعدوان اليه مانصنع. قالا: لا تبايعه قال: ماانصفتما أتأمرانني أن أقاتل علياً وانقض بيعته وهي في أعناقكما، وتنهياني عن بيعة من لابيعة له عليكما، أما اننا قد بايعنا، فان شئتما بايعناكما بيسار أيدينا.

وفي كتاب الجمل ١٦٣: وبلغ كلام طلحة مع أهل البصرة الى عبدالله بن حكيم التميمي فصار اليه وقال له: ياطلحة هذه كتبك وصلت إلينا بعيب عثمان بن عفان وخبرك عندنا بالتأليب عليه حتى قتل، وبيعتك علياً في جماعة الناس ونكثك بيعته من غير حدث كان منه فيما بلغني عنك، وفيما جئت بعد الذي عرفناه من رأيك في عثمان. فقال له طلحة: أما عيبي لعثمان وتأليبي عليه، فقد كان، فلم نجد لنا من الخلاص منه سبيلاً الاّ التوبة فيما اقترفناه من الجرم له، والأخذ بدمه، واما بيعتي له، فاني أكرهت على ذلك، وخشيت منه أن يؤلب علي أن امتنعت من بيعته، ويغري بي فيمن أغراه بعثمان حتى قتله. فقال له عبدالله بن حكيم: هذه معاذير يعلم الله باطن الأمر فيها، وهو المستعان على مانخاف من عاقبة أمرها.

٢ ـ وهذا مما أتفق عليه المؤرخون وأرباب الحديث، وفي معادن الحكمة: «وأخذا عاملي» بتثنية الضمير فيه ومابعده.

٣ ـ هذا مع كثير مما قبله ومابعده مذكور في الخطبة (١٦٧، أو ١٧٠) من نهج البلاغة. قال السبط ابن الجوزي في التذكرة ص٧٤: ونهبوا بيت مال البصرة وقتلوا سبعين رجلاً من المسلمين بغير جرم، فهم أول من قتل في الإسلام ظلماً. وفي الإمامة والسياسة ٦٩: فقتلوا أربعين رجلاً من الحرس. وفي كتاب الجمل ١٥١:

الْجَيْشِ لِرِضَاهُمْ بِقَتْلِ مَنْ قُتِلَ[1] دع [مَعَ «خ ل»] أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا أَكْثَرَ مِنَ الْعِدَّةِ الَّتِي قَدْ دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ[2] وَقَدْ أَدَالَ اللهُ مِنْهُمْ «فَبُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ»[3] فَأَمَّا طَلْحَةُ فَرَمَاهُ مَرْوَانُ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ[4] وَأَمَّا الزُّبَيْرُ فَذَكَّرْتُهُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «إِنَّكَ تُقَاتِلُ عَلِيّاً وَأَنْتَ ظَالِمٌ لَهُ»[5].

فاقتتلوا مع عثمان بن حنيف حتى زالت الشمس وأصيب من عبدالقيس خمسمأة شيخ مخضوب من شيعة أميرالمؤمنين سوى من أصيب من سائر الناس ـ وساق الكلام الى أن قال: ـ حتى أتوا دار الإمارة وعثمان غافل عنهم (لان هذا كان بالليل، وكان بعد العهد والميثاق على أن لايتعرض أحد الفريقين للآخر) وعلى باب الدار «السبابجة» يحرسون بيوت الأموال وكانوا قوماً من الزط، فوضعوا فيهم السيف من أربع جوانبهم فقتلوا أربعين رجلاً منهم صبراً، يتولى منهم ذلك الزبير خاصة الخ. وفي الطبري: ج٣ ص٤٨٥: فشهر الزط والسبابجة السلاح ثم وضعوه فيهم فأقبلوا عليهم فأقتتلوا في المسجد وصبروا لهم فأناموهم وهم أربعون الخ. وفي تأريخ الكامل: ٣، ١١٠،: فشهر الزط والسبابجة ثم وضعوه فيهم فأقبلوا عليهم فاقتتلوا في المسجد فقتلوا وهم أربعون رجلاً الخ. وقريب منه جداً في وقعة الجمل من أنساب الأشراف ٣٤٩.

١ ـ روى الشيخ المفيد(ره) عن أبي الحسن علي بن خالد المراغي، عن علي بن سليمان، عن محمد بن النهاوندي، عن أبي الخزرج الأسدي، عن محمد بن الفضل، عن أبان بن أبي عياش، قال جعفر بن أياس (كذا) عن أبي سعيد الخدري، قال: وجد قتيل على عهد رسول الله(ص) فخرج مغضباً حتى رقي المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يقتل رجل من المسلمين لايدرى من قتله، والذي نفسي بيده لو أن أهل السماوات والأرض اجتمعوا على قتل مؤمن أو رضوا به لأدخلهم الله النار، والذي نفسي بيده لايجلد أحد أحداً الا جلد غداً في نار جهنّم مثله، والذي نفسي بيده لايبغضنا أهل البيت أحد الا أكبه الله على وجهه في نار جهنّم.

٢ ـ وفي ختام شرح المختار (٣٦) من خطب نهج البلاغة من شرح ابن أبي الحديد: ج٢ ص٢٨٢: وروى أبوعبيدة معمر بن المثنى قال: استنطقهم علي عليه السلام بقتل عبدالله بن خباب فأقروا به، فقال: انفردوا كتائب لأسمع قولكم كتيبة كتيبة. فكتبوا كتائب، وأقرت كل كتيبة بمثل ما أقرت به الأخرى من قتل ابن خباب، وقالوا: ولنقتلنك كما قتلناه. فقال علي: والله لوأقر أهل الدنيا كلّهم بقتله هكذا وأنا أقدر على قتلهم به لقتلتهم الخ.

٣ ـ أدال الله منهم: جعل الكرة لنا عليهم. ويقال: أدال الله زيداً من عمرو: نزع الدولة من عمرو وحولها الى زيد.

٤ ـ لااختلاف بين المؤرخين والمحدثين في ذلك، وشواهده متواترة.

٥ ـ هذا أيضاً مذكور في كثير من كتب التأريخ والتراجم والحديث، قال ابن عبدربه في عنوان: «مقتل الزبير» من كتاب المسجدة الثانية من العقد الفريد: ٣، ١١٠، ط٢،: عن شريك، عن الأسود بن قيس، قال: حدثني من رأى الزبير يوم الجمل يقعص الخيل بالرمح قعصاً، فنوه به علي عليه السلام أبا عبدالله أتذكر يوماً أتانا النبي صلّى الله عليه وسلّم وأنا أناجيك فقال: أتناجيه والله ليقاتلنك وهو ظالم لك.

وَأَمّا عايِشَةُ فَإِنَّها كانَتْ [ظ] نَهاها رَسُولُ اللهِ [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ «خ»] عَنْ مَسِيرِها فَعَضَّتْ يَدَيْها نادِمَةً عَلى ما كانَ مِنْها [١].

وَقَدْ كانَ طَلْحَةُ لَمّا نَزَلَ «ذاقار» قامَ خَطِيباً فَقالَ أَيُّها النّاسُ إِنّا أَخْطَأْنا في عُثْمانَ خَطِيئَةً مايُخْرِجُنا مِنْها إِلاَّ الطَّلَبُ بِدَمِهِ، وَعَلِيٌّ قاتِلُهُ وَعَلَيْهِ دَمُهُ، وَقَدْ نَزَلَ «دارن» [دارا «م»] مَعَ شُكّاكِ الْيَمَنِ وَنَصارى رَبِيعَةَ وَمُنافِقِي مُضَرَ» [٢].

فَلَمّا بَلَغَنِي قَوْلُهُ وَقَوْلٌ كانَ عَنِ الزُّبَيْرِ قَبِيحٌ [٣] بَعَثْتُ إِلَيْهِما أُناشِدُهُما بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ (أَ) ما أَتَيْتُمانِي وَأَهْلُ مِصْرَ مُحاصِرُوا عُثْمانَ فَقُلْتُما: «إِذْهَبْ بِنا إِلى هٰذَا الرَّجُلِ فَإِنّا لانَسْتَطِيعُ قَتْلَهُ إِلاَّ بِكَ. لِما تَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَّرَ أَباذَرٍّ رَحِمَهُ اللهُ، وَفَتَقَ عَمّاراً وَآوَى الْحَكَمَ بْنَ أَبِي الْعاصِ ـ وَقَدْ طَرَدَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

---

١ ـ لانها لم تنجح في مقصدها واستبانت مخالفتها لله ولرسوله للجميع، لانها ندمت على قتل بنيها ومحاربة إمامها، والدليل ماتواتر عنها حتى من أوليائها من أنها لما بلغها استشهاد الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام استبشرت وانشدت:

فان يك نائياً فلقد نعاه ... غلام ليس في فيه التراب

فعابها الناس وقالت لها زينب بنت سلمةبن أبي سلمة: ألعلي تقولين هذا. فقالت: اني أنسى فذكروني. ومن راجع سيرتها يراها من أولها وآخرها موسومة بوسمة الإنحراف عنه(ع) فراجع.

٢ ـ ذوقار: اسم ماء لبكربن وائل بين الكوفة والبصرة، وهوالموضع الذي وقع فيه الحرب بين جند «پرويز» ملك ايران، وبين العرب قبل الاسلام، فانتصرت العرب على الإيرانيين وهزموهم. قيل: وهذا الماء يقع على بعد عشر كيلو مترات من الناصرية ويسميه العامة «المقير».

وأما «دارن» ـ أو «دارا» بناء على نسخة معادن الحكمة ـ فلم أجد ماينطبق على المورد، نعم ذكر في مادة «دار» من القاموس من أن «دارا» مدينة بين «نصيبين» و«ماردين» ـ بناها «دارا» ملك ايران ـ وواد بديار بني عامر.

٣ ـ لعله اشارة الى مارواه الشيخ المفيد في كتاب الجمل ١٥٥، والطبري في تأريخه: ج٣، ص٤٩١، واللفظ له، قال: لما بايع أهل البصرة الزبير وطلحة، قال الزبير: الا ألف فارس أسير بهم الى علي فأما بيته واما صبحته لعلي أقتله قبل أن يصل الينا. فلم يجبه أحد، فقال: ان هذه لهي الفتنة التي كنا نحدث عنها. فقال له مولاه: أتسميها فتنة وتقاتل فيها. قال: ويحك أنا نبصر ولانبصر ـ وفي رواية الشيخ المفيد: ولانصبر ـ ماكان أمر قط الاّ علمت موضع قدمي فيه غير هذا الأمر، فاني لاأدري أمقبل فيه أم مدبر. ورواه أيضاً في الكامل: ٣، ١١٢، بلفظ أوضح.

وَأَبُوْ بَكْرٍ وَعُمَرُ. وَاسْتَعْمَلَ الْفَاسِقَ عَلَى كِتَابِ اللهِ[١] الوَلِيْدَ بنَ عُقْبَةَ، وَسَلَّطَ خَالِدَبنَ عُرْفُطَةَ الْعَذْرِيَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ يُمَزِّقُهُ وَيُخَرِّقُهُ» فَقُلْتُ: كُلَّ هٰذا قَدْ عَلِمْتُ ولاأرى قتلهُ يومِي هٰذا. وَأَوْشَكَتْ (وَأَوشَكَ «خ») سقاوُهُ أَنْ يُخرجَ الْمَخْضُ زُبْدتَهُ[٢] فأقرا بما قُلْتُ.

وَأَمَّا قَوْلُكُما[٣] «إنّكُما تَطلُبانِ بِدمِ عُثْمانَ» فهٰذان ابْناهُ عَمْرٌو وَسعيْدٌ فَخلُّوا عَنهُما يَطْلُبانِ دَمَ أبيْهِما (وَ) مَتىٰ كَانَ أسدٌ وتيمٌ أَوْلِياءُ بَني أُمَيَّةَ، فَانْقَطَعا عِنْدَ ذٰلِكَ.

فَقَامَ عِمْرانُ بْنُ حُصَيْنِ الْخُزاعِيُّ[٤] صاحِبُ رَسُولِ اللهِ [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ «م»] وَقالَ: «يا هٰذانِ لا تُخْرِجانا بِبَيْعَتِكُما مِنْ طاعَةِ عَليٍّ وَلا تَحمِلانا عَلىٰ نَقْضِ بَيْعَتِهِ فَإنَّها للهِ رِضىً، أما وَسِعَتْكما بُيُوتُكُما حَتَّى أتيْتُما

---

١ - «على» بمعنى «في» وهذا اشارة الى قوله تعالى في الآية السادسة من سورة الحجرات: «يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا». والآية «١٨» من سورة السجدة: ٣٢: «أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لايستون».

٢ - المخض: تحريك السقاء الذي فيه اللبن ليخرج مافيه من الزبدة وهذا مثل، والمعنى انه يفعل بنفسه مايحصل به المقصود. أو يفعل هؤلاء المجلبون مايغني عن فعل غيرهم.

٣ - هذا عطف على المعنى المستفاد من الكلام السابق، فان خطبة طلحة كانت مشتملة على معنيين، ومتضمنة لدعويين، الأولى أن علياً قاتل عثمان وعليه دمه. والثانية أنا نطلب بدم عثمان لنخرج بذلك عمّا أخطانا في حقّه. ومحصل كلام أميرالمؤمنين(ع) وجوابه: اني بعثت اليها وناشدتها وقلت لهما: أما قولكما انّي قاتل عثمان فكذب وزور صريح لانكما اتيتماني واستعنتما بي فأمرتكم بالصبر، فلم تقبلوا قولي، وسعيتم عليه حتى قتل، وأما قولكما «أنا نطلب بدم عثمان» فعثمان من بني أمية، وأنتما من «أسد» و«تيم» ومتى كان أسد وتيم أولياء بني أمية، انما أولياء عثمان ابناه عمرو وسعيد، فخلوا عنها يطلبان دم أبيها.

٤ - الكعبي أبوبجيد، وهو الذي جاءت عنه الأحاديث عن رسول الله. أقول: هذه القطعة كانت في المتن، ومعلوم انها ليست من كلام أميرالمؤمنين(ع) بل من كلام الراوي أو صاحب الكتاب وانما أقحم في كلامه(ع) سهواً أو نسياناً أو جهلاً وخطأ. وكيف كان فالمستفاد من الباب (١٣٩) من كتاب اليقين للسيدابن طاوس(ره) ص١٤٠، انه كان أخو بريدة الأسلمي لامه، وانه كان ممن شهد السلام على علي(ع) بإمرة المؤمنين في حياة النبي(ص) ومثله في الباب الخامس والتسعين منه، وعده الفضل بن شاذان ممن رجعوا الى أميرالمؤمنين(ع). وعن جامع الأصول: انه كان من فضلاء الصحابة وفقهائهم، سئل عن متعة النساء، فقال: أتانا بها كتاب الله وأمرنا بها رسول الله(ص) ثم قال فيها رجل برأيه ماشاء.

بِاُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، فَالْعَجَبُ لِاخْتِلَافِهَا إِيَّاكُمَا[١] وَمَسِيرِهَا مَعَكُمَا، فَكُفَّا عَنَّا أَنْفُسَكُمَا وَارْجِعَا مِنْ حَيْثُ جِئْتُمَا، فَلَسْنَا عَبِيدَ مَنْ غَلَبَ، وَلَا أَوَّلَ مَنْ سَبَقَ» فَهَمَّا بِهِ ثُمَّ كَفَّا عَنْهُ.

وَكَانَتْ عَائِشَةُ قَدْ شَكَّتْ فِي مَسِيرِهَا وَتَعَاظَمَتْ الْقِتَالَ[٢] فَدَعَتْ كَاتِبَهَا عُبَيْدَ اللهِ بْنَ كَعْبٍ النَّمِيرِيَّ فَقَالَتْ: اُكْتُبْ مِنْ عَائِشَةَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ إِلَىٰ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ[٣]. فَقَالَ: هٰذَا أَمْرٌ لَا يَجْرِي بِهِ القَلَمُ. قَالَتْ وَلِمَ؟ قَالَ: لِأَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فِي الْإِسْلَامِ أَوَّلٌ، وَلَهُ بِذٰلِكَ الْبَدْءُ فِي الْكِتَابِ. فَقَالَتْ: اُكْتُبْ «إِلَىٰ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مِنْ عَائِشَةَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ قَرَابَتَكَ مِنْ رَسُولِ اللهِ وَلَا قَدَمَكَ فِي الْإِسْلَامِ، وَلَا غَنَاءَكَ [عَنَاءَكَ «م»] مِنْ رَسُولِ اللهِ وَإِنَّمَا خَرَجْتُ مُصْلِحَةً بَيْنَ بَنِيَّ لَا أُرِيدُ حَرْبَكَ إِنْ كَفَفْتَ عَنْ هٰذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ» فِي كَلَامٍ لَهَا كَثِيرٍ، فَلَمْ أُجِبْهَا بِحَرْفٍ، وَأَخَّرْتُ جَوَابَهَا لِقِتَالِهَا، فَلَمَّا قَضَى اللهُ لِيَ الْحُسْنَىٰ سِرْتُ إِلَى الْكُوفَةِ، وَاسْتَخْلَفْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ عَلَى الْبَصْرَةِ؛ فَقَدِمْتُ الْكُوفَةَ وَقَدْ اِتَّسَقَتْ لِيَ الْوُجُوهُ كُلُّهَا إِلَّا الشَّامُ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَتَّخِذَ الْحُجَّةَ وَأَفْضِيَ [وَأَقْضِيَ «م»] الْعُذْرَ، وَأَخَذْتُ بِقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: «وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ» [الأنفال: ٨/٥٨][٤].

---

١ ـ الاختلاف: التردد والاياب والذهاب. وقوله: «ومسيرها معكما» تفسير له.

٢ ـ لما استبان لها ان الناس كافة علموا أن خروجها مخالفة لله ولرسوله، وعصيان لقوله تعالىٰ: «وقرن في بيوتكن» وقوله(ص): «ياحميراء إياك أن تكوني ممن تنبحها كلاب الحوأب» ولما رأت من تجمع أصحاب رسول الله(ص) والجمّ الغفير من فرسان أهل الكوفة حول أمير المؤمنين(ع).

٣ ـ قايس بين ماأرادت أن تكتب الى أمير المؤمنين(ع) ـ لولا أن كاتبها نهاها عنه ـ وبين ماذكره عنها في عنوان: «نهرمرة» من كتاب معجم البلدان: ج٨، ص٣٤٥، من أنها كتبت الى دعي معاوية رداً على قول رسول الله(ص): «الولد للفراش وللعاهر الحجر». زيادبن عبيد، أو أبيه: الى زيادبن أبي سفيان، من عايشة أم المؤمنين الخ.

بالله عليكم أيها المنصفون أليس هذا تكذيباً لرسول الله(ص) وتصديقاً لمعاوية في القضاء الذي اعترف معاوية نفسه بأنه قضاء معاوية، وقضاء الرسول(ص) أن الولد للفراش.

٤ ـ «الحسنى»: العاقبة الحسنة. الظفر. و«اتسقت لي الوجوه»: انتظم لي جميع نواحي المسلمين، وانقادوا ←

فَبعثْتُ جَرِيْرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ إلىٰ مُعاوِيَةَ مُعذراً إلَيه، مَتخِذاً لِلْحُجَّةِ عَلْيهِ، فَرَدَّ كِتابِيْ وَجحدَ حقِّيْ وَدفَعَ بيْعتِيْ وَبعَثَ إليَّ أنِ ابْعَثْ إليَّ قَتلَةَ عُثْمانَ، فَبعَثْتُ إلَيْهِ ما أنتَ وَقَتلَةَ عُثْمانَ، أوْلادُهُ أوْلىٰ بِهِ، فَادْخُلْ أنْتَ وَهُمْ فِيْ طاعَتِيْ ثُمَّ خاصِمِ الْقَوْمَ لأَحْمِلَكُمْ وَإيّاهُمْ عَلىٰ كِتابِ اللهِ وَإلّا فَهٰذِهِ خُدْعَةُ الصَّبِيِّ عَنْ رِضاعِ الْمَلِيِّ[1] فَلَمّا يَئِسَ مِنْ هٰذا الأمْرِ، بَعَثَ إليَّ أنْ اجْعَلِ الشّامَ لِيْ حَياتَكَ، فَإنْ حَدَثَ بِكَ حادِثٌ (حادِثَةٌ «م») مِنَ الْمَوْتِ لَمْ يَكُنْ لأحَدٍ عَلَيَّ طاعَةٌ، وَإنَّما أرادَ بِذٰلِكَ أنْ يَخْلَعَ طاعَتِيْ مِنْ عُنُقِهِ، فَأبَيْتُ عَلَيْهِ، فَبَعَثَ إليَّ أنَّ أهْلَ الْحِجازِ كانُوا الْحُكّامَ عَلىٰ أهْلِ الشّامِ، فَلَمّا قَتَلُوا عُثْمانَ صارَ أهْلُ الشّامِ الْحُكّامَ عَلى أهْلِ الْحِجازِ، فَبَعثْتُ إلَيْهِ إنْ كُنْتَ صادِقاً فَسَمِّ لِيْ رَجُلاً مِنْ قُرَيْشِ الشّامِ تَحِلُّ لَهُ الْخِلافَةُ وَيُقْبَلُ فِي الشُّورىٰ فَإنْ لَمْ تَجِدْهُ سَمَّيْتُ لَكَ مِنْ قُرَيْشِ الحِجازِ مَنْ يَحِلُّ لَهُ الْخِلافَةُ وَيُقْبَلُ فِي الشُّورىٰ.

وَنَظَرْتُ إلىٰ أهْلِ الشّامِ فَإذا هُمْ بَقِيَّةُ الْأَحْزابِ فَراشُ نارٍ وَذِئابُ [ذُبابُ «م»] طَمَعٍ تَجَمَّعَ مِنْ كُلِّ أوْبٍ[2] مِمَّنْ يَنْبَغِيْ أنْ يُؤَدَّبَ وَيُحْمَلَ عَلىٰ السُّنَّةِ،

جميعهم. و«أفضى العذر» ـ من باب أفعل ـ كأنه من قولهم: «أفضى المكان»: وسعه، وعلى هذا فهو كناية عن العذر الواسع المستبين الذي لايخفى على من له أدنى شعور وادراك، ويقال: «أفضى اليه افضاء»: وصل. و«أفضى اليه بسره»: أعلمه به. ويقال: «قضى يقضي ـ من باب رمى ـ الشيء قضاء»: صنعه بأحكام وقدره. و«قضى حاجته»: أتمها وفرغ منها. و«قضى الأمر اليه»: أبلغه. و«قضى العهد»: أنفذه. و«النبذ» كفلس ـ: القاء الخبر الى من لايعلمه. «والسواء» ـ بفتح السين ـ: العدل. فمعنى الآية الشريفة: اذا خفت من قوم بينك وبينهم معاهدة خيانة ونقض عهد بعلامات تلوح منها الغدر، فاطرح أنت مابينك وبينهم من العهد اليهم واعلمهم انك قد نقضت مابينك وبينهم لتكون أنت وهم في العلم بالنقض سواء، ولاينسبونك الى الغدر.

١ ـ قال المجلسي(ره): وفي الروايات الاخر: «خدع الصبي عن اللبن». ولعله على مافي النسخ المراد به: رضاع اللبن الملي أو الطفل المليء. والملي ـ مهموزاً ومشدداً ـ: الغني المقتدر، والجمع ملاء وأملئاء وملاّء. ككساء وأنبياء وعلماء ـ.

٢ ـ وماذكره(ع) في شأن أهل الشام مما قامت عليه القرائن القطعية، من أعمال القوم وأقوالهم، فلو أنكره مكابر أو ناقش فيه مجادل معاند، فليقف على حماقة رؤساء أهل الشام أمثال شرحبيل بن السمط في ترجمته من تأريخ دمشق: ج٢٣، ص٢٨، وترجمة محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري: ج٥١، ص٣٩ و٤٠، وترجمة

لَيْسُوا مِنْ (با «م») الْمُهاجِرِيْنَ وَلاَ الْأَنْصارِ، وَلاَ التّابِعِيْنَ بِإِحْسانٍ، فَدَعَوْتُهُمْ إِلَى الطّاعَةِ وَالْجَماعَةِ فَأَبَوْا إِلاّ فِراقِي وَشِقاقِي، ثُمَّ نَهَضُوا فِي وَجْهِ الْمُسْلِمِيْنَ يَنْضَحُونَهُمْ بِالنَّبْلِ وَيَشْجُرُونَهُمْ بِالرِّماحِ[١] فَعِنْدَ ذٰلِكَ نَهَضْتُ إِلَيْهِمْ فَلَمّا عَضَّتْهُمُ السِّلاحُ وَوَجَدُوا أَلَمَ الْجِراحِ[٢] رَفَعُوا الْمَصاحِفَ يَدْعُوكُمْ (فَدَعَوْكُمْ «م») إِلَى ما فِيْها، فَأَنْبَأْتُكُمْ أَنَّهُمْ لَيْسُوا بِأَهْلِ دِيْنٍ وَلاقُرْآنٍ، وَإِنَّما رَفَعُوها مَكِيْدَةً وَخَدِيْعَةً فَامْضُوا لِقِتالِهِمْ، فَقُلْتُمْ إِقْبَلْ مِنْهُمْ وَاكْفُفْ عَنْهُمْ فَإِنَّهُمْ إِنْ أَجابُوا إِلَى ما فِي الْقُرْآنِ جامَعُونا عَلَى ما نَحْنُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ[٣] فَقَبِلْتُ مِنْهُمْ وَكَفَفْتُ عَنْهُمْ[٤] فَكانَ الصُّلْحُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ عَلَى رَجُلَيْنِ حَكَمَيْنِ لِيُحْيِيا ما أَحْياهُ الْقُرْآنُ، وَيُمِيْتا ما أَماتَهُ الْقُرْآنُ، فَاخْتَلَفَ رَأْيُهُما وَاخْتَلَفَ حُكْمُهُما فَنَبَذا ما فِي الْكِتابِ وَخالَفا

معاوية: ج٦٥، ص١٧٩، وترجمة مسلم بن عقبة، وعبدالله بن حنظلة بن عامر: ج٢٨، ص١٥٤، الى غير ذلك من أقوالهم الثابتة عنهم بنقل الثقات من علمائهم، فإذا كانت الرؤساء حق فاظنك بالرعية والمرؤسين.

وفي شرح المختار (٢٥) من خطب النهج من ابن أبي الحديد: ١، ص٣٤٣: قال الجاحظ: ان أهل العراق أهل نظر وذوو فطن ثاقبة، ومع الفطنة والنظر يكون التنقيب والبحث ومعهما يكون الطعن والقدح، والترجيح بين الرجال، والتمييز بين الرؤساء، واظهار عيوب الأمراء، وأهل الشام ذوو بلادة وتقليد وجمود على رأي واحد، لايرون النظر، ولايسألون عن مغيب الأحوال. وقال الأصمعي: جاور أهل الشام الروم فاخذوا عنهم خصلتين: اللؤم وقلة الغيرة الخ. شرح المختار (٤٦) من باب كتب النهج: ج١٧، ص٨. وقال ابراهيم بن محمد بن طلحة ـ كما في ترجمته من تأريخ دمشق: ٤، ص٩٠ ـ لعبدالملك: انك عمدت الى الحجاج مع تغطرسه وتعترسه وتعرجنه لبعده من الحق، وركونه الى الباطل، فوليته الحرمين، وفيهما من فيهما، وبهما من بها من المهاجرين والأنصار، والموالي المنتسبة الاخيار، أصحاب رسول الله(ص) ومن أبناء الصحابة، يسومهم الخسف، ويقودهم بالعسف، ويحكم فيهم بغير السنة، ويطؤهم بطغام من أهل الشام ورعاع، لاروية لهم في اقامة حق ولاازاحة باطل الخ.

١ ـ ينضحونهم ـ من باب ضرب ومنع ـ: يرمونهم به. ويشجرونهم بالرماح: يطعنونهم. وبابه نصر.

٢ ـ الألم ـ كالفرس ـ: الوجع الشديد. والجمع آلام ـ كآجام ـ. والجراح ـ بكسر الجيم ـ جمع الجراحة وهو الجرح: شق البدن وتمزيقه أو كسره.

٣ ـ وفي الامامة والسياسة: فنبأتكم انهم ليسوا بأصحاب دين ولاقرآن، وانما رفعوها اليكم خديعة ومكيدة، فامضوا على قتالهم، فأتهمتموني وقلتم: اقبل منهم الخ.

٤ ـ وفي المحكي عن الغارات: «فقبلت منهم وكففت عنهم اذ أبيتم وتيتم» الخ.

مافي القرآن وكانا أهله[١].

ثُمَّ إنَّ طائِفَةً اعتَزَلَتْ فَتَرَكْناهُمْ ماتَرَكُونا حَتّى إذا عاثُوا في الأرض[٢] يُفْسِدُونَ وَيَقْتُلُونَ، وكانَ فِيمَنْ قتلوُهُ أهلُ مِيرَةٍ مِنْ بَني اَسَدٍ وَخَبّاباً وَابْنَهُ وَأُمَّ وَلَدِهِ وَالْحارثَ بْنَ مُرَّةَ الْعَبْدِيَّ[٣] فَبَعَثْتُ إلَيْهِمْ، داعِياً فَقُلْتُ ادْفَعُوا إلَيْنا قَتَلَةَ إخْوانِنا، فَقالُوا: كُلُّنا قَتَلَتَهُمْ؛ ثُمَّ شدت إلَيْنا [علينا «م»] خيلُهم ورجالُهم فَصَرَعَهُمُ اللهُ مَصارِعَ الظّالِمِينَ، فَلَمّا كانَ ذلِكَ مِنْ شَأنِهِمْ أمَرْتُكُمْ أنْ تَمْضُوا مِنْ فَوْرِكُمْ ذلِكَ إلى عَدُوِّكُمْ فَقُلْتُمْ: كَلَّتْ سُيُوفُنا وَنَصَلَتْ أسِنَّةُ رِماحِنا وَعادَ أكْثَرُها قَصِداً [قَصِيْداً «م»][٤] فأذَنْ لَنا فَلْنَرْجِعْ وَلْنَسْتَعِدَّ بِأحْسَنِ (وَلنَقْصِدْ بِأحْسَنِ «خ ل»)

---

١ ـ أي وكان الحكمان: أبوموسى وابن النابغة أهلاً لنبذ مافي الكتاب، وخلاف مافي القرآن لانحرافهم عن أهل بيت النبوة، وشغفهم بالدنيا وحبها.

٢ ـ أي الى أن سعوا في الأرض بالفساد، وقتل النفوس المحترمة.

٣ ـ كذا في النسخة، وفي معادن الحكمة: «وقتلوا خباب بن أرت وابنه». وكأنه حذف منه ابن، أي قتلوا ابن خباب بن أرت وابنه وأم ولده.

قال المسعودي في وقعة النهروان من مروج الذهب: ج٢، ص٤٠٤ ط بيروت: واجتمعت الخوارج في اربعة آلاف فبايعوا عبدالله بن وهب الراسبي، ولحقوا بالمدائن، وقتلوا عبدالله بن خباب (ظ) عامل علي عليها، ذبحوه ذبحاً وبقروا بطن امرأته وكانت حاملاً وقتلوا غيرها من النساء ـ وساق الكلام الى أن قال:ـ فسار علي اليهم حتى أتى النهروان، فبعث اليهم بالحارث بن مرة العبدي رسولاً يدعوهم الى الرجوع فقتلوه الخ.

وقريب منه في الامامة والسياسة ص١٤١، وزاد: وقتلوا ثلاثة نسوة فيهم أم سنان الخ. وفي تأريخ العقوبي: ج٢، ص١٨١: فوثبوا على عبدالله بن خباب بن الأرت فقتلوه وأصحابه. وفي مروج الذهب: ١٩١/٣: (قال عمر بن عبدالعزيز مع الخارجيين) فهل علمتم أن أهل البصرة حين خرجوا اليهم مع الشيباني وعبدالله بن وهب الراسبي وأصحابه استعرضوا الناس يقتلونهم، ولقوا عبدالله بن خباب بن الأرت صاحب رسول الله(ص) فقتلوه وقتلوا جاريته، ثم صبحوا حيا من أحياء العرب فأستعرضوهم فقتلوا الرجال والنساء والأطفال حتى جعلوا يلقون الصبيان في قدور الأقط وهي تفور. قالا: نعم. وفي تعليقة جمهرة الرسائل ٥٠٥: انهم قتلوا ثلاث نسوة من طيء وأم السنان الصيداوية. وقريب مما مرّ في تأريخ الطبري: ج٤، ص٦٠ والكامل: ج٣، ص١٧٣، وصرح في الأخبار الطوال ٢٠٧ بأنهم قتلوا ابن خباب وامرأته وأم سنان الصيداوية، والحارث بن مرة الفقعسي رسوله(ع) اليهم.

٤ ـ «كلت سيوفنا» ـ من باب فر ـ: صارت كليلاً غير قاطع. و«نصلت أسنة رماحنا» ـ من باب نصر، ومنع والمصدر كالفلس والفلوس ـ: خرجت الأسنة والنصول ـ وهما حديدة الرمح ـ منها. ويقال: «رمح قصد وقصيد واقصاد» ـ على زنة كتف وقريب ـ: متكسر.

عُدَّتِنا وَإذا نَحْنُ رَجَعْنا زِدْنا في مُقاتِلَتِنا[١] عِدَّةَ مَنْ قُتِلَ مِنّا حَتّى إذا أَظَلَلْتُمْ [ظَلَلْتُمْ «خ»] عَلى النُّخَيلَةِ أَمَرْتُكُمْ أَنْ تَلْزَمُوا مُعَسْكَرَكُمْ وَأَنْ تَضُمُّوا إلَيْهِ نَواصِيَكُمْ[٢] وَأَنْ تُوَطِّنُوا عَلى الْجِهادِ نُفُوسَكُمْ، وَلا تُكْثِرُوا زِيارَةَ أَبْنائِكُمْ وَنِسائِكُمْ، فَإنَّ أَصْحابَ الْحَرْبِ مُصابِرُوها وَأَهْلُ التَّشْمِيرِ فِيها، وَالَّذِينَ لا يَتَوَجَّدُونَ مِنْ سَهَرِ لَيْلِهِمْ وَلا ظَماءِ نَهارِهِمْ وَلا فِقْدانِ أَوْلادِهِمْ وَلا نِسائِهِمْ.

فَأَقامَتْ طائِفَةٌ مِنْكُمْ مُعِدَّةً[٣] وَطائِفَةٌ دَخَلَتِ الْمِصْرَ عاصِيَةً، فَلا مَنْ دَخَلَ الْمِصْرَ عادَ إلَيَّ، وَلا مَنْ أَقامَ مِنْكُمْ ثَبَتَ مَعِيَ وَلا صَبَرَ، فَلَقَدْ [وَلَقَدْ «م»] رَأَيْتُنِي وَما في عَسْكَرِي مِنْكُمْ خَمْسُونَ رَجُلاً، فَلَمّا رَأَيْتُ ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ، دَخَلْتُ عَلَيْكُمْ فَما قُدِّرَ لَكُمْ أَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ إلى يَوْمِكُمْ هذا[٤].

لِلّهِ أَبُوكُمْ أَلا تَرَوْنَ إلى مِصْرَ قَدِ افْتُتِحَتْ، وَإلى أَطْرافِكُمْ قَدِ انْتُقِصَتْ، وَإلى مَصالِحِكُمْ [مَسالِحِكُمْ «خ»] تُرْقى وَإلى بِلادِكُمْ تُغْزى[٥] وَأَنْتُمْ ذَوُو عَدَدٍ

---

١ ـ المقاتلة ـ بكسر التاء جمع المقاتل ـ: الذين يحاربون ويقاتلون العدو. وفي الامامة والسياسة: «فأذن لنا فلنرجع حتى تستعد بأحسن عدّتنا، واذا رجعت زدت في مقاتلتنا عدة من هلك منّا ومن فارقنا» الخ، وقريب من هذا رواه عنه(ع) في الطبري: ٤،٦٧ والكامل: ٣، ١٧٦.

٢ ـ كذا في الأصل، وببالي اني رأيت في بعض المصادر: «حتى اذا اطلتم ـ بالمهملة ـ على النخيلة» أي أشرفتم عليها. ويقال: «أظله وظلله.» ـ من باب أفعل وفعل ـ: ألقى عليه ظله. أدخله في ظله. و«أظل الأمر فلاناً»: غشيه ودنا منه. وقوله(ع): «وان تضموا اليه نواصيكم» كناية عن ملازمة المعسكر وعدم التخلف عنه، والنواصي: جمع ناصية، وهي شعر مقدم الرأس.

٣ ـ كذا في النسخة، أي أقامت وبقيت طائفة منكم في المعسكر معدة نفسه للذهاب الى العدو، الا أنها لم تثبت ولم تصبر معي في البقاء في المعسكر الخ. وفي المحكي عن الغارات ـ ومثله في الامامة والسياسة ـ: «فنزلت طائفة منكم معي معذرة» الخ.

٤ ـ وفي الامامة والسياسة: «فما قدرتم أن تخرجوا معي الى يومكم هذا».

٥ ـ كذا في النسخة، وفي البحار: «ألا ترون أي مصر قد أفتتحت» ومثله في الفقرات التالية، وهذا أيضاً صحيح الا انه خلاف الظاهر، وقوله(ع): «ترقى» مأخوذ من «الرقي» بمعنى الرفع والصعود، وبابه «علم» أي ألا ترون الى مايكون صلاحاً لشأنكم ترفع من بينكم ويأخذه العدو منكم قهراً. ويحتمل أن يكون قوله(ع): «ترقأ» مهموزاً ـ لاناقصاً ـ مأخوذاً من قولهم: «رقأ الدمع» ـ من باب منع ـ: جف وسكن. أي ان مصالحكم قد انقطعت وعطلت وكسدت. والصواب هوما في بعض النسخ من كون «مسالح» بالسين، لا بالصاد، وهو جمع «مسلحة» وهو محل مراقبة العدو من الثغور، وحدود البلد، أي ألا ترون الى ثغوركم ←

جَمّ، وَشَوْكَةٍ شَدِيدَةٍ، وَأُولُو بَأسٍ قَدْ كَانَ مَخُوفاً، لِلّٰهِ أَنْتُمْ أَيْنَ تَذْهَبُونَ، وَأَنّى تُؤْفَكُونَ، أَلا وَإنَّ الْقَوْمَ [قَد] جَدُّوا وَتَآسَوْا[١] وَتَناصَرُوا وَتَناصَحُوا، وَإِنَّكُمْ [قَدْ] أَبَيْتُمْ وَوَنَيْتُمْ وَتَخاذَلْتُمْ وَتَغاشَشْتُمْ، ما أَنْتُمْ إِنْ بَقِيتُمْ عَلىٰ ذٰلِكَ سُعَداءُ، فَنَبِّهُوا رَحِمَكُمُ اللّٰهُ نائِمَكُمْ وَتَجَرَّدُوا وَتَحَرَّوْا لِحَرْبِ عَدُوِّكُمْ، فَقَدْ أَبْدَتِ الرَّغْوَةُ عَنِ الصَّرِيحِ، وَأَضاءَ الصُّبْحُ لِذِي عَيْنَيْنِ[٢] فَانْتَبِهُوا إِنَّما [أَما «خ»] تُقاتِلُونَ الطُّلَقاءَ وَأَبْناءَ الطُّلَقاءِ، وَأَهْلَ الْجَفاءِ وَمَنْ أَسْلَمَ كُرْهاً وَكانَ لِرَسُولِ اللّٰهِ أَنْفاً[٣] وَلِلإِسْلامِ كُلِّهِ حَرْباً، أَعْداءَ السُّنَّةِ وَالْقُرْآنِ، وَأَهْلَ الْبِدَعِ وَالأَحْداثِ، وَمَنْ كانَتْ نِكايَتُهُ تُتَّقىٰ، وَكانَ عَلَى الإِسْلامِ وَأَهْلِهِ مَخُوفاً[٤] وَآكِلَةَ الرُّشا، وَعَبِيدَ الدُّنْيا، وَلَقَدْ أُنْهِيَ إِلَيَّ أَنَّ ابْنَ النّابِغَةِ لَمْ يُبايِعْ مُعاوِيَةَ

وحدودكم التي تلي عدوكم قد خلت من المراقبين والمرابطين ـ لوهنكم وتفرقكم ـ فاستولى عليها الخصم الألد، فأغار عليكم من كلّ جانب وأنتم غافلون.

١ ـ «تأسى القوم»: اقتدى بعضهم ببعض في التعاون والتناصر والاستقامة والجد. قال المجلسي الوجيه: وفي بعض النسخ: «بؤسوا» بضم الهمزة، من قولهم: «بؤس ـ بأساً» من باب شرف بمعنى اشتد وشجع، أي صاروا أولوا بأس وشجاعة ونجدة.

٢ ـ كل واحدة من الجملتين مثل سائر يضرب لظهور الحق، قال الزمخشري: «أبدى الصريح عن الرغوة» هذا من مقلوب الكلام، وأصله: «أبدت الرغوة عن الصريح» كقوله: «وتحت الرغوة اللبن الصريح» يضرب في ظهور كامن الأمر.

٣ ـ ولعله من قولهم: «أنف ـ من باب فرح ـ أنفاً»: كرهه. تنزه وترفع عنه أي كانوا مستنكفين من قبول دعوة رسول الله(ص) كارهين له. وفي معادن الحكمة «وكان لرسول الله عليه وآله وسلّم انف الاسلام كله حرباً».

وقال المجلسي الوجيه: والأظهر أن يكون كلامه(ع) هكذا: «وكان لرسول الله ألباً» باللام والباء ـ بقرينة «حرباً» ـ يقال: هم عليه ألب ـ بالفتح والكسر ـ أي مجتمعون عليه بالظلم والعداوة. والتأليب: التحريص والافساد. والالب ـ بالفتح ـ: التدبير على العدو من حيث لايعلم. والطرد الشديد. والالب والحرب كثيراً مايذكران معاً، وعلى التقديرين لابد من تجوز في اللام.

٤ ـ النكاية ـ بكسر النون ـ: البطشة الجارحة والقاتلة، والوثوب على العدو بالجرح والقتل، وهو مصدر «نكى ينكى» العدو وفي العدو نكاية: قتله بالقتل والجرح. فهو ناك، والعدو منكي. والفعل من باب ضرب. والمخوف: مايخاف منه. و«طريق مخوف» أي فيه مخاويف.

حَتّى شَرَطَ لَهُ أَنْ يُؤْتِيَهُ أَتِيَّةً هِيَ أَعْظَمُ مِمّا فِي يَدَيْهِ مِنْ سُلْطانِهِ[١] فَصَفِرَتْ يَدُ هٰذا الْبائِعِ دِينَهُ بِالدُّنْيا، وَخَزِيَتْ أَمانَةُ هٰذا الْمُشْتَرِي بِنُصْرَةِ فاسِقٍ غادِرٍ بِأَمْوالِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَيُّ سَهْمٍ لِهٰذا الْمُشْتَرِي بِنُصْرَةِ فاسِقٍ غادِرٍ، وَقَدْ شَرِبَ الْخَمْرَ وَضُرِبَ حَدّاً فِي الْإِسْلامِ وَكُلُّكُمْ يَعْرِفُهُ بِالْفَسادِ فِي الدِّينِ [فِي الدُّنْيا «خ ل»] وَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَدْخُلْ فِي الْإِسْلامِ وَأَهْلِهِ حَتّى رُضِخَ لَهُ وَعَلَيْهِ رَضِيخَةٌ[٢] فَهٰؤُلاءِ قادَةُ الْقَوْمِ، وَمَنْ تَرَكْتُ لَكُمْ ذِكْرَ مَساوِيهِ أَكْثَرُ وَأَبْوَرُ[٣] وَأَنْتُمْ تَعْرِفُونَهُمْ بِأَعْيانِهِمْ وَأَسْمائِهِمْ كانُوا عَلَى الْإِسْلامِ ضِدّاً، وَلِنَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَرْباً، وَلِلشَّيْطانِ حِزْباً، لَمْ يَقْدُمْ إِيمانُهُمْ وَلَمْ يَحْدُثْ نِفاقُهُمْ[٤] وَهٰؤُلاءِ الَّذِينَ (لِلَّذِينَ «خ») لَوْ وُلُّوا عَلَيْكُمْ لَأَظْهَرُوا فِيكُمُ الْفَخْرَ وَالتَّكَبُّرَ وَالتَّسَلُّطَ بِالْجَبْرِيَّةِ وَالْفَسادَ فِي الْأَرْضِ[٥] وَأَنْتُمْ عَلى ما كانَ مِنْكُمْ مِنْ تَواكُلٍ وَتَخاذُلٍ خَيْرٌ مِنْهُمْ وَأَهْدى سَبِيلاً، مِنْكُمُ الْفُقَهاءُ وَالْعُلَماءُ وَالْفُهَماءُ وَحَمَلَةُ الْكِتابِ وَالْمُتَهَجِّدُونَ بِالْأَسْحارِ، أَلا تَسْخَطُونَ وَتَنْقِمُونَ أَنْ يُنازِعَكُمُ الْوِلايَةَ السُّفَهاءُ

---

١ - «أَنمي الي»: أوصل الي وبلغني. وهي كنمى الي معلوماً ومجهولاً - قيل: والمعلوم أقل أستعمالاً - الخبر: بلغ. وابن النابغة: عمرو بن العاص. ويؤتيه أتية: كيعطيه عطية لفظاً ومعناً. والعطية التي شرطها على معاوية في بيعته هي أمارة مصر. وهذه الألفاظ قد تكررت في كلامه(ع) كما في آخر المختار (٢٥) والمختار (٨٠) من خطب النهج.

وفي الامامة والسياسة: «لقد نمي الي أن ابن الباغية لم يبايع معاوية حتى شرط عليه أن يؤتيه أتاوة الخ.

٢ - وفي معادن الحكمة: «وأي سهم بمن (كذا) لم يدخل في الاسلام وأهله حتى رضخ له عليه رضيخة». والرضيخة - كالرضخ، والرضاخة على زنة الفلس والاسامة - : العطاء القليل. ويقال: «رضخ له من ماله رضخة - من باب ضرب ومنع - : أعطاه قليلاً من كثير.

٣ - أي أشد بواراً - أي بطلاناً وفساداً وهلاكاً - ممن ذكر.

٤ - وفي معادن الحكمة: «لم يتقدم ايمانهم». يقال: «قدم - من باب نصر - قدماً وقدوماً القوم»: سبقهم. والمصدر كالحرب والحروب. و«تقدم القوم»: سبقهم. و«قدم - من باب شرف، والمصدر كالعنب والسحابة - قدماً وقدامة - : ضد «حدث الأمر حداثة وحدوثاً» - من باب نصر، والمصدر كالسحابة والسرور - : وقع. تحقق قريباً ولم يمض عليه زمان معتد به.

٥ - جميع ما أخبره(ع) عنهم قبل وقوعه قد تحقق عنهم وأبتلى به أكثر سامعي خطبته وكتابه(ع) وندموا على تفريطهم في نصرته(ع) ولكن ولات حين مناص.

الْبُطَاةُ [الْبِطَاءُ «م»] عَنِ الإِسْلامِ الْجُفَاةُ فِيهِ[1] إِسْمَعُوا قَوْلِي -يَهْدِكُمُ اللهُ- إِذَا قُلْتُ وَأَطِيعُوا أَمْرِي إِذَا أَمَرْتُ، فَوَاللهِ لَئِنْ أَطَعْتُمُونِي لاَ تَغْوَوْنَ، وَإِنْ عَصَيْتُمُونِي لاَ تَرْشُدُونَ[2] قَالَ اللهُ تعالى: «أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لاَ يَهِدِّي إِلاَّ أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» [٣٥ يونس: ١٠] وَقَالَ اللهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ» [٧ الرعد: ١٣] فَالْهَادِي بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هادٍ لِأُمَّتِهِ عَلَى مَا كَانَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وآله، فَمَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ الْهَادِيُ إِلاَّ الَّذِي دَعَاكُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَقَادَكُمْ إِلَى الْهُدَى، خُذُوا لِلْحَرْبِ أُهْبَتَهَا، وَأَعِدُّوا لَهَا عُدَّتَهَا فَقَدْ شَبَّتْ وَأُوْقِدَتْ وَتَجَرَّدَ لَكُمُ الْفَاسِقُونَ[3] لِكَيْمَا يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَغْزُوا [وَيَغُرُّوا «م»] عِبَادَ اللهِ.

أَلاَ إِنَّهُ لَيْسَ أَوْلِيَاءُ الشَّيْطَانِ مِنْ أَهْلِ الطَّمَعِ وَالْجَفَاءِ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْ أَهْلِ الْبِرِّ وَالإِحْسَانِ [وَالإِخْبَاتِ «م»] فِي طَاعَةِ رَبِّهِمْ وَمُنَاصَحَةِ إِمَامِهِمْ، إِنِّي وَاللهِ لَوْ لَقِيتُهُمْ وَحْدِي وَهُمْ أَهْلُ الأَرْضِ مَا اسْتَوْحَشْتُ مِنْهُمْ وَلاَ بَالَيْتُ، وَلٰكِنْ أَسَفٌ يُرِيبُنِي وَجَزَعٌ يَعْتَرِينِي[4] مِنْ أَنْ يَلِيَ هٰذِهِ الأُمَّةَ فُجَّارُهَا وَسُفَهَاؤُهَا فَيَتَّخِذُونَ مَالَ اللهِ دُوَلاً، وَكِتَابَ اللهِ دَخَلاً [دَغَلاً «خ م»] [5]

---

١ - يقال: «بطؤ- من باب شرف، والمصدر على زنة القفل والكتاب والسرور- بطأً وبطاء وبطوء وأبطأ ابطاء»: ضد أسرع. فهو بطيء وهي بطيئة والجمع بطاء ككتاب. والجفاة - بضم الجيم-: جمع الجافي: الغليظ. والمؤنث جافية، والجمع: جافيات وجواف.

٢ - وفي معادن الحكمة: «لئن أطعتموني لا تغووا، وان عصيتموني لا ترشدوا».

٣- يقال: «أهب وتأهب الأمر» تهيأ واستعد. و(الاهبة) - بضم الهمزة على زنة الشعبة -: العدة والتهيؤ. ويقال: «شبت النار- من باب «مد» - شباً وشبوباً»: اتقدت. و«شب زيد النار»: أوقدها. والمصدر على زنة الحب والحبوب.

٤ - كذا في النسخة، وهو من قولهم: «أرابه فلان ارابة»: أقلقه وأزعجه. وقال المجلسي(ره): قوله(ع): «ولكن أسف يبريني» أي يهزلني، من قولهم: «بريت السهم». أو «ينبريني» من قولهم: «أنبرى له» أي اعترض. أو «يريني» من قولهم: «ورى يرى ورياً القيح جوفه» - من باب «وقى يقي»-: أفسده وأكله. و«ورى فلان فلاناً»: أصاب رئته. أو «يربيني» أي يزيدني هماً، من قولهم: «أربيته»: زدته.
هذا كلامه(ره) بتوضيح مني، ثم قال: وكانت النسخ المنقولة منه تحتمل الجميع.

٥ - أي فيجعل هؤلاء السفهاء والفجار مال الله دولاً أي يعطفونها اليهم ويديرونها بينهم دون المؤمنين فيناوله ←

وَالْفَاسِقِيْنَ حِزْباً وَالصَّالِحِيْنَ حَرْباً، وَأَيْمُ اللهِ لَوْلَا ذٰلِكَ مَا أَكْثَرْتُ تَأْنِيْبَكُمْ وَتَحْرِيْضَكُمْ وَلَتَرَكْتُكُمْ إذا (إِذْ «م») أَبَيْتُمْ حَتّٰى حُمَّ لِيْ لِقَاؤُهُمْ[1] فَوَاللهِ إِنِّيْ عَلَى (لَعَلَى «م») الْحَقِّ، وَإِنِّيْ لِلشَّهَادَةِ لَمُحِبٌّ، وَإِنِّيْ إِلَى لِقَاءِ اللهِ -رَبِّيْ- لَمُشْتَاقٌ، وَلِحُسْنِ ثَوَابِهِ لَمُنْتَظِرٌ، إِنِّيْ نَافِرٌ بِكُمْ (نَافِرُكُمْ «م») فَانْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ [التوبه (٩) آيه ٤١] وَلَا تَثَاقَلُوا فِي الْأَرْضِ فَتَعُمُّوْا [فتغموا «خ م»] بِالذُّلِّ، وَتَقِرُّوْا بِالْخَسْفِ، وَيَكُوْنَ نَصِيْبُكُمْ الْأَخْسَرَ [الْخُسْرَانَ «خ»] إِنَّ أَخَا الْحَرْبِ الْيَقْظَانُ الْأَرِقُ إِنْ نَامَ لَمْ تَنَمْ عَيْنُهُ[2] وَمَنْ ضَعُفَ أُوْذِيَ، وَمَنْ كَرِهَ الْجِهَادَ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ كَانَ الْمَغْبُوْنَ الْمَهِيْنَ، إِنِّيْ لَكُمُ الْيَوْمَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ أَمْسِ، وَلَسْتُمْ لِيْ عَلَى مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ، مَنْ تَكُوْنُوا نَاصِرِيْهِ أَخَذَ بِالسَّهْمِ الْأَخْيَبِ[3] وَاللهِ لَوْ نَصَرْتُمُ اللهَ لَنَصَرَكُمْ وَثَبَّتَ أَقْدَامَكُمْ، إِنَّهُ حَقٌّ عَلَى اللهِ أَنْ يَنْصُرَ مَنْ نَصَرَهُ، وَيَخْذُلَ مَنْ خَذَلَهُ، أَتَرَوْنَ الْغَلَبَةَ لِمَنْ صَبَرَ بِغَيْرِ نَصْرٍ[4] وَقَدْ يَكُوْنُ الصَّبْرُ جُبْناً وَيَكُوْنُ حَمِيَّةً، وَإِنَّمَا النَّصْرُ بِالصَّبْرِ، وَالْوُرُوْدُ بِالصُّدُوْرِ (بِالصَّدَرِ «خ») وَالْبَرْقُ بِالْمَطَرِ[5].

أَللّٰهُمَّ اجْمَعْنَا وَإِيَّاهُمْ عَلَى الْهُدٰى، وَزَهِّدْنَا وَإِيَّاهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَاجْعَلِ الْآخِرَةَ خَيْراً لَنَا مِنَ الْأُوْلٰى.

كل سلف منهم خلفهم. و«دولاً» جمع الدولة بفتح الدال وضمها. قوله: «وكتاب الله دخلاً (أو دغلاً) أي يفسدون الناس ويخدعونهم به. والدغل -محركاً كالدخل-: الشر والفساد والمكر.

١ - «التأنيب»: التوبيخ. و«التحريض»: الحث والترغيب. و«حم لي»: قدر لي.

٢ - «الخسف» كفلس: المشقة والنقصان. و«الأرق» ككتف وفرح: الذي طرد عنه النوم في الليل. وجملة: «ان نام لم تنم عينه» صفة توضيحية له.

٣- السهم الاخيب: الذي لانصيب له من قداح الميسر. قيل: وهي ثلاثة: المنيخ والسفيخ والوعد.

٤ - أي من الله تعالى، فينبغي أن يكون الصبر لله تعالى، فان الصبر قد يكون لأجل الجبن عن الفرار، وللحمية، كذا أفاده المجلسي الوجيه(ره).

٥ - قال المجلسي: قوله(ع): «وانما النصر بالصبر» أي ماقرن الصبر الا بالنصر. ويمكن أن يقرأ: «بالبصر» -بالباء- أي بالعلم والبصيرة،

الفصل السادس والخمسون والمائة

واعلم يا ولدي محمد أراك الله جلّ جلاله بطرق العقل و النقل والخير مايخاف عليك مما تحتاج إلى علمه كما حضر، وأتاك من نوره ماترى مااستتر به كما ظهر، أن الشيخ محمدبن يعقوب الكليني ذكر في كتاب (الرسائل) المعتمد عليه عن أبيك أميرالمؤمنين عليه السلام رسالة تتضمن ذكر الأئمة من ذريته صلوات الله عليهم، قال محمدبن يعقوب ما هذا لفظه:

عن علي بن محمد ومحمدبن الحسن وغيرهما، عن سهل بن زياد، عن العباس ابن عمران، عن محمدبن القاسم بن الوليد الصيرفي، عن المفضّل، عن سنان بن طريف، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «كان أميرالمؤمنين عليه السلام يكتب بهذه الخطبة إلى بعض أكابر أصحابه، وفيها كلام عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ[1]

إلىٰ الْمُقَرَّبِيْنَ [الْمُقرَّنِيْنَ] فِيْ الْأَظِلَّةِ،[2] الْمُمْتَحَنِيْنَ بِالْبَلِيَّةِ، الْمُسارِعِيْنَ

---

١ ـ أثبتنا هذا الكتاب ومايتعلق به من تحريك الكلمات وشرحها من كتاب (نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة) للشيخ محمدباقر المحمودي ٥:١٣٣.

٢ ـ أي هذا كتاب الى الذين قربوا الى الله، أو إلينا في عالم الظلال والأرواح قبل حلولها الأجساد. قال ←

فِي الطَّاعَةِ، الْمُسْتَيْقِنِينَ بِيَ الكَرَّةَ ١ تَحِيَّةٌ مِنَّا إلَيْكُمْ [وَ] سَلامٌ عَلَيْكُمْ ٢.

أَمَّا بَعْدُ فَإنَّ نُورَ الْبَصِيرَةِ رُوحُ الْحَيَاةِ الَّذِي لاَيَنْفَعُ إِيْمَانٌ إلَّا بِهِ مَعَ اتِّبَاعِ كَلِمَةِ اللهِ ٣ وَالتَّصْدِيقِ بِهَا، فَالْكَلِمَةُ مِنَ الرُّوحِ، وَالرُّوحُ مِنَ النُّورِ، وَالنُّورُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَبِأَيْدِيكُمْ سُبَبٌ وَصَلَ إِلَيْكُمْ مِنَّا نِعِمَةٍ مِنَ ـ اللهِ لاتَعْقِلُونَ شُكْرَهَا ـ خَصَّكُمْ بِهَا وَاسْتَخْلَصَكُمْ لَهَا ٤ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَايَعْقِلُهَا إلَّا الْعَالِمُونَ [٤٣ العنكبوت: ٢٩] إنَّ اللهَ عَهِدَ عَهْداً أَنْ لَنْ يَحِلَّ عَقْدَهُ أَحَدٌ سِواهُ ٥

العلامة المجلسي(ره): وفي بعض النسخ: «الى المقرين» أيّ الذين أقروا بإمامتنا في عالم الأرواح عند الميثاق.

١ - كذا في النسخة المطبوعة، وفي البحار: «المنشئين في الكرة» وقال المجلسي(ره): وفي بعض النسخ: «المنشرين في الكرة» والمعنى على الأول: المذعنين بكرته(ع) ورجعته. وعلى نسخة البحار فالمعنى: هذا كتاب الى الذين من صفتهم كذا وكذا ومن صفتهم ان الله ينشئهم وينشرهم ويبعثهم بعد موتهم عند رجعتنا وكرتنا على الدنيا لينصرونا ويشفوا قلوبهم الجريحة. ومما يؤيد هذه النسخة، ماورد من عود مالك الأشتر والمقداد وبعض آخر من أصحابه(ع) عند ظهور القائم من آل محمد(ع) لنصرته ومعاونته كما في تفسير العياشي وآخر كتاب الارشاد وغيرهما.

٢ - قال العلامة المجلسي(ره) قوله(ع) «تحية» اما حال أو خبرثان، أو خبر مبتدأ محذوف يفسره قوله: «سلام عليكم» أو «سلام» مبتدأ، و«تحية» خبره، وفي الأخير بعد.

٣ - قال المجلسي الوجيه: وفي بعض النسخ: «مع اتباعه كلمة الله». والضمير راجع الى «الروح» أو «النور» أو الى المؤمن بقرينة المقام، و«كلمة الله» مفعول المصدر، ويؤيده أن في بعض النسخ: «مع اتباع» فيكون حالاً عن الضمير المجرور، والحاصل ان نور البصيرة وهي الولاية ومعرفة الائمة(ع) يصير سبباً لتعلق روح الإيمان، وبروح الإيمان يحصل ويكمل التوحيد الخالص المقبول، والنور هو الذي مثل الله تعالى به نوره في الآية (٢٥) من سورة النور، والسبب الذي بأيدي الشيعة ومتابعي الأئمة(ع) هو أيضاً الولاية التي هي سبب القرب الى الله، والنجاة من عقابه، أو حججها وبراهينها، أو علومهم ومعارفهم التي علموها مواليهم، أو الأحكام والشرائع خاصة، فانها الوسيلة الى التقرب اليه تعالى والى حججه(ع) ويؤيده مافي بعض النسخ من قوله(ع): «اتيان الواجبات» وفي بعضها: «اتيان الواجبتان» أي الكتاب وأهل البيت(ع) وانما أتى بصيغة المفرد أولاً وثانياً لارتباطهما بل اتحادهما حقيقة.

٤ - يقال: «أخلص الشيء واستخلصه»: اختاره واصطفاه.

٥ - قال المجلسي العظيم: لعل المراد عقد الامامة، أي ليس للناس ان يحلوا عقداً وبيعة عقده الله تعالى. ثم قال(ره): وفي بعض النسخ: «أن لن يحل عقده الأهواء» أي لايحل ماعقده الله تعالى لأحد آراء الناس وأهوائهم.

فَسارِعُوا إِلىٰ وَفاءِ الْعَهْدِ[1] وَامْكُثُوا فِي طَلَبِ الْفَضْلِ، فَإِنَّ الدُّنْيا عَرَضٌ حاضِرٌ يَأْكُلُ مِنْها الْبَرُّ وَالْفاجِرُ، وَإِنَّ الآخِرَةَ وَعْدٌ صادِقٌ [مُعاوَقٌ «خ»] يَقْضِي فِيها مَلِكٌ قادِرٌ.

أَلا وَإِنَّ الأَمْرَ كَما وَقَعَ، لِسَبْعٍ بَقِينَ مِنْ صَفَرٍ تَسِيرُ فِيها الْجُنُودُ [وَ] يُهْلَكُ فِيها الْمُبْطِلُ الجَحُودُ[2] خُيُولُها عِرابٌ وَفُرْسانُها حِرابٌ[3] وَنَحْنُ بِذٰلِكَ واثِقُونَ وَلِما ذَكَرْنا مُنْتَظِرُونَ انْتِظارَ الْمُجْدِبِ المَطَرَ، لِيَنْبُتَ الْعُشْبُ وَيَجْنِيَ الثَّمَرَةَ[4].

دَعانِي إِلىٰ الْكِتابِ إِلَيْكُمْ اسْتِنْقاذُكُمْ مِنَ الْعَمىٰ وَإِرْشادُكُمْ بابَ الْهُدىٰ، فاسْلُكُوا سَبِيلَ السَّلامَةِ، فَإِنَّها جِماعُ الْكَرامَةِ، إِصْطَفَى اللهُ مَنْهَجَهُ وَبَيَّنَ حُجَجَهُ، وَأَرَّفَ أُرَفَهُ[5] وَوَصَفَهُ، وَحَدَّهُ وَجَعَلَهُ نَصّاً [رَصّاً «خ»] كَما وَصَفَهُ[6] قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «إِنَّ الْعَبْدَ[7] إِذا دَخَلَ حُفْرَتَهُ يَأْتِيهِ مَلَكانِ:

---

١ - هذا هو الظاهر، وفي النسخة: «فتسارعوا» الخ. وقوله(ع): «فان الدنيا عرض حاضر» الخ مما صدر عنه(ع) في غير المقام أيضاً.

٢ - قوله(ع): «الا وان الأمر قد وقع» لعله اشارة الى الصلح والرضا بالحكمين اضطراراً، أو الى بعض غزوات صفين، فعلى الأول سير الجنود اشارة الى قتال الخوارج، وعلى الثاني اشارة الى ماأراد(ع) من الرجوع الى قتال معاوية.

٣ - يقال: «خيل عراب واعرب -كجبال واجبل-: حسان كرام عربية ليست بالبراذين والهجن و عربية الفرس: عتقه وسلامته من الهجنة. والحراب على زنة ضراب، وهي ما ان يكون جمع حربة - كضراب وضربة - او انها مصدر من باب المفاعلة، او انها -بضم الحاء والتشديد- جمع لحارب - كطلاب وزراع في جمع طالب وزارع- وعلى الاولين في الكلام تجوز، وعلى التقدير الثالث فالمعنى واضح. وفي بعض النسخ: «وفرسانها احزاب» قال المجلسي الوجيه: اي احزاب الشرك الذين حاربوا الرسول(ص). اقول: وعلى هذا فالاوصاف والنعوت لخيول عدوه(ع) الموصوف بالمبطل الجحود، وهوخلاف الظاهر.

٤ - وفي هذا الكلام دلالة عجيبة على توقعه وانتظاره(ع) اجتثاث اصول الظلمة.

٥ - الارف- كغرف-: الحدود. وهي جمع ارفه -كغرفة- يقال: «ارف الارض تاريفا»: قسمها وجعل لها حدودا.

٦ - يقال: «نص الشيء -من باب مد- ينصه نصا» رفعه واظهره. و «رصّ الشيئ -من باب مدّ أيضا- يرصه رصا»: الصق بعضه ببعض وضمه.

٧ - من قوله(ص): «ان العبد اذا دخل حفرته» الى قوله تعالى -الآتي- بعد ذلك وهو: «ولايكتمون الله حديثا» رواه فى الحديث التاسع من الباب (١٦) من الجزء العاشر، من بصائر الدرجات ص١٤٦، عن

أَحَدُهُما مُنْكَرٌ وَالآخَرُ نَكِيرٌ، فَأَوَّلُ مايَسْأَلانِهِ عَنْ رَبِّهِ وَعَنْ نَبِيِّهِ وَعَنْ وَلِيِّهِ، فإِنْ أَجابَ نَجا، وَإِنْ تَحَيَّرَ عَذَّباهُ، فَقالَ قائِلٌ: فَما حالُ مَنْ عَرَفَ رَبَّهُ وَعَرَفَ نَبِيَّهُ وَلَمْ يَعْرِفْ وَلِيَّهُ. فَقالَ(ص): ذٰلِكَ مُذَبْذَبٌ لا إِلىٰ هٰؤُلاءِ وَلا إِلىٰ هٰؤُلاءِ. قِيلَ فَمَنِ الْوَلِيُّ يارَسُولَ اللهِ. فَقالَ: وَلِيُّكُمْ فِي هٰذا الزَّمانِ أَنا وَمِنْ بَعدِيْ وَصِيِّي وَمِنْ بَعْدِ وَصِيِّي لِكُلِّ زَمانٍ حُجَجٌ لِلّٰهِ. كَيْما لا تَقُولُونَ كَما قالَ الضُّلالُ حِيْنَ [حَيْثُ «خ»] فارَقَهُمْ نَبِيُّهُمْ: «رَبَّنا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آياتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزىٰ» [١٣٤ طه: ٢٠] وَإِنَّما كانَ تَمامُ ضَلالِهِمْ جَهالَتُهُمْ بِالآياتِ وَهُمُ الأَوْصِياءُ، فَأَجابَهُمُ اللهُ: «قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحابُ الصِّراطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدىٰ» [١٣٥ طه: ٢٠] وَإِنَّما كانَ تَرَبُّصُهُمْ أَنْ قالُوا: نَحْنُ فِي سَعَةٍ عَنْ مَعْرِفَةِ الأَوْصِياءِ حَتّىٰ يُعْلِنَ الإِمامُ عِلْمَهُ، فَالأَوْصِياءُ قُوّامٌ عَلَيْكُمْ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنّارِ، لايَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ، وَلايَدْخُلُ النّارَ إِلّا مَنْ أَنْكَرُوهُ[١] لِأَنَّهُمْ عُرَفاءُ الْعِبادِ، عَرَّفَهُمُ اللهُ إِيّاهُمْ عِنْدَ أَخْذِ الْمَواثِيقِ عَلَيْهِم بِالطّاعَةِ لَهُمْ [كَذا] فَوَصَفَهُمْ فِي كِتابِهِ فَقالَ جَلَّ وَعَزَّ: «وَعَلَى الأَعْرافِ رِجالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيْماهُمْ» [٤٦ الأعراف: ٧] وَهُمُ الشُّهَداءُ عَلَى النّاسِ وَالنَّبِيُّونَ شُهَداءٌ لَهُمْ بِأَخْذِهِ لَهُمْ مَواثِيقَ الْعِبادِ بِالطّاعَةِ، وَذٰلِكَ قَوْلُهُ: «فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيْدٍ وَجِئْنا بِكَ عَلىٰ هٰؤُلاءِ شَهِيْداً، يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِيْنَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْتُسَوّىٰ بِهِمُ الأَرْضُ وَلايَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيْثاً» (٤٢ النساء: ٤) وَكَذٰلِكَ أَوْحَى اللهُ إِلىٰ آدَمَ: أَنْ يا آدَمُ قَدِ انْقَضَتْ مُدَّتُكَ وَقُضِيَتْ نُبُوَّتُكَ وَاسْتَكْمَلَتْ أَيّامُكَ وَحَضَرَ أَجَلُكَ، فَخُذْ النُّبُوَّةَ وَمِيْراثَ النُّبُوَّةِ وَاسْمَ اللهِ الأَكْبَرَ فادْفَعْهُ إِلىٰ ابْنِكَ هِبَةِ اللهِ، فَإِنِّي لَمْ أَدَعِ

تمعلي بن محمد البصري، عن ابي الفضل المدائني، عن أبي مريم الانصاري، عن المنهال بن عمرو، عن أميرالمؤمنين(ع) باختلاف طفيف في بعض الالفاظ، وفيه ثمانية عشر حديثا أخرعنه(ع) وعن سائر المعصومين بهذا المعنى. و رواه عن البصائر، في الحديث(١١) من تفسير الآية: (٤٦) من سورة الاعراف من تفسير البرهان: ج٢/ص١٩، ط٢، وأيضا رواه عن البصائر وغيره في الباب الخامس والخمسون والسادس والخمسون من غاية المرام ٣٥٣.

١ - ومثله في المختار ١٥٠، من خطب نهج البلاغة.

الأرض بغير علم يُعرف[١] فلم يزل الأنبياء والأوصياء يتوارثون ذلك حتى انتهى الأمر إليّ، وأنا أدفع ذلك إلى عليّ وصيّي وهو مني بمنزلة هارون من موسى[٢] وإنّ عليّاً يورّث ولده حيّهم عن ميّتهم[٣] فمن سرّه أن يدخل جنة ربّه فليتولّ عليّاً والأوصياء من بعده، وليسلّم لفضلهم فإنهم الهداة بعدي أعطاهم الله فهمي وعلمي، فهم عترتي من لحمي ودمي أشكو إلى الله عدوّهم والمنكر لهم فضلهم والقاطع عنهم صلتي[٤].

فنحن أهل البيت شجرة النبوّة ومعدن الرحمة، ومختلف الملائكة، وموضع الرسالة، فمثل أهل بيتي في هذه الأمة كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها هلك[٥] ومثل باب حطّة في بني إسرائيل من دخله غفر له، فأيّما راية خرجت ليست من أهل بيتي فهي دجّاليّة»[٦].

إنّ الله اختار لدينه أقواماً انتخبهم للقيام عليه والنصر له، طهّرهم بكلمة

---

١ ـ ومثله لفظا فى الحديث (١٥) من الباب الاول من البحار: ج٧/٦ س٤ ط الكمباني. والاخبار متواترة على ذلك معنى، وملاحظة ذلك الباب من البحار مغنية عن غيره من كتب الاخبار.

٢ ـ هذا الحديث أيضاً مما تواتر عن النبي(ص) بين المسلمين، ويحسب المنصف مراجعة ترجمة اميرالمؤمنين(ع) من تاريخ ابن عساكر: ج٣٧/٨٧ الى ص١١٠، والباب العشرين من غاية المرام ص١٠٩ والباب (٥٣) من البحار: ج٩/٣٣٧ ط الكمباني. والجلد الثالث من الغدير، ١٩٩، ط٢. وان راجع حديث المنزلة من عبقات الانوار ففيها غاية الامنية.

٣ ـ اى ان الاحياء من ولده(ع) يرثون الامامة والولاية ممن يموت منهم، كما يرث الاحياء من جميع الناس مايخلفه ميتهم من المال والحقوق، كل ذلك بتقدير العزيز الحكيم. والمراد من ولده(ع) ـ هنا ـ الائمة منهم لاكل من يعد من أولاده.

٤ ـ وقريب منه فى ترجمة اميرالمؤمنين(ع) من تاريخ الشام: ج٣٧/ ص١٢٩/ الى ١٤١. وكذلك فى تاريخ بغداد: ج٤ ص٤١٠، وحلية الاولياء ج١، ص٨٦. على ما رواه عنها العلامة الاميني مدظله.

٥ ـ ورواه في الباب الثاني والثلاثون والثالث والثلاثون من المجلد الاول من غاية المرام من طريق العامة والخاصة، وافرده بالتأليف، وبسط القول فيه حق البسط، العلامة النيشابورى(ره) في عبقات الانوار.

٦ ـ اي هي من أهل الكذب والتمويه والخدعة فاحذروها. من قولهم: «دجل في حديثه»: لبس وموه قال ابن الاثير في النهاية: «وفي الحديث ان ابابكر خطب فاطمة الى النبي صلّى الله عليه وآله، فقال: «اني وعدتها لعليّ ولست بدجال» اي لست بخداع ولاملبس عليك امرك».

الْإِسْلَامِ، وَأَوْحىٰ إِلَيْهِمْ مُفْتَرَضَ الْقُرْآنِ، وَالْعَمَلَ بِطَاعَتِهِ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا.

إِنَّ اللهَ خَصَّكُمْ بِالْإِسْلَامِ وَاسْتَخْلَصَكُمْ لَهُ [1] وَذٰلِكَ لِأَنَّهُ أَمْنَعُ سَلَامَةٍ وَأَجْمَعُ كَرَامَةٍ، اصْطَفَى اللهُ مَنْهَجَهُ وَوَصَفَ أَخْلَاقَهُ وَوَصَلَ أَطْنَابَهُ، مِنْ ظَاهِرِ عِلْمٍ وَبَاطِنِ حُكْمٍ [حِلْمٍ «خ»] ذِي حَلَاوَةٍ وَمَرَارَةٍ فَمَنْ طَهَّرَ بَاطِنَهُ رَأَىٰ عَجَائِبَ مَنَاظِرِهِ فِي مَوَارِدِهِ وَمَصَادِرِهِ، وَمَنْ فَطَنَ لِمَا بَطَنَ رَأَىٰ مَكْنُونَ الْفِطَنِ [مَكْتُومَ الْفِتَنِ «خ ل»] وَعَجَائِبَ الْأَمْثَالِ وَالسُّنَنِ [2] ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ، وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ، وَلَا تَفْنىٰ غَرَائِبُهُ وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ [3] فِيهِ مَفَاتِيحُ الْكَلَامِ، وَمَصَابِيحُ الظَّلَامِ، لَا يُفْتَحُ الْخَيْرَاتُ إِلَّا بِمَفَاتِحِهِ، وَلَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِمَصَابِيحِهِ، فِيهِ تَفْصِيلٌ وَتَوْصِيلٌ، وَبَيَانُ الْإِسْمَيْنِ الْأَعْلَيْنِ الَّذَيْنِ جُمِعَا فَاجْتَمَعَا [وَ] لَا يَصْلُحَانِ إِلَّا مَعاً يُسَمَّيَانِ وَيُوْصَلَانِ فَيَجْتَمِعَانِ تَمَامُهُمَا فِي تَمَامِ أَحَدِهِمَا [4] حَوَالَيْهَا (عَلَيْهِمَا «خ») نُجُومٌ وَعَلىٰ نُجُومِهِمَا نُجُومٌ لِيَحْمِيَ حِمَاهُ وَيَرْعىٰ مَرْعَاهُ [5].

وَفِي الْقُرْآنِ تِبْيَانُهُ [بُنْيَانُهُ «خ»] وَبَيَانُهُ، وَحُدُودُهُ وَأَرْكَانُهُ، وَمَوَاضِيعُ مَقَادِيرِهِ وَوَزْنُ مِيزَانِهِ: مِيزَانِ الْعَدْلِ وَحُكْمِ الْفَصْلِ [6] إِنَّ رُعَاةَ (دُعَاةَ «خ») الدِّينِ فَرَّقُوا بَيْنَ الشَّكِّ وَالْيَقِينِ، وَجَاءُوا بِالْحَقِّ، بَنَوْا لِلْإِسْلَامِ بُنْيَاناً، فَأَسَّسُوا لَهُ أَسَاساً

---

١ ـ يقال: «خص فلانا بالشيء» ـ من باب مدّ ـ: فضله به. وخص الشيء لنفسه: اختاره. «واستخلص الشيء»: اختاره.

ومن قوله: «ان الله خصكم» الى قوله: «فيها كفاء المكتفي وشفاء المشتفي» مذكور في ذيل المختار (١٤٨) من خطب نهج البلاغة، ط ـ مصر، باختصار واختلاف طفيف في بعض الالفاظ.

٢ ـ الامثال: جمع المثل ـ بالتحريك ـ وهي الصفة الرائقة والقصة المستحسنة. والسنن: جمع السنة ـ كغرف وغرفة ـ وهي السيرة والطريقة.

٣ ـ يقال: «انق الشيء ـ من باب فرح ـ أنقاً»: كان أنقا وانيقا ومونقا ـ ككتف وغريق ومرهق ـ: حسنا معجبا.

٤ ـ ولعل المراد بالاسمين الاعلين: كلمتي التوحيد. او القرآن وأهل البيت(ع).

٥ ـ المراد بالنجوم الاول الائمة(ع). وبالثاني الدلائل الدالة على امامتهم. والضمير في قوله(ع): «ليحمى حماه ويرعى مرعاه» راجع الى الاسلام. وحمى الاسلام: ما حرمه الله فيه. ومرعاه: ماحله الله.

٦ ـ ميزان العدل بيان لقوله: «ووزن ميزانه». وحكم الفصل: الحكم الذي يفصل بين الحق و الباطل.

وَأَرْكاناً، وَجاءُوا عَلَىٰ ذٰلِكَ شُهُوداً بِعَلاماتٍ وَأَماراتٍ فِيها كِفاءُ الْمُكْتَفِي وَشِفاءُ الْمُسْتَشْفِي [الْمُشْتَفِي «خ»] يَحُومُونَ حِماهُ، وَيَرْعَوْنَ مَرْعاهُ، وَيَصُونُونَ مَصُونَهُ وَيُفَجِّرُونَ عُيُونَهُ لِحُبِّ [بِحُبِّ «خ»] اللهِ وَبِرِّهِ وَتَعْظِيمِ أَمْرِهِ وَذِكْرِهِ مِمّا يَجِبُ أَنْ يُذْكَرَ بِهِ[١] يَتَواصَلُونَ بِالْوِلايَةِ، وَيَتَنازَعُونَ بِحُسْنِ الرِّعايَةِ (كذا) وَيَتَساقَوْنَ [وَيَتَناسَقُونَ] بِكَأْسٍ رَوِيَّةٍ، وَيَتَلاقَوْنَ بِحُسْنِ التَّحِيَّةِ وَأَخْلاقٍ سَنِيَّةٍ[٢]، قُوّامٌ عَلَماءُ أُمَناءُ [أَوْصِياءُ «خ ل»] لا يَسُوغُ (يَسُوقُ «غ») فِيهِمُ الرِّيبَةُ، وَلا تُشْرَعُ فِيهِمُ الْغَيْبَةُ، فَمَنِ اسْتَبْطَنَ مِنْ ذٰلِكَ شَيْئاً اسْتَبْطَنَ خُلُقاً سَنِيّاً (سَيِّئاً «خ ل»)[٣] فَطُوبىٰ لِذِي قَلْبٍ سَلِيمٍ أَطاعَ مَنْ يَهْدِيهِ، وَاجْتَنَبَ مَنْ يُرْدِيهِ، وَيَدْخُلُ مَدْخَلَ كَرامَةٍ وَيَنالُ سَبِيلَ سَلامَةٍ، تَبْصِرَةً لِمَنْ بَصَّرَهُ وَطاعَةً لِمَنْ يَهْدِيهِ إِلىٰ أَفْضَلِ الدَّلالَةِ، وَكَشْفِ غِطاءِ الْجَهالَةِ الْمُضِلَّةِ الْمُهْلِكَةِ، وَمَنْ أَرادَ بَعْدَ هٰذا فَلْيُطَهِّرْ بِالْهُدىٰ (بِالْمَهْدِيِّ «خ») دِينَهُ، فَإِنَّ الْهُدىٰ (الْمَهْدِيَّ «خ») لا تُغْلَقُ أَبْوابُهُ (بابُهُ «خ»)وَقَدْ فُتِحَتْ أَسْبابُهُ بِبُرْهانٍ وَبَيانٍ، لِامْرِئٍ اسْتَنْصَحَ، وَقَبِلَ نَصِيحَةَ مَنْ نَصَحَ بِخُضُوعٍ وَحُسْنِ خُشُوعٍ فَلْيُقْبِلِ امْرُؤٌ بِقَبُولِها، وليحذر قارعة قبل حلولها والسّلام[٤].

---

١ ـ كذا في النسخة المطبوعة الملحونة، وفي البحار: «بحب الله وبره وتعظيم أمره وذكره بما يجب ان يذكر به» قال العلامة الجلسي (ره): «بحب الله» اما متعلق بقوله: «يفجرون» أو به وبما قبله على التنازع. أو بقوله: «يتواصلون».

٢ ـ قال المجلسي العظيم: وفي بعض النسخ: «يتراشفون» وهو من قولهم: «رشف الماء»: مصه. والسنية ـ بفتح السين وكسر النون وتشديد الياء المفتوحة ـ: مؤنث السني: الرفيع.

٣ ـ يقال: «تبطن واستبطن الشيء»: دخل بطنه. واستبطن الامر: عرف باطنه.

٤ ـ القارعة: مونث القارع: القيامة. الداهية. النكبة المهلكة، والجمع قوارع، يقال: «قرعتهم قوارع الدهر»: اصابتهم نوازله الشديدة. و«نعوذ بالله، من قوارع فلان» أي من قوارص لسانه.

الفصل السابع والخمسون والمائة

يقول السيد الإمام الأوحد، العالم العامل، الفقيه الكامل، العلاّمة الفاضل، العابد العارف، المجتهد المحقّق المخلص رضي الدين ركن الاسلام والمسلمين، افتخار آل طه ويس، جمال العارفين أفضل السادات ذوالحسبين أبوالقاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن محمد الطاووس العلوي الفاطمي الداودي السليماني أدام الله أيامه وكبت أعداءه: اعلم يا من وقف على كتابي هذا من أولادي وذوي ودادي، أن هذا آخر ما اقتضت الاستخارة أن اتمم به مضمون هذا الكتاب من (كشف المحجّة لثمرة المهجة).

واعلم يا ولدي محمد ختم الله جلّ جلاله عملك برضاه، وأدام لك مع دوام بقائه المقام في حفظه وحماه، أن كتابي هذا أسألك عنه يوم نلتقي في حضرة سيد المرسلين وخاتم النبيين، وعند الاجتماع بأبيك أميرالمؤمنين عليه السلام، والسلف الظاهرين، فكرر النظر في معانيه، وذكّر به اخوتك ومن ترجو به قبوله وانتفاعه بالنظر فيه.

الفصل الثامن والخمسون والمائة

ومن عجيب ما اتّفق من غير أن أقصد إليه أنني ذكرت بعد تمامه أن مولانا

علي بن أبي طالب شرّفه الله جلّ جلاله بكمال صلاته عليه، كان إملاء رسالته إلى ولده وخاصته وشيعته بهذه النصائح والمصالح في نحو الوقت الذي قدانتهي عمري إليه؛ لأنّه أملى الوصية إلى مولانا الحسن عليه السلام بعد عودته من صفين، وإلى خاصته بعد وقعة النهروان وقتل المارقين، وبعدها وصل إلى الكوفة و اقام مدّة يسيرة معروفة، وقتله أشقى الآخرين عبدالرحمن بن ملجم عليه لعنة الله ولعنة اللاعنين، وقد تكمل عمره الشريف نحو ثلاث وستين، وأنا قد كتبت هذا الكتاب إليك و إلى اخوتك ومن يعزّ علينا وعليك وقد دخلت في سنة احدى وستين من عمر دار الفناء فسنح الله جلّ جلاله في طول البقاء.

الفصل التاسع والخمسون والمائة

وقد مضى في رسالة أبيك على عليه السلام إلى شيعته قوله عليه السلام: ماكان يلقى في روعي كذا وكذا من الحوادث التي تجددت عليه، وليس ذلك مناقضاً لماروى عنه عليه السلام من تعريف النبي صلّى الله عليه وآله وماتجدد بعده عليه؛ لأن قوله صلّى الله عليه و آله: «ماكان يلقى في روعي» محتمل أنه ما كان القي في روعه ولافي روع غيره لولا كشف ذلك له من جهة النبي صلّى الله عليه وآله أن الأنصار ومن تابعهم يعلمون من تقديم من قدموا عليه؛ لأن العقول بمجردها ماكان يلقى في روعها أنهم يعدلون عن حقوق من دلهم على الايمان وأعزهم بعد الهوان، وكانوا يعبدون أحجاراً واخشاباً فنزّههم عنها، وكانوا على شفا حفرة من النار فانقذهم منها و جعلهم ملوكاً وحكاماً على العباد، وكشف لهم عن سعادة الدنيا والمعاد.

أقول: ويحتمل أيضاً أن يكون النبي صلّى الله عليه وآله عرّفه غدر الأمة به عليه السلام وتغلب أبي بكر وعمر وعثمان، ولم يعرّفه أن أصل ذلك يكون في يوم وفاة النبي صلّى الله عليه وآله، أولم يعرّفه آن ذلك يكون ابتداؤه بمن وقع من الأنصار.

أقول: ويحتمل أن يكون مراده عليه السلام بقوله: «ماكان التي في روعي ولاعرض في بالي» أن أوجه الناس إلى غيره، أي أن وجوه الناس وأعيانهم يرضون بالتقية، ويحبون الحياة الدنيوية، ويوافقون الرعاع والطغام على ما استعجلوا به في السقيفة مع قرب عهدهم بالنبي صلّى الله عليه وآله وسلم وبالاسلام، وحقوقه التي لايحسن جحودها عند ذوي الأفهام.

ولقدرآيت في تواريخ أهل الوفاء أن هرمزاً مات ولم يخلّف ولداً ذكراً، وانّما خلّف حملاً فوفّى أصحابه له حتى وضعوا تاج الملك على بطن امرأته الحامل وترقبوا ولادتها حتى ولدت، وملكوا ابنته عليهم.

ولقد رأيت في التواريخ أن جماعة من الملوك لم يخلّفوا ذكراً وخلفوا امرأة، فوفوا لمن أحسن اليهم وملكوا ابنته عليهم.

ولقد رأيت في التواريخ أن خلفاء بني العباس بايع أولياؤهم جماعة من أولادهم بالخلافة وهم أطفال غير بالغين وفاء لاحسان آبائهم الماضين.

ولقد رأيت في التواريخ وفي حياتي من أولاد المشايخ المتقدمين في رباط أو مسجد أو مقام من المقامات، يراعى أولادهم ويرتبون في مقامهم وإن كانوا غير كاملي الصفات وفاء للأموات، فلأي حال كان محمد صلّى الله عليه وآله عندهم دون طبقة من تلك الطبقات وهو كما قال مهيار رحمه الله:

مابَرِحَتْ مُظْلِمَةً دنياكم	حتى أضاء كوكبٌ في هاشمِ
بَيْنَتُمُ بِهِ وكُنتم قبلَهُ	سِراً يموت في ظلوعِ كاتمِ
وصار كلُّ ملكٍ مسالمٍ	يقولُ: هل مِنْ ملكٍ مقادمِ

وأنهم يتركونه قبل دفنه والصلاة عليه، وقبل اقامة حقوق مأتمه ومصيبته والحزن عليه، أيجازونه باهمال حقوق احسانه وتصغير شأنه والتعصب على عترته العزيزين عليه.

هذا ماكان التي في روعه ولاروع أحد من العارفين، وإنّما عرّفه به سيد المرسلين عن ربّ العالمين جلّ جلاله صلوات الله عليه وعلى عترته الطيّبين

الطاهرين والحمد لله ربّ العالمين.

تم ما أردنا بالله جل جلاله من هذه الرسالة، ثم عرضناه على قبول
واهبه صاحب الجلالة نائبه صلّى الله عليه وآله، وورود الجواب
في المنام بما يقتضي حصول القبول والانعام والوصية
بأمرك والوعد ببرك وارتفاع أمرك، والحمد لله
ربّ العالمين وصلّى الله على سيد المرسلين
محمد النبي وعترته الطاهرين

* * *

وأنا العبد الفقير إلى الله المحتاج إلى عفو ربّه محمد ابن الحاج رضا ابن الحاج محمد علي الحسّون النجفي، قد اتممت تحقيق هذا الكتاب في العشرين من شهر ذي الحجّة المبارك من شهور سنة ١٤١٠ هجرية، سائلاً المولىٰ الكريم أن يتقبّل مني هذا العمل المتواضع، وأن يرحمني ويغفر لي ولوالديّ ومن يلوذ بي إنه سميع كريم، وآخر دعائي أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله علىٰ محمد وآله الطاهرين.

فهــارس الكتــاب

(١) فهرس الآيات القرآنية.
(٢) فهرس الأحاديث.
(٣) فهرس أسماء الأئمة عليهم السلام.
(٤) فهرس أسماء الأنبياء عليهم السلام.
(٥) فهرس الأعلام.
(٦) فهرس الأماكن والبقاع.
(٧) فهرس المذاهب والأديان.
(٨) فهرس الأبيات الشعرية.
(٩) فهرس أسماء الكتب الواردة في المتن.
(١٠) مصادر التحقيق.
(١١) فهرس الموضوعات.

(١)
فهرس الآيات القرآنية

(٢)
فهرس الأحاديث

(٣)
فهرس أسماء الأئمة عليهم السلام

(٤)
فهرس أسماء الأنبياء عليهم السلام

(٥)
فهرس الأعلام

(٦)
فهرس الأماكن والبقاع

(٧)
فهرس المذاهب والأديان

(٨)

فهرس الأبيات الشعرية

(٩)
فهرس أسماء الكتب الواردة في المتن

(١٠)
مصادر التحقيق

(١) القرآن الكريم:

(٢) الإرشاد:
للشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد، ت٤١٣هـ، أُفسيت مكتبة بصيرتي في قم، طبع المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف.

(٣) الاصابة في تمييز الصحابة:
لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت٨٥٢هـ، الطبعة الأولى سنة ١٣٢٨هـ، مطبعة السعادة.

(٤) أسد الغابة في معرفة الصحابة:
لعز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري المعروف بابن الأثير، ت٦٣٠هـ، افسيت المطبعة الاسلامية ـ طهران.

(٥) الأعلام:
لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السادسة ١٩٨٤م.

(٦) أعيان الشيعة:
للسيد محسن الأمين، ت١٣٧١هـ، تحقيق حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ١٤٠٣هـ.

(٧) أمل الآمل:
للشيخ محمدبن الحسن الحرّ العاملي، ت١١٠٤هـ، تحقيق السيد أحمد الحسيني، مطبعة الآداب، النجف الأشرف.

(٨) بحار الأنوار:
للمولىٰ محمدباقر المجلسي، ت١١١٠هـ، الطبعة الثالثة، دار احياء التراث، بيروت.

(٩) البداية والنهاية:
لعماد الدين اسماعيل بن عمربن كثيرالقرشي البصروي، ت٧٧٤هـ،دار الفكر، بيروت ١٤٠٢هـ.

(١٠) تأريخ الاسلام:
لشمس الدين محمدبن أحمدبن عثمان الذهبي، ت٧٤٨هـ، تحقيق الدكتور عمر عبدالسلام تدمري، نشر دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٧هـ.

(١١) تأريخ بغداد:
لأبي بكر أحمدبن علي الخطيب البغدادي، ت٤٦٣هـ، نشر المكتبة السلفية، المدينة المنورة.

(١٢) تأريخ الطبري:
لأبي جعفر محمدبن جرير الطبري، ت٣١٠هـ، دار سويدان، بيروت.

(١٣) تاج العروس:
لمحمد مرتضىٰ الزبيدي، ت١٢٠٥هـ، نشر المطبعة الخيرية، مصر ١٣٠٦هـ.

(١٤) تذكرة الحفّاظ:
لأبي عبدالله شمس الدين الذهبي، ت٧٤٨هـ، نشر مكتبة الحرم المكي ١٣٧٤هـ، أُفسيت ار احياء التراث العربي، بيروت.

(١٥) تسهيل السبيل بالحجة في انتخاب كشف المحجة لثمرة المهجة:
لمحمدبن المرتضىٰ الفيض الكاشاني، ت١٠٩١هـ، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، طبع مؤسسة البحوث والتحقيقات الثقافية في طهران، ت١٤٠٧هـ.

(١٦) تنقيح المقال:
للشيخ عبدالله المامقاني، ت١٣٥٩هـ، المطبعة المرتضوية في النجف الأشرف ١٣٥٠هـ.

(١٧) تهذيب التهذيب:
لأبي الفضل أحمدبن علي بن حجر العسقلاني، ت٨٥٢هـ، الطبعة الأُولىٰ ١٣٢٥هـ، دائرة المعارف النظامية، الهند، حيدرآباد الدكن.

(١٨) جامع الأُصول:
لمجدالدين أبي السعادات المبارك بن محمدبن الأثير الجزري، ت٦٠٦هـ، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

(١٩) جامع الرواة:
لمحمدعلي الأردبيلي الغروي الحائري، نشر مكتبة السيد المرعشي النجفي في قم ١٤٠٣هـ.

(٢٠) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء:
لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني، ت٤٣٠هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.

(٢١) الحيوان:
لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، منشورات المجمع العلمي الإسلامي، بيروت، ١٣٨٨هـ.

(٢٢) الخصال:
للشيخ الصدوق محمدبن علي بن الحسين بن بابويه القمي، ت٣٨١، تعليق علي أكبر الغفاري، نشر جماعة المدرسين في قم ١٤٠٣هـ.

(٢٣) ديوان الخنساء:
لتماضر بنت عمروبن الحرث بن الشريد، دار صادر، بيروت.

(٢٤) الذريعة الى تصانيف الشيعة:
للشيخ آقا بزرك الطهراني، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ.

(٢٥) رجال ابن داود:
للحسن بن علي بن داود، ت ٧٤٠هـ، نشر جامعة طهران ١٣٤٣هـ.

(٢٦) رجال البرقي:
لأبي جعفر أحمدبن أبي عبدالله البرقي، نشر جامعة طهران ١٣٤٣هـ.

(٢٧) رجال الشيخ الطوسي:
لشيخ الطائفة أبي جعفر محمدبن الحسن الطوسي ت ٤٦٠هـ، حققه وعلّق عليه وقدّم له السيد محمدصادق بحرالعلوم، الطبعة الأولى، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ١٣٨١هـ.

(٢٨) رجال النجاشي:
لأبي العباس أحمدبن علي النجاشي الأسدي الكوفي، ت ٤٥٠هـ، تحقيق الشيخ محمدجواد النائيني، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٨هـ.

(٢٩) روضات الجنات:
للميرزا محمدباقر الموسوي الخوانساري الأصفهاني، المطبعة الحيدرية ١٣٩٠هـ.

(٣٠) رياض العلماء وحياض الفضلاء:
للميرزا عبدالله أفندي الأصفهاني، تحقيق السيد أحمد الحسيني، نشر مكتبة السيد المرعشي في قم ١٤٠١هـ.

(٣١) سعد السعود:
لرضي الدين أبي القاسم علي بن موسىٰ بن طاووس، ت ٦٦٤هـ، منشورات الشريف الرضي، قم.

(٣٢) الصحاح:
لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، نشر دار العلم للملايين، بيروت.

(٣٣) صحيح البخاري:
لأبي عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة البخاري، دار احياء التراث العربي، بيروت.

(٣٤) صحيح مسلم:
لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت ٢٦١هـ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، بيروت.

(٣٥) الطبقات الكبرىٰ:
لمحمد بن سعد، ت ٢٣٠هـ، دار صادر، بيروت ١٤٠٥هـ.

(٣٦) الطرائف:
لرضي الدين أبي القاسم علي بن موسىٰ بن طاووس، ت ٦٦٤هـ، مطبعة خيام، قم ١٤٠٠هـ.

(٣٧) العقد الفريد:
لأحمد بن محمد بن عبد ربّه الأندلسي، ت٣٢٨هـ، تحقيق الدكتور مفيد محمد قيحة، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٤هـ.

(٣٨) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب:
لجمال الدين أحمدبن علي بن الحسين بن علي بن مهنابن عنبة الأصغر الداودي الحسيني، ت٨٢٨هـ، مطبعة أمير، قم، الطبعة الثانية ١٣٦٢هـ.

(٣٩) فرائد السمطين:
لابراهيم بن المؤيد بن عبدالله الجويني الخراساني، ت٧٣٠هـ، تحقيق الشيخ محمدباقر المحمودي، نشر مؤسسة المحمودي، بيروت ١٣٩٨هـ.

(٤٠) فلاح السائل:
للسيد علي بن طاووس، ت٦٦٤هـ، مكتب الإعلام الإسلامي، قم.

(٤١) الفهرست:
لابن النديم محمدبن اسحاق بن محمد، ت ٣٨٠هـ، نشر جامعة طهران ١٣٥٠هـ.

(٤٢) الفهرست:
لشيخ الطائفة أبي جعفر محمدبن الحسن الطوسي، ت ٤٦٠هـ، نشر جامعة مشهد المقدسة.

(٤٣) الكافي:
لثقة الإسلام أبي جعفر محمدبن يعقوب بن اسحاق الكليني الرازي، ت٣٢٨هـ، تصحيح السيد نجم الدين الآملي وعلي أكبر الغفاري، المكتبة الإسلامية، طهران ١٣٨٨هـ.

(٤٤) كشف الظنون:
للچلبي، المعروف بحاجي خليفة، ت١٠٦٧هـ، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ.

(٤٥) كمال الدين وتمام النعمة:
لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، ت ٣٨١هـ، تحقيق علي أكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤٠٥هـ.

(٤٦) الكنىٰ والألقاب:
للشيخ عباس القمي، ت ١٣٥٩هـ، مطبعة العرفان، صيدا ١٣٥٨هـ.

(٤٧) لؤلؤة البحرين:
للشيخ يوسف بن أحمد البحراني، ت ١١٨٦هـ، تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم، نشر مؤسسة آل البيت للطباعة والنشر، قم.

(٤٨) لسان الميزان:
لابن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢هـ، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٣٩٠هـ.

(٤٩) مستدرك الوسائل:
للشيخ ميرزا حسين النوري، ت ١٣٢٠هـ، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، الطبعة الأُولىٰ.

(٥٠) مسند أحمد بن حنبل:
لأحمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المروزي البغدادي ت ٢٤١هـ، دار الفكر، بيروت.

(٥١) معالم العلماء:
لمحمد بن علي بن شهرآشوب المازندراني ت ٥٨٨هـ، المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف، ١٣٨٠هـ.

(٥٢) معجم الأدباء:
لأبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي، ت ٦٢٦هـ، دار الفكر، بيروت ١٤٠٠هـ.

(٥٣) معجم المؤلفين:
لعمررضا كحالة، دار احياء التراث العربي، بيروت ١٣٧٦هـ .

(٥٤) مقابس الأنوار:
للشيخ أسد الله الدزفولي الكاظمي، ت١٢٣٧هـ ، نشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم.

(٥٥) المقنعة:
للشيخ المفيد أبي عبدالله محمدبن محمدبن النعمان العكبري البغدادي ت ٤١٢هـ ، الطبعة الحجرية.

(٥٦) الملل والنحل:
لأبي الفتح محمدبن عبدالكريم الشهرستاني، منشورات الرضي، قم.

(٥٧) نقد الرجال:
للسيد مصطفىٰ الحسيني التفريشي، انتشارات المصطفىٰ(ص)، طهران ١٣١٨هـ .

(٥٨) نهج البلاغة:
لأميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، جمع الشريف الرضي، شرح الشيخ محمدعبده، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ١٤٠٢هـ .

(٥٩) نهج السعادة في شرح نهج البلاغة:
للشيخ محمدباقر المحمودي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

(٦٠) وسائل الشيعة:
للشيخ محمدبن الحسن الحرّ العاملي ت١١٠٤هـ ، تحقيق الشيخ عبدالرحيم الرباني الشيرازي دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٣هـ .

(١١)

فهرس الموضوعات